العَرْبُ الْأَرْبُ الْرَابُ الْأَرْبُ الْرَابُ الْأَرْبُ الْرَابُ الْرَابِ الْرَابُ الْرَابِ الْرَابُ الْرَابُ الْرَابُ الْرَابِ الْرَابِ لِلْرَابِ الْرَابِ الْرَابِ الْرَابِ لِلْمُعِلِيْمِ الْمُعِلِي لِلْمُعِلِي الْمُعْتِي الْمُعْتِلِي الْمُعْتِلْفِي الْمُعْتِلِي الْمُعْتِلِي الْمُعْتِلْفِي الْمُعْتِلِي الْمُعْتِلِي الْمُعْتِلْفِي الْمُعْتِلِي الْمُعْتِلْمِ الْمُعْتِلِي الْمُعْتِلِي الْمُ

محترائيمكرا بشيميل

مِن معارك الابت لام الفاصِلة

- ۲ -



قدم له وقام بمراجعته و تقويم مصطلحانه العسكرية الحديثة اللواءالركن محمو دشيت خطاب عضو المجمع العلمي العراقي

斯·拉克·苏拉斯斯斯斯斯

٢١ شارع الفتح بالروضة ـــ القاهرة • ٨٤٠٣٦٤

ر الطبعة الحامسة ١٤٠٦ هـ) حقوق الطبع محقوظة



اليقتدته

قبس من نور الرسي ول القائد

(أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمُ اللهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴾ « القرآن الكريم »

بقلم اللواء الركن محمود شيت خطاب (*)

^(•) الأخ اللواء الركن محمود شيت خطاب من كبار ضباط الجيش العراق .. ولد في (الموصل) عام ١٩٦٧ و دخل الكلية العسكرية عام ١٩٣٧ و اشترك بأربعة وعشرين دورة عسكرية ، واجتاز دورة الأركان في العراق ، ودورة الضباط الأقدمين (الضباط العظام) في انكلترا ، وكان الأول على مائة ضابط من مختلف جيوش العالم

بيناللاخالحين

-1-

الرسول القائد صلوات الله وتسليمه عليه أسوة حسنة للمسلمين ، واقتفاء آثاره وهديه السبيل لإنقاذهم من التخلف والضلال .

كان ولا يزال ذا نزعة إسلامية قوية ، وهو رجل صابالعود ، يعتبر مثالاحياً للثبات على العقيدة ، سجنه قاسم العراق عام ١٩٥٩ عاماً واحداً ، نال من التعذيب والتنكيل من الشيوعيين (في عهد قاسم) مالا بمكن لبشر أن يتحمله ، إلا من كان على مستوى مثانة عقيدته وقوة إبمانه ... وكان من نتائج شدة التعذيب الذي ناله على أبدى الشيوعيين ، وجود (٤٢) كسراً في جسمه .. والسبب في تعذيبه أنه مسلم صريح يكفر بالشيوعية وكل مبدإ يخالف الإسلام .. ظل صامداً في وجه الشيوعيين والديكتاتورية ر افضاً التعاون مع قاسم العراق طبلة حكمه ، حتى أورة ١٤ رمضان ١٩٨٢ ﻫ الَّتي كان أحد العاملين فيهاً ... ثم أسند إليه منصب وزير البلديات والشؤون القروية ، كان أحد أعضاء اللجنة التي أسند اليها وضع دسنور للعراق في العهد الحالي وهو عضو المجمع العلمي العراقي ، ويحمل وسام الرافدين من الدرجة الأولى ، وهو أعلى وسام في العراق .. * له مؤلفات تاريخية وعسكرية مهنية مهمة ، منهاكتاب (الرسول الغائد) ، وكتاب (القضايا الإدارية في الميدان والتدريب الفردى ليلا) وله الآن نحت الطبع ، كتاب (قادة الفتح الإسلامي) ويقع في سعة أجزاء ، صدر منه الآن الحزء الأولُّ عن قادة فتح العراق والجزيرة . يعدكتابه (الرسول القائد) من أروع ما خطته الأقلام المسلمة . فى تاريخ الرسول العسكرى ، حبث لم يسبقه أحد إلى الطريقة التي ساكمها في وصف الممارك التي قادها الرسول صلى الله عليه وسلم ، حيث أثبت للقارى (بفلسفة عسكرية شبقة) أن محمداً _ بالإضافة إلى كونه نبياً مرسلاً _ هو أعظم قالد عسكرى عرفته البشرية . أكثر الله من أمثال هذا الضابط المؤمن في رجالنا المستحربين . وأعماله في السلم والحرب لابد أن نتدارسها بإمعان ودقة ونتفهمها كما تفهمها أصحابه والسلف الصالح من بعدهم تجسيداً حياً لتعاليم الإسلام : عقيدة وعملاً وتضحية وجهاداً .

نتدارس أعماله ونتفهمها بعقولنا وقلوبنا معاً : بعقولنا لنعرف الحقائق الناصعة التي حدثت (فعلاً) دون مبالغة واختلاق ، وبقاوبنا لنلمس النور والهدى اللذين يسرا للمسلمين الأولين التقدم والنجاح .

إن الإسلام في روحه عقيدة بناءة منشئة ترتكز على (المادة) كما ترتكز على (الروح) ، فهو دولة ودين ، سيف وكتاب ، لكنة ومسجد ، جامعة وجامع ، أرض وساء ، جسد وروح ، توكل وعمل .. إيمان بالعمل المادى من أجل الدنيا ، وإيمان بالعمل الروحى من أجل الآخرة .. وإيمان بالمنطق وإيمان بالغيب .

إن الإسلام كفاح لايهداً ، وجهاد لا ينقطع ، واستشهاد في سبيل الحق والعدل والمساواة ، فهو يبدأ في ضمير (الفرد) وينتهى في محيط (الجماعة) .. وهذا هو سر خلوده : مادة وروح ، نسيطر عليه روح المسجد مكاناً للعبادة وثكنة للجهاد ومدرسة للعلم .

_ Y _

كان العرب قبل الإسلام ماهرين في حروب العصابات ماهرين في استخدام السلاح والفروسية ، لهم قابلية ممتازة على الحركة من

مكان إلى آخر بسهولة ويسر وسرعة وبأقل تكاليف إدارية ، ولكنهم كانوا متفرقين ، بأسهم بينهم شليد ، لهذا كانت خبرتهم الحربية وشجاعتهم الفطرية تذهب عبثاً في الغارات والمناوشات المحلية بين القبائل المختلفة وحتى بين القبيلة الواحدة :

وأحياناً على بكر أخينا إذا ما لم نجد إلا أخانا فلما جاء الإسلام وحد عقيدتهم ونظم صفوفهم وغرس فيهم روح الضبط والطاعة وطهر نفوسهم ونقى أرواحهم وأشاع فيهم انسجاماً فكرياً. فأصبحت قوتهم المبعثرة وجهودهم المضاعة تعمل بنظام دقيق وضبط متين بقيادة واحدة لهدف واحد ، وأصبح المؤمنون في مشارق الأرض ومغاربها إخوة يتحابون بنور الله ويهتدون بهديه وهم أمة واحدة

وكانت حياة النبي ويتلاق بمكة بعد بعثه حتى هجرته توحيداً من أجل الجهاد ، وكانت حياته بالمدينة بعد هجرته إليها حتى التحاقه بالرفيق الأعلى جهاداً من أجل التوحيد .

تحيتها السلام وغايتها السلام ودينها الإسلام .

واستطاع الرسول القائد في حيانه نوحيد شبه الجزيرة العربية كلها تحت لواء الإسلام واستطاع أصحابه من بعده بعد سنين قليلة نشر سلطانهم في المشرق والمغرب.

- 4-

لقد انتصر العرب المسلمون على العرب في أيام النبي وَلَيْكُونَ ، كما انتصر العرب المسلمون على الغساسنة والمناذرة من العرب وعلى الفرس والروم من بعده ، ولم يكن انتصارهم الأنهم عرب وكفى ، بل الأنهم

عرب مسلمون ، فهو انتصار عقيدة لامراء : عقيدة غرست في نفوسهم حب الضبط والنظام ، وحبّبت إليهم الاستشهاد في سبيل الحق ، وجعلتهم يرون هذا الاستشهاد نصراً دونه كل نصر ، كما بعثت فيهم الاعتزاز بالنفس والشعور بأن عليهم (رسالة) واجبة الأداء للعالم .

هذه العقيدة التي ملأت قلوبهم في مبدأ سيرهم ونهايته وصحبتهم من (بدر) في الحجاز إلى (بلاط الشهداء) في فرنسا ، وحالفتهم مشرّقين ومغرّبين وهازمين ومهزومين ، وجعلتهم يثقون بوعد الله لهم في فتح الأرض والسيطرة عليها بالحق والعدل .

لقد تقبل العرب الإسلام بما فيه من تكاليف البدل والجهاد والتضحية والفداء ، لذلك سادوا العالم ودوّخوا الدنيا ، فلما أصبحوا يتقبلون الإسلام بدون تكاليفه خسروا كل شيء وأصبحوا أذلاء مستعبدين حتى في ديارهم ، فما أحرانا أن نتفهم الإسلام ونتفهم حياة النبي الكريم ويتليب التي هي التطبيق العملي للإسلام كما نفهم ذلك الصحابة والسلف الصالح والسلف الصالح كما نفهم ذلك الصحابة والسلف الصالح من قبل ؟ .

- 1 -

وما دمنا بصدد غزوة (أحد) موضوع هذا الكتاب فما الذي نقتبسه من دروس وعبر . حكاماً ومحكومين . قادة وجنوداً ، من جهاد النبي عَيَّالِيْهُ وجهوده وجهاد أصحابه وجهودهم رضوان الله عليهم في هذه الغزوة بالذات .

كان هدف المشركين في غزوة (أحد) هو أخذ ثاراتهم من المسلمين ،

وكان هدف المسلمين هو الدفاع عن عقيدتهم حماية لحرية نشرها ، لذلك كانت حرب المشركين حرباً عدوانية وكانت حرب المسلمين حرباً عادلة (١)

وكان المسلمون يؤمنون بعقيدة واحدة أشاعت فيهم الانسجام الفكرى والعلمى ، أما المشركون فلا عقيدة لهم تشيع فيهم هذا الانسجام. وكانت قيادة الرسول وللله في هذه المعركة نموذجاً حياً للقيادة الواعية المثالية : حصل على المعلومات عن عدوه ، وعقد المؤتمرات الحربية وأصدر قرارات سريعة جازمة وتمسك بها ، ووضع خطة واضحة دقيقة وأصدر أوامر حاسمة صريحة ، وسيطر على أعصابه فى أحلك الظروف ، وتثبت بأسباب رفع المعنويات وأبدى شجاعة خارقة .

إن قيادة النبي الكريم في معركة (أحد) تبهر أنفاس كل مفكر عسكري وقائد إعجاباً بها ونقديراً لمزاياها . .

لقد اصطرعت عبقرية الرسول القائد وعبقرية خالد بن الوليد ف (أحد) ، فكانت الغلبة لعبقرية قيادة النبي القائد على عبقرية الصحابى القائد (٢) .

فقد كان خالد قائد فرسان المشركين في (أحد) وكان التفوق العددى إلى جانب المشركين ، ومع ذلك استطاع المسلمون بفضل

⁽۱) الحرب العادلة : حرب توجه ضد شعب ارتكب ظلماً نحو شعب آخر ولم يشأ أن يرفعه ، ويشترط فيه أن تكون مطابقة للقواعد الإنسانية وتكون لغرض تحقيق سلم دائم ، ووجوب احترام حياة وأملاك الأبرياء وحسن معاملة الأسرى والرهائن ، فهى إذا حرب دفاعية ، والحرب العدوانية بمكس ذلك ، انظر قوانين الحرب والحياد : (۲) كان خالد ــ بعد أن أسلم من أكابر الصحابة الفاتحين ، وستأتى ترجمته إن

واصطرعت عبقريتا القائدين العظيمين في (الخندق) وفي (الحديبية) أيضاً ، فانتصرت عبقرية الرسول القائد على عبقرية خالد ، إذ لم يظهر لخالد فيهما أثر حاسم في الوقت الذي ظهر للرسول والمالية فيهما أثر حاسم .

ولست أعرف قائداً فى تاريخ العرب والمسلمين غير الرسول القائد والسائد أن يفضل على القائد العبقرى خالد بن الوليد .

تلك هي عوامل انتصار المسلمين تحت قيادة رسول الله عِنْ الله عِنْ الله عِنْ الله عَنْ الله عَنْ الله على الله عادلة دفاعاً عن حرية نشر الإسلام وتوطيداً لأركان السلام ، تقابلها من جانب المشركين حرب عدوانية انتهاكاً للحرمات وطلباً

للثارات والمغانم ، والنصر دائماً للحرب العادلة على الحرب العلوانية في المدى القريب أو البعيد .

وعقيدة منشئة بناءة تدعو للسلام وتأمر بالعروف وتنهى عن المنكر وتساوى بين الناس ، تقابلها من جانب المشركين عقيدة فاسدة تدعو للمصبية وتبشر بالتفرقة العنصرية وتحث على الظلم والعدوان ، والنصر دائماً للحق على الباطل ، وللنور على الظلام ، وللخير على الشر ، وللخلق الكريم على الخلق الذميم .

وقيادة رشيدة فذة لا ينافسها في كفاءتها منافس ، تقابلها قيادات ضعيفة منحرفة يتنافس أصحابها على حب الظهور والسيطرة والسلطة والسلطان.

-- 0 --

بقى علينا أن نتعلم عبرة (أحد) في مخالفة الأوامر والتعلق بمناع الحياة .

فقد كان السببان المباشران لانتكاسة المسلمين في (أحد) هما :

مخالفة الأوامر أولاً وعدم مطاردة المشركين بعد انتصارهم عليهم في الصفحة الأولى من صفحات القتال يوم (أحد).

لقد أخطأ رماة المسلمين خطأ لا يغتفر في مخالفتهم لأوامر الرسول ملكية الصريحة الجازمة وانسحابهم من مواضعهم الأصلية لجمع الغنائم ، ولولا انسحابهم هذا لما استطاع خالد بن الوليد ضرب مؤخرة المسلمين ، ولما استطاعت قريش تطويق المسلمين وتكبيدهم صبعين من الشهداء .

إن مخالفة الأوامر في (أحد) درس لابُنسي عن نتائج كل مخالفة عسكرية للأوامر في الحرب ، وإن نتائجها المعروفة كافية لغرس هذا الدرس في النفوس.

كما أخطأ المسلمون خطأ لا يغتفر أيضاً فى عدم مطاردة المشركين بعد فرارهم من موضعهم وابتعادهم عن معسكرهم لكى يجمعوا الغنائم والأسلاب.

ولو أن المسلمين طاردوا المشركين إلى مسافة مناسبة لقضى على أكثرهم قتلاً وأسراً ولأصبحت مخلفات المشركين في متناول أيديهم بعد القضاء على قواتهم الضاربة (١)

ترى أنعتبر بهذين الدرسين المفيدين فى هذه الأيام نغض عن المتاع الله مؤثرين عليه ما عند الله ، فما عند الله عير وأبقى .

-7-

إن قصة حياة أبطال العرب والمسلمين وعلى رأسهم بطل الأبطال ورجل الرجال سيد القادات وقائد السادات محمد بن عبد الله صلوات الله وتسليمه عليه تبهر العقول والأبصار.

فهل ستصمت الأصوات المنكرة التي عملت جاهدة لتهديم تاريخنا وتراثنا لتستورد تاريخاً وتراثأ من وراء الحدود ، أم على قلوب أقفالها ؟ أما الذين هداهم الله ، فسيقولون بفخر واعتزاز ؟ : (أرائك آبائي فجئني عثلهم) .

⁽١) انظر تفاصيل غزوة أحد في كتاب : الرسول القائد ــ لكانب المقدمة :

وأما اللين في قلوبهم مرض ، من الذين ارتفعت أصوائهم المنكرة المريبة يدعون إلى رجال غير رجالنا ، وقادة غير قادتنا ، وأفكار غير أفكارنا ، ومعتقدات غير معتقداتنا ، فيجب أن تُخرس بطولات ، وإيمان أجدادنا الغر الميامين - ألسنتهم وتُسكت أصواتهم إلى الأبد .

والحمد لله الذي يسر للأخ الأستاذ محمد أحمد باشميل أن بكتب مفحات رائعة من حياة الرسول القالد وَلِيَّا اللهُ الأسلوب الرائع وهذا الفهم السلم.

وهذا الكتاب الذي أقدمه اليوم أقوى ما أكون أملاً في أن علاً فراغاً وأن يسد حاجة سيتلوه للمؤلف (بمشيئة الله) كتب عن المعارك الحاسمة التي شهدها النبي عَيِّنَا في حياته والتي شهدها المسلمون من بعده فحملوا رايات الإسلام من الصين شرقاً إلى فرنسة غرباً إلى حدود سيبيريا شمالاً إلى المحيط الهندي جنوباً.

وفق الله الأَخ الأُستاذ الجليل محمد أحمد باشميل وسدّد خطاه وأعانه على تحقيق أمانيه في خدمة العرب والمسلمين.

اللوائه الركن محمود شيت خطاب(۱) عضو المجمع العلمي العراق

 ⁽۱) انظر مقدمة الجزء الأول من كتاب قادة الفتح الإسلامي عن قادة فتح العراق
 رابخز برة ـــ لكاتب المقدمة ــ صدر عن دار القام بالفاهرة .

بسسامة الرحم إلرحيم

كامت المؤلف

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله الأمين ، محمد سيد الأولين والآخرين ، وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحابته الأبطال الميامين الذين قال الله تعالى في حقهم ـ ثناء عليهم - (رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه).

وبعد ، لقد من الله علينا في مثل هذا الشهر المبارك من السنة الماضية (م١٣٨٢) فأصدرنا كتاب (غزرة بدر الكبرى) وهو الكتاب الأول من سلسلة (معارك الإسلام الفاصلة) التي اعتزمنا بعون الله تعالى إصدارها تباعاً لنضع بين يدى هذا الجيل (وخاصة الشباب الناشئ) صفحات رائعة وضاءة مشرقة من تاريخ هذه الأمة الإسلامية المجيدة .. صفحات تحالف على طمسها وعقد العزم على مسخها أعداء من الداخل وخصوم من الخارج فافتقدها الطالب المسلم في فصل المدرسة ومدرج وخصوم من الخارج فافتقدها الطالب المسلم في فصل المدرسة ومدرج حتى في غير المدرسة والكلية ، فنشأ جاهلاً (كل الجهل) بتاريخ دينه القويم وأخبار صفوة أمته الجيدة .

ونلك أغلى أمنية تتحقق للعدو الحريص على محو الإسلام وإلغاء شخصية الأمة الإسلامية .

إننا (بعون الله تعالى ، وفى محاولة نرجو أن تكون موفقة لخدمة التاريخ الإسلامى) نضع الآن بين يديك أيها القارئ الكريم هذا الكتاب (غزوة أُحُد) وهو الكتاب الثانى من سلسلة كتاباننا عن (معارك الإسلام الفاصلة) .

وإنك سترى في هذا الكتاب نفاصيل معركة رهيبة خاضها الرسول القائد عَيَنالِيْهِ بنفسه وأصيب فيها بجراحات بليغة ، كما تعرضت فيها حياته الغالية للخطر ، كما فقد عِينالِيْهِ في هذه المعركة الطاحنة ، ساعده الأمن فارس الفرسان وبطل الأبطال عمه (حمزة بن عبد المطلب) رضى الله عنه .

لقد صهر الله (في وقائع هذه المركة الرهيبة) صحابة محمد والمنتسبين إلى دينه كما يصهر التبر في بوتقته (١) الحامية لنفي الخبث عنه وتصفيته :

(ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب) (١٦).

نم لقد ذاق محمد وَ الله وأصحابه رضى الله عنهم (في هذه المركة) حلاوة النصر ثم تجرعوا مرارة الهزيمة ، كما أخذوا دروساً قاسية من عواقب العصيان المريرة ومخالفة الخطط المرسومة للمعارك .

⁽١) البوتقة ، الوعاء الذي يذيب الصالخ فيه الممدن :

⁽۲) آل عران: ۱۳۸

لقد كانت معركة أُحُد (بحق) سلسلة من الامتحانات القاسية ، مسبّبتها مفاجآت مثيرة وتحوّلات ومباغتات مذهلة غير منتظرة ، امتحن الله بها صفوة هذه الأمة في مختبر المصائب والنكبات ، فابتلاها بمأنواع من القتل والجرح والاندحار ، ليختبرها (وهو الأعلم بها) :

(أم حسبتم أن تدخلوا الجنّة ولمّا يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين) (۱) .

ولقد ظهرت في معركة أحُد أنواع من البطولات الإسلامية وضروب من التضحية والبذل والفداء. لم تشهد الدنيا لها مثيلاً ، كما سيرى القارئ تفاصيل ذلك في هذا الكتاب.

وإنها لدروس فى الصدق والإيمان بالله والوفاء بالعهد والإخلاص للعقيدة والتضحية فى سبيل المبدل، سجلها (فى هذه المعركة) أولئك الأجداد البررة، دروس جديرة بأن يعيها الأحفاد ويترسموا خطاها ويتدوا بهديها، إذا ما كانوا راغبين (حقاً) فى تحقيق الخير لهذه الأمة وتوفير الأمن والرخاء والسعادة والعزة والاستقرار لها.

إن التاريخ (دائماً) مرآة تنعكس فيها حقيقة كل أمة ويظهر فيها واقع كل جيل ..

وكل أمة واعية لها ماض مجيد ، فإن رجال الحكم المخلصين فيها ، وقادة الفكر وأساطين العلم الأمناء ، يحرصون دائماً على نشر هذا الماضى وتجسيده تجسيداً كاملاً ، أمام أجيالها ، فيعملون على تغذية عقول الشباب (وخاصة المثقف منهم والعسكريين) بأخبار ذلك الماضى المجيد في كل وجبة من وجبات غذائهم الفكرى والثقافي لتواكبهم صور ذلك

⁽۱) آل عمران : ۱٤۱ :

الماضي المجيد المشرق في جميع مراحل تكوينهم العقلي والروحي والثقافي والعسكري .

إن نظر الأحفاد (بتممن وتفهم) في تاريخ الأجداد الملي ، برواتم المجد والفخار والزاخر بأخبار البطولة والثبات على المقيدة لهو من أكبر الموامل التي تنشط في نفوس الشباب المسلم عناصر طلب المعالى ، وتحفزهم على التخلق بأخلاق أولئك الأساطين البررة (الذين نحوا القياصرة والأكاسرة عن مقبض قياذات العالم فقادوا الدنيا قيادة حازمة حكيمة عادلة) وتحبب إليهم التمسك بالمبادئ التي بني عليها أولئك الأجداد دعائم مجد الأمة الإسلامية الذي كان ولا يزال حديث الدنيا .

إننا مرة أخرى نبيب بالحكام المخلصين لشعوبهم ، الصادقين في إعابهم بدينهم ، ونأمل من قادة الفكر وأساتذة التربية في الأمة الإسلامية (وخاصة العربية منها) أن يعملوا ... جادين ... على رفع الحظر الذي وضعه خصوم الإسلام على تدريس التاريخ الإسلامي تدريساً بني بالغرض المطاوب ويحقق الشمرة المرجوة ، أبام تسلطهم (فكرياً وسياسياً) على أكثر أقطار عالمنا الإسلامي .

إن شبابنا المثقف لا يزال (حتى هذه اللحظة) يعانى نقصاً كبيراً ويحس بفراغ هائل في معلوماته عن التاريخ الإسلامي ، وتلك إحدى ركائز الانحراف الذي بشاهد في كثير من المثقفين عصرياً ، الذين كان مصدر انحرافهم هذا ، افتتانهم بكل ما هو أجني .

لقد ارتكبت في حق التاريخ الإسلامي (منذ بداية هذا القرن) ولا تزال تُرتكب حتى هذه اللحظة ، جنايتان كبيرتان ، ارتكبهما فريقان من أبناه الأمة الإسلامية نفسها . فريق جعل من نفسه (باسم العلم) أداة طمس وتشويه للتاريخ الإسلاى ، حيث عمل (بحكم منصبه القيادى فى المدرسة والجامعة) على حرمان الطالب المسلم من معرفة أى شيء مفيد عن التاريخ الإسلاى بل إن هذا الفريق لم يكتف بهذا العمل التخريبي ، فقد حشى أذهان الطلاب (في جميع مراحل نموهم الفكرى والثقافي) بوقائع تاريخ غير ناريخ أمتهم ، وزحم مخيلاتهم بصور بطولات رجال لا محتون إلى دينهم أو وطنهم بأية صلة ، وبهذا (وكما يريد الأجنبي المستعمر) قطعت الصلة بين الشباب المسلم (المثقف عصرياً) وبين تاريخ دينه القويم وماضي الأماجد من قادة أمته وأبطالما (1)

وفريق وهم الرجعيون (وهذا هو التعبير الصحيح للرجعية) يتكلمون بلغتنا ، بل وينتسبون إلى ديننا ، أرادوا أن يرجعوا بنا إلى ما قبل بزوغ شمس الإسلام . فتخطوا مروج التاريخ الإسلام الزاهرة ، الفوّاحة بعبير المجد الصحيح وشذا العزة الحقيقية ، واجتازوا مناطق إشراقات هذا التاريخ المجيد مغمضين أعينهم ، ثم انحدروا إلى زوايا التاريخ المظلمة ، حيث امتزجت خزايا أبى جهل بحماقات أبى لهب واختلطت مباذل كيلوباترا بخرافات أبى الهول ا .

فقد أراد هذا الفريق أن يجعل من نعرات تلك العهود السوداء المظلمة (عهود الجاهلية الأولى) مذهباً حديثاً أو ديناً جديداً تسير عليه (في حيانها) أمة محمد بن عبد الله صاوات الله وسلامه عليه .

الله تجاهل هذا الفريق (عن قصد وإصرار) التاريخ الإسلامي ، وعمل (ما سنحت له الفرصة) على إلغائه ومحوه من ذهن الطالب المسلم،

⁽۱) انظر مقدمة كتابنا ــ غزوة بدر الكبرى :

واستبعاد مادة هذا التاربخ من جميع وجبات الفكر والثقافة ، عند تقديم هذه الوجبات لتغذية عقل الطالب المسلم ، ابتداء من أول فصل و في المدرسة حتى آخر مرحلة في الجامعة .

بل إن هذا الفريق لم يكتف بهذا ، فقد سطا على التاريخ الإسلامى (كما يسطو اللصوص وقطاع الطرق) فجرَّد جيده من كل ما يزينه من روائع أمجاد المسلمين وأخبار بطولات الفاتحين ويواقيت أفكار العلماء الصالحين ، ثم ألق بها في جيد تاريخ جثة شوها، ، هي العصبية المقينة والعنصرية الضيقة البغيضة .

فصارت بطولة خالد بن الوليد وشجاعة سعد بن أبي وقاص وفروسية على بن أبي طالب وعدل عمر بن الخطاب وغيرهم من عظماء الإسلام وقادته (وحي روائع حياة النبي الأعظم وأسالة عقيدته ونرغيب الناس (لا للاستشهاد بها على عظمة الإسلام وأسالة عقيدته ونرغيب الناس فيه والدعوة إليه باعتباره المصدر الوحيد الذي كون هؤلاء الأبطال وصنع هؤلاء العظماء الذين حشوا فم التاريخ بذكراهم العاطرة) وإنما لصد الناس عن هذا الدين ، والدعاية لهذه العصبية الكربة والعنصرية الضيقة المقيتة ، على اعتبار أن ما حققه هؤلاء العظماء والقادة هو جانب مشرق من جوانب تاريخ هذه العصبية المقيتة والعنصرية الضيقة وثمرة من نمرات جهادها ، وباعتبار أن هؤلاء العظماء والقادة هم مؤسس هذه العصبية اللاينية والمنصرية اللائحلاقية ،

ودليلنا على ذلك ، هو أن هذا الفريق يتجاهل الإسلام ولا يشير إليه ، لا من قريب ولا من بعيد ، عندما يمط لسانه ويتشدق بعظمة أبطال وقادة الإسلام هؤلاء ، بل إن هذا الفريق لتتممر وجوههم ويملوها الاكفهرار فيهمهمون همهمة السحرة ويزمزمون زمزمة المشموذين ويلوون رؤوسهم عندما يجابههم أحد بالقول بأن علياً وسعداً وخالداً وعمراً وطارقاً وصلاح الدين وغيرهم من أبطال هذه الأمة وقادتها المظفرين ، لم يتربعوا على القمة في تاريخ الخالدين إلا بمدأن اتخذوا من الإسلام ديناً ودولة وخلقاً ومعاملة وسيفاً وكتاباً وفكراً وسياسة ، وأن تجاهل الإسلام وإخراجه من الحساب (عن قصد مبيّت) عند الإشادة بهؤلاء الأبطال والقادة هو من العقوق المشين وغمط الحق وتزوير التاريخ ، لأن بطولة هؤلاء الأبطال وأمجاد أولئك القادة مرتبطة بالإسلام ارتباط الجسد بالروح ، فلولا الإسلام ، ما كان لمؤلاء القادة والأبطال ذكر في دنيا المجد والبطولة والفخار .

فقد كان كثير من هؤلاء الأبطال موجودين قبل الإسلام فما هي حصيلتهم من المجد والبطولة والسمو يوم ذاك ٢٢.

لاشيء ..

إذن .. فلتخرس تلك الأصوات المحمومة التي تحاول أن تجعل من هؤلاء القادة والعظماء الميامين ، أبطالا وطنيين صنعتهم خصائص العنصر ومزايا الدم ، متجاهلة دور الإسلام الرئيسي وفعالية زخم عقيدته البناءة في تكوين هؤلاء العظماء والقادة وبناء كل ما سجلوه لهذه الأمة من مجد وفخار وذكري عاطرة .

إن وقوف هذا الفريق (المنتسب إلى الإسلام) من الإسلام وتاريخه هذا الموقف ليس فيه أية خدمة لهذه الأمة أو هذا الوطن .

وإنما فيه الخدمة (كل الخدمة) لخصوم هذه الأمة وأعداء هذا

الوطن ، من شبوعيين حاقدين وصليبيين مستعمرين ، الذين لا يثلج صدورهم ويغمر نفوسهم بالبهجة والسرور شيء مثل أن يروا أبناء الإسلام (وفي وطن الإسلام) يتولون بأنفسهم محاربة هذا الدين وخنق صوته ومحو معالم تاريخه وإهالة التراب على كنوز هذا التاريخ الغالية الثمينة .

فهذه غاية ما يبتني هؤلاء الأعداء وأقصى ما يتمنون .

قمحاربة الإسلام ومصادرة تاريخه لمنعه (بأيدى أبنائه) من الظهور في مقررات التدريس في قصل المدرسة ومدرج الكلية ، يسهّل لمؤلاء الأعداء (على اختلافهم في المقاصد والنايات) نشر مذاهبهم المدامة وثقافاتهم المخربة المنحلة بين طلبة هذه الأمة .

لأن الأمة (أية أمة) إذا ألغت شخصيتها ، بنفض يدها من عقيدتها التي هي مصدر تكوين هذه الشخصية ، وتنكرها وتجاهلها لتاريخها الذي يمد هذه الشخصية بطاقات الحيوية والاستقلال الذاتي ، فإنها ولا شك تضطر للبحث عن (عقيدة جديدة) لتكوين شخصيتها الجديدة وصبغ هذه الشخصية بلون العقيدة الجديدة ، لأن أية أمة لا يمكن أن تكون لما شخصيتها المستقلة إلا في إطار عقيدة تستظل بظلها وتهتف باسمها .

ثم إنه لابد لهذه الأمة (بعد تنكرها لتاريخها ومحوها لمعالمه) من النظر في تاريخ أبطال وقادة وساسة ومفكرين يكونون مثلها الأعلى وقدوتها في كثير من شؤونها ، ولابد _ والحال هذه _ من أن تتجه إلى خارج محيطها وتفتش في غير تاريخها بحثاً عن هؤلاء القادة والأبطال والساسة والمفكرين .

وهذا هو الذي حدث بالفعل (داخل الوطن الإسلامي الكبير) لكثير من الشعوب التي ألغت شخصيتها الإسلامية المتمثلة في إسلامها (كدين ودولة وخلق ومعاملة وتاريخ وعقيدة).

فقد شهدت مناطق كثيرة من هذا الوطن الكبير فيوضات مختلفة من المذاهب الأجنبية المستوردة والأفكار الدخيلة المستهجنة والعقائد الغريبة المستنكرة ، حاول مستوردوها أن يبنوا (فى ظلها) لأنفسهم ولشعوبهم شخصية جديدة مستقلة بعد إلغاء شخصيتهم الإسلامية .

ولكنهم فشلوا فى محاولاتهم هذه فشلاً ذريعاً ، فصاروا كالغراب الذى حاول تقليد الحمام فى مشيته فصار يتخبط (بعد أن ألنى مشيته الأصلية) فلا هو احتفظ بمشيته الطبيعية النى هى جزءً من نكوينه ولا هو أجاد مشية الحمام ، وإنما بنى حائراً متخبطاً بين بين .

وما تعانيه هذه الأقطار (التي ألغت شخصيتها الإسلامية وننكرت التاريخها الإسلامي وأهالت التراب عليه) من قاق واضطراب وعدم استقرار في شي نواحيها ، ليس له سبب إلا أن قادتها ومفكريها المسئولين حاولوا أن يكونوا لها شخصية جديدة ، قوامها مزيج من مذاهب وعقائد وأفكار عربية دخيلة ، ترفضها طبيعة هذه الشعوب ولا تنسجم ممها في قليل أو كثير .

وإن اليوم المشهود الذي تبدأ فيه هذه الأمة سيرها في الطريق المستقيم ، طريق الوحدة والتكاتف والعزة والاستقرار هو اليوم الذي تعود فيه هذه الأمة إلى إطار شخصيتها الإسلامية الحقيقية التي قوامها عقيدة القرآن ، وترى عنها أثواب كل الشخصيات الأجنبية الدخيلة

المستعارة ، التي قوامها عقائد ومذاهب وأفكار هي أساس الشخصية · الإسلامية على طرق نقيض ، وتفتح صفحات تاريخها الإسلامي المجيد لتنتشر موجات نوره الساطع في فصل المدرسة ومدرج الكلية ومقعد النادي وثكنة الجيش ، لينظر فيه الطالب بوعي وتبصر وفهم وإدراك ليستخلص من روائع هذا التاريخ ما يكون له حافزاً ومشجعاً على التمسك بالمبادئ القويمة والعقائد البناءة المستقيمة الني صنعت أولئك الأفذاذ من الأبطال والقادة والمفكرين الذين قامت على كواهلهم دعائم هذا التاريخ المشرق الشامخ الذي لا يزال فم الدنيا محشواً بذكراه العاطرة ، وفي مقدمتهم الأبطال الأوائل من صفوة هذه الأمة (المهاجرون والأنصار) الذين خاضوا (بضراوة عدها زُخر الإنمان) معركة المصير هذه ــ معركة أخُد ــ الني هي موضوع كتابنا هذا ، والتي نرجو أن نكون (بوضع تفاصيل هذه المعركة بين يدى الشباب المؤمن بربه ودينه والمعتز بتاريخه) قد أَدّينا بعض مايجب علينا نحو ديننا وأمتنا وتاريخنا .

والله أسأل أن يمدنا بمونه وتوفيقه وأن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه تعالى ، وأن يجنب أعمالنا عيوب السمعة والرياء المحبطة إنه سميح مجيب ، (وله الكبرياء في السهاوات والأرض وهو العزيز الحكيم) (١)

رمضان المبارك ١٣٨٣ هـ فبراير ١٩٦٤ م . عمد أحمد باشميل

مكة المكرمة ــ المملكة العربية السعودية .

[.] ٢٦ : 행내 (1)

أحسد

أُحُد (بضم أوله وثانيه) جبل شهير من جبال المدينة المنوّرة ، ويقع على بعد حوالى أربعة كيلو مترات منها .

ويفصل جبل أحد عن المدينة وادى قناة الذى يانى من شرق المدينة الذى يمر حذاء جبل أحد منجها نحو الغرب حتى يصب فى زغابة . أما وصف جبل أحد الطبيعى ، فهو صخرى من الجرانيت وطوله من الشرق إلى الغرب سنة آلاف متر ، وفيه رؤوس كثيرة وهضبات شتى ، من كثرتها يكاد الناظر إليه ، يتخيلها جبالاً شبه مستقلة ، أو يخيل إليه أن أحداً هذا هو عبارة عن جبال كبار وصغار مرتبطة بعضها ببعض ، ومن مجموعها العمومى تشكلت وحدة هذا الجبل .. ومن تلاصق هذه الجبال ووجود منفرجات بينها تكونت فى أحد المهاريس التى هى نقر طبيعية لحفظ المياه المتحدرة من أعالى الجبل ..

وقد وقعت المعركة بالقرب من سفوح هذا الجبل من الناحية الجنوبية في بطن وادى قناة وما حواليه من السهول.

⁽١) آثار المدينة المنورة ص ١٤١ للسيد عبد القدوس الأنصاري -



منظر عام لجانب من جبل أحد ، وقد ظهر أمامه الفضاء الواسع الذي يقع بيته وبين المدينة .



المؤلف يتسلق إحدى هضاب جبل أحد أثناه تجواله حول مواقع المركة

وقد ورد في الحديث الشريف و أحد جبل بحبنا ونحبه . .

وفى فم الشَّعب من هذا الجبل عسكر الذي عَنَيْكَ بجيشه ، وبهذا احتل مركزاً مرتفعاً ممتازاً أجبر المشركين على قبول المعركة عنده ، مما ساعد المسلمين على إنزال الهزيمة بالمشركين فى الصفحة الأولى من المعركة ، ويسر لهم الانسحاب بانتظام إلى هضاب جبل أحد بعد الانتكاسة .

وفى فم الشِّعب من أحُد توجد مقبرة الشهداء الذين صرعوا في معركة أحد ، ولا يعرف الآن (على وجه التحديد) من قبور هؤلاء الشهداء ،



الواقف فى جدول الماء من بطن وادى قناة ، هو الشيخ سيف بن سميد اليانى رئيس هيئة الأمر بالمعروف فى المدينة الذى تكرم مشكوراً فساهم مساهمة كبهرة فى إرشادنا إلى أماكن كثيرة لها علاقة بالمعركة كنا تجهلها ،

سوى قبر سيد الشهداء حمزة بن حبد المطلب وعبد الله بن جحش رضى الله عنهما اللذين دفنا فى قبر واحد ، ويوجد هذا القبر على مرتفع من فم الشعب مما يلى وادى قناة ، وتقم شمال هذا القبر مقبرة الشهداء الآخرين رضى الله عنهم .

جبسل عينين

أما جبل عينين ، وهو المسمى بجبل الرماة ، فهو جبل صغير يغلب عليه لون الاحمرار ، وهو يقع جنوب فم الشعب الذى اتخذه الرسول معسكراً لجيشه قبل المركة ، ويبعد عن نقطة هذا المسكر حوالى ستين متراً ، ويقع هذا الجبل غلى الضفة الجنوبية لوادى قناة الذى يفصل بينه وبين جبل أحُد .

وفى جبل عينين هذا أمر الرسول عنين أن تتمركز فصيلة من رماة النبل قوامها خمسون رامياً ، وقد تمركزت فى الجبل بقيادة عبد الله ابن جبير (۱) ، وقد كان هدف الرسول من تمركز هؤلاء الرماة في هذا الجبل حماية مؤخرة المسلمين من أن تضر بها خيالة المشركين من الدخلف عند احتدام المركة .

⁽۱) هو عبد الله بن جبير بن النعمان الأوسى الأنصارى أحد البدريين ومن الذين شهدوا بيعة العقبة في منى ، استشهد رضى الله عنه عندما عصاه جنده من الرماة وتركوا الجبل وثبت هو مكانه حتى كر عليه خالد بن الوليد بفرسانه الذين قاتلهم حتى قتل ومن ثبت من الرماة رضى الله عنهم .

الفضياللافك

مجمل الأحداث السياسية والعسكرية بين معركتي بدر وأحد

عندما هاجر النبي وَلِيَّالِيْهِ إِلَى المدينة وجُد بها يهوداً (۱) توطنوا فيها ، وعلى الرغم من الاختلاف الذي بين الإسلام واليهودية ، فإن النبي وَلِيَّالِيْهِ ، لم يتخذ (ابتداء) ضد اليهود أي موقف من مواقف النبي أو التضييق أو التضييق أو المصادرة (بسبب الاختلاف في الدين) .

⁽۱) اليهود هي الأمة المشهورة في ناريخ العالم ببني إسرائيل ، أصلهم من الساميين ، وحلوا تحت قيادة إبراهيم عليه السلام ، في القرن (الثالث والعشرين) قبل الميلاد ، ونزلوا بأرض كنعان (جنوب الشام) وقد تكاثر اليهود بمصر أيام حكم نبي الله يوسف لها ، وذلك أن يوسف عليه السلام هو ابن بعقوب (الذي هو إسرائيل) فقد أحضر يوسف بني إسرائيل إلى مصر (باعتبارهم إخوة له كما هو مشهور) فتكاثروا في مصر لأنهم مكثوا فيها أربعة قرون ، ولكنهم بعد ذلك لقوا من ماوك مصر اضطهاداً فأرسل الله إليهم موسى فأنقذهم من فرعون كما هو معروف في القرآن .. ويرجع عهد وجود اليهود في المدينة (كما جاء في دائرة معارف فريد وجدى) إلى سنة ١٦٠٠ قبل المسيح ، اليهود في المدينة (كما جاء في دائرة معارف فريد وجدى) إلى سنة ١٦٠٠ قبل المسيح ، فركك أن موسى و هو في طريقه إلى فلسطين أرسل فرقة منهم لتكتشف له تلك الجهات فسار وا إليها وبلغهم موته ثم ساكنوا العرب في أرضهم (يثرب) .

بل رضى (عن طيب خاطر) أن يبنى هؤلاء اليهود في المدينة ، (مواطنين) أحراراً لهم دينهم وللمسلمين دينهم ولم يحدث أن أجبر الرسول وَاللهِ أحداً من هؤلاء اليهود على الدخول في الإسلام .

المعاهدة بين الرسول واليهود

بل لقد ذهب وَيُنْكِيْ إلى أبعد من هذا ، حيث عقد مع هؤلاه اليهود (رغبة منه في شيوع السلام في المنطقة) معاهدة تضمنت عدم الاعتداء والدفاع المشترك عن منطقة يثرب .

ومن أهم ينود هذه الماهدة:

أ ــ الدفاع المشترك

فقد جاء (في المعاهدة) بهذا الخصوص.

ووأن الله على أتنى ما في هذه الصحيفة وأبرًه ، وأنه لا تجارُ قريش ولا من نصرها ، وأن بينهم (أى المسلمون واليهود) النصر على من دهم يثرب .

وإذا دعوا إلى صلح يصالحونه ويلبسونه ، فإنهم يصالحونه ويلبسونه .

وأن البهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين ، وأن بينهم النصر على من حارب أمل هذه الصحيفة (أى صحيفة الماهدة) وأن بينهم النصح والنصيحة ، والبرّ دون الإثم ، وأن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم و .

ب ـ عدم الاعتداء وحس الجوار

وجاء (في صلب المعاهدة) بهذا الخصوص .

و وأن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة . وأن الجار كالنفس . غير مضار ولا آثم ، وأنه لاتجار حرمة إلا بإذن أهلها ، وأن البر دون الإثم ، لا يكسب كاسب إلا على نفسه ، وأنه لا يحول هذا الكتاب (أى صك الماهدة) دون ظالم أو آثم . وأنه من خرج آمن ، ومن قمد آمن بالدينة . إلا من ظلم (بفتح أوله) أو أثم ه

ج ... حرية العقيدة للفريقين

ومذا الشأن جاء (في صلب الماهدة) .

و وأن يهود بنى عوف أمة مع المؤمنين ، للبهود دينهم وللمسلمين دينهم . مواليهم وأنفسهم ، إلا . من ظلم (بفتح أوله) أو أثم فإنه لا يوتغ (أى لا يهلك) إلا نفسه وأهل بيته ، وأن ليهود بنى النجار مثل ما ليهود بنى عوف ، مثل ما ليهود بنى عوف ، وأن ليهود بنى عوف ، وأن ليهود بنى جشم مثل ما ليهود بنى عوف ، وأن ليهود بنى جشم مثل ما ليهود بنى عوف ، وأن ليهود بنى عوف ،

وكانت هذه المعاهدة قد عُقِدَت بين المسلمين والبهود عقب هجرة النبي عَبِيْنَالِيْهِ مَنْ مكة وقبل معركة بدر .

⁽۱) سيرة ابن هشام ج ۱ ص ٥٠٣ – ٤٠٠٠ :

سلسلة المتاعب الذاخلية

وقد كان النبي الله المنظم على تنفيذ ما جاء في هذه المعاهدة ، وفعلاً لم يأت من جانب المسلمين ما بخالف حرفاً واحداً من نصوصها .

ولكن اليهود، بعد انتصار السلمين في بدر أخد القلق يساورهم، وازداد حقدهم على الإسلام والنبي عليه أن يجمع الذي الناس على الإسلام، فيهدم بذلك سيطرة اليهود المادية والسياسية المبنية على تفرّق العرب وتناحرهم وعصبيتهم وتقاتلهم المشهور في الجاهلية.

ولهذا عادت لليهود طبيعتهم المشهورة فى نكث العهود ، وبتك المواد ، وبتك المواثيق ، وأخذوا يفكرون (جدياً) فى الكيد للإسلام والإطاحة بالنبى وأتباعه ، بالرغم من المواثيق التى أبرموها والعهود التى أعطوها .

اليهود ينقضون المعاهدة

وهكذا صار المسلمون (بعد انتصارهم فى بدر) يواجهون سلسلة من المتاعب والقلاقل داخل المدينة التى اجتهد اليهود (يساندهم المنافقون) فى إثارتها لإشغال المسلمين وتفريق كلمتهم .

لقد كان الرسول حريصاً على أن يستنب الأمن في المدينة . وأن يتعايش سكانها (على اختلافهم في الدين) تعايشاً سلمياً كما هي طبيعة دعوة الإسلام وليتفرغ لمواجهة الهجمات التي كان يتوقعها من مشركي العرب ، وخاصة أهل مكة الذين بات من المؤكد (لدي المسلمين) أنهم سيقومون بحرب شاملة (۱) ضدهم ليردوا اعتبارهم الذي فقدوه في معركة بدر.

ولكن اليهود (على الرغم من تظاهرهم بحب السلام ورغبتهم فى التعايش مع المسلمين سلمياً) أخذوا يبحثون لهم كل يوم عن متاعب جديدة، فصاروا يثيرون القلاقل ضد النبى ، ويتحدون شعور المسلمين ويستفزونهم.

بل إن البعض من هؤلاء أخذ يدعو (علناً) إلى محاربة المسلمين ، ويغرى قبائل العرب الوثنية بهم ويحرضهم على قتالهم ، خلافاً لنصوص المعاهدة المعقودة بين المسلمين واليهود .

وكان المسلمون (مع هذا) يقابلون كل ذلك بصبر عظيم وحلم واسع، ويحاولون (جهدهم) تذكير اليهود وإعادتهم إلى جادة الصواب بالطرق السليمة.

ولكن اليهود تمادوا في غيهم ، وازداد طغيانهم ، فتوسعوا في تحرشاتهم بالمسلمين وأكثروا من تحدياتهم واستفزازاتهم .

فتنة يهود بنى قينقاع

وكان بنو قينقاع (وهم من سكان المدينة) أول من أثار الشغب على

⁽١) قال اللواء الركن محمود شيت خطاب: الحرب الشاملة أو الحرب الاجتماعية مصطلح عسكرى يراد تحشيد كافة الإمكانات المادية والمعنوية لنيل النصر في الحرب، وكان الألمان يباهون الأمم بأنهم أول من طبق هذه الحرب، في الحرب العالمية (الثانية) بينما طبقها المسلمون قبل أربعة عشر قرناً، قال الله تعالى: ﴿ انفروا خفافا وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ﴾

المسلمين واستفزهم وسبخر منهم واستهان بأمرهم . وكانوا من أغنياء . المدينة ، وكانت لهم حصون حربية بها .

وهم أول من نكث العهد من اليهود ، قال ابن إسحاق :

و وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ، أن بنى قبنقاع (بفتح أوله وسكون ثانيه وضم ثالثه) كانوا أول يهود نقضوا ما بينهم وبين ، رسول الله وتالية وحاربوا فها بين بدر وأحد ه ..

متحدون النبي

وعندما تفاقم أمر يهود بنى قينقاع ، واشند طغيانهم ، جمعهم النبى عليه ألله و مؤتمر عقده فى سوقهم بالمدينة) حاول فيه إصلاحهم وإرجاعهم عن غيهم . وإعادتهم إلى جادة الصواب والتزام نصوص المعاهدة المبرمة بين المسلمين ويهود ..

فنصحهم وحذرهم مغبة البغى . و ذكرهم بالنار المرّة الني جنتها قريش بوم بدر كحصيلة البغى والعدوان.

ولكن جواب يهود (إزاء هذا النصح النبوى والمحاولة الإصلاحية الصادقة) كان في غاية الوقاحة المشوبة بالغطرسة والتحدّى . حيث أجابوا النبي عليه السلام على نصحه في هذا المؤتمر بقولهم :

يا محمد . . أثرى أنّا قومك (يعنى قريش) . لا يغرنك أنك لقيت قوماً لا علم لهم بالحرب ، فأصبت منهم فرصة . . أما نحن أما والله لئن حاربناك لتعلمن أنّا نحن الناس (۱) .

⁽۱) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٤٧ :

وأمام هذا الاستفزاز والتحدى ، كظم النبي عَلَيْكِيْ غيظه وتركهم، الربني السلمون صابرين ، يَنْتظرون ما تتمخض عنه الليالي .

الشرارة الأولى

واستبد الطنيان (بيهود بنى قينقاع). فاستمروا في غيهم واستهتارهم بالمسلمين وتحرشهم بهم ، حتى كانت الشرارة الأولى التى أشعلوها (سفهاً) فأحاطوا أنفسهم بنيران الفتنة التى أذكوا لهيبها فوضعت حداً لطنيانهم وبنيهم وغدرهم.

فقد حدث أن امرأة مسلمة قدمت بحل لما لتبيعه في سوق بني ألمينة عنه ولما تفر من اليهود المنتاع ، ولما جلست إلى صائغ هناك اجتمع حولها نفر من اليهود يتحرشون بها ، ويجرحون شعورها وأرادوها على كشف وجهها ، فأبت ذلك . فعمد أحد الصاغة اليهود إلى عقد طرف ثوبها إلى ظهرها (وهي غافلة) فلما قامت انكشفت سوءتها فضحك اليهود منها وسخروا ، فاستغاثت المرأة ، وكان أحد المسلمين حاضراً فوثب على الصائغ اليهودي وقتله ، فشدت اليهود على المسلم فقتلوه .

الحصارثم اللسليم

وهكذا أشعل بنو قينقاع الشرارة الأولى ، فوقعت الحرب بينهم وبين المسلمين ، وقد أسرع اليهود إلى حصوبهم استعداداً للحرب ، واعتصموا فيها ، وكان ذلك في منتصف شهر شوال من السنة الثانية للهجرة (أي بعد معركة بدر بحوالي خمسة وعشرين يوماً).

وضرب النبى على عليهم الحصار خمس عشرة ليلة فحاربوه ، فلما اشتد عليهم الحصار اضطروا إلى التسليم ونزلوا على حكم رسول الله الله على دون قيد أو شرط . وكان الحصار بقيادة (أبى لبابة بشير بن عبد المنذر) وبعضهم يسميه رفاعة بن عبد المنذر (۱).

ومن الجدير بالذكر أن الفئات اليهودية الأخرى في المدينة وضواحيها (بالرغم من حرصهم على القضاء على المسلمين) لم يجرأوا على مساندة إخوانهم بنى قينقاع الذين وجدوا الجرأة في انفسهم لمحاربة المسملين .

رأس النفاق يتوسط

وكان عبد الله بن أبى بن سلول (١) الخزرجى (رأس المنافقين) حليفاً لبنى قينقاع فلما مكن الله رسوله منهم جاء ابن أبى إلى رسول الله وطلب منه أن يصدر عنهم (بصفتهم حلفائه) عفواً عاماً وبعد محاولات متكررة من عبد الله بن أبى أصدر الرسول على عفواً عاماً عن هؤلاء اليهود ، بشرط أن يخرجوا من المدينة ولا يجاوروا المسلمين فيها ، فخرجوا وطهر الله المدينة من شرورهم ودسائسهم .

وذكر ابن إسحاق (٢) أن يهود قينقاع لما نزلوا على حكم رسول الله، قام إليه عبد الله بن أبي بن سلول ، فقال :

« يامحمد أحسن في موالي - وكانوا حلفاء الضررج - فأبطأ عليه المحمد أبى طلبه ، فأعرض عنه فأدخل يده في جيب

⁽١) تقدمت ترجمته في كتابنا (غزوة بدر) .

⁽٢) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٤٨ .

درع رسول الله ﷺ ، فتغير لون النبى ﷺ وقال له ، أرسلنى وغضب ﷺ حتى رأوا لوجه ظللاً ، ثم أعاد ﷺ وهو مغضب (أرسلنى ويحك) قال ابن أبى :

Y والله Y أرسلك حتى تحسن فى موالى ، أربعمائه حاسر Y وثلاثمائة دارع Y قد منعونى من الأحمر والأسود ، تحصدهم فى غداة واحدة ، إنى والله امرؤ أخشى الدوائر ، فقال رسول الله : هم لك .

الجلاء عن المدينة

وقد عفا رسول الله على عن يهود بنى قينقاع على شرط أن يخرجوا من المدينة ولايجاوروا المسلمين فيها ، فرحلوا إلى أذرعات الشام (٢) ولم يبقوا هناك طويلاً حتى أهلكهم الله (٤) وقد كان بنو قينقاع أول فئة يهودية يتم إجلاؤها عن المدينة .

وبالرغم من إخماد الرسول الله المتنة بنى قينقاع وعفوه الشامل عن مثيرى هذه الفتنة فإن الاخرين من يهود ، لم يتعظوا ولم يزدادوا إلا عناداً وحقدا وتوغلاً في الكيد لرسول الله الله وصحبه ، وإثارة للقلاقل ، واغتناماً للفرص للقضاء عليه وعلى دعوته

⁽١) الحاسر: الذي لادرع له

⁽٢) الدارع: الذي عليه الدرع

⁽٣) أذرعات بالفتح ثم السكون وكسر الراء ، بلد في طرف الشام وتجاوز أرض البلقاء

⁽٤) فقه السيرة ص ١٨٦

كان كعب هذا من قبيلة طئ (٢) ثم من بنى نبهان ، وأمه من بنى النضير ، وكان غنياً مترفاً ومن المشهورين بالجمال بين العرب .

ولما بلغه انتصار المسلمين في بدر قال .. إنَّ بطن الأَرض خير من ظهرها .

وبالرغم من العهود والمواثبق التي عقدت بين المسلمين واليهود (والتي منها عدم مظاهرة قربش أو تأبيدها) فإن كعباً هذا نكث بالعهد ، وخرج من المدينة يحرّض قبائل العرب على الرسول عليها في وصل إلى مكة وأخذ يحرض قريشاً على المسلمين ، ويثير حفائظهم ويذكي حقدهم على النبي والمباؤ .

وقد لجاً هذا اليهودى الحاقد إلى كافة السبل لإثارة قريش ، وحتى الأشعار أذاعها يبكى فيها قتل بدر من المشركين والتى قال فيها يبكى أصحاب القايب :

طحنت رحى بدر لمهلك أهله ولمثل بدر نستهل وتدمير وعندما كان كعب هذا بمكة سأله أبو سفيان بن حرب .. أي

⁽١) تقدمت ترجمته في كتابنا (غزوة بدر) ١

 ⁽۲) طى (بفتح الطام) قبيلة عظيمة من قبائل كهلان ، من القحطانية ، تنتسب إلى طي و بن يشجب بن عريب بن زبد بن كهلان ، كانت مناز لهم باليمن ، ثم رحلوا عنها إلى تجدوانتشروا لكثرتهم في الحجاز والشام والعراق .

الفریقین أهدی سبیلاً ، محمد وإسلامه ، أم قریش وأوثانها ؟؟ فقال أنتم أهدی سبیلا .

فأنزل الله تعالى بهذا الشأن (ألم نر إلى الذين أونوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا، أولئك الذين لعنهم الله، ومن يلعن الله فلن نجد له نصيراً) (1).

مصرع الطاغية

ولم برجع كعب بن الأشرف من رحلته الشريرة حتى حشد (١) قريشاً لقتال النبي عَيِّبَالِيْهِ ، ولما رجع إلى المدينة أخذ يعلن العداوة ويحرِّض الناس على قتال الذي وحرب المسلمين .

ولم بكتف بهذا ، بل أخذ يتحدَّى شعور المسلمين ويشبّب بنسانهم (في أشعاره) بأسائهن الصريحة ، 1/ أدّى إلى إيذاء المسلمين .

وهكذا صار كعب بن الأشرف في منزلة العدو المحارب الذي لم يبق له عهد ولا ذمة ، حيث أصبح مصدر تهديد لأمن المسلمين وخطراً على كبانهم فأصبح من الضروري وضع حد لتصرفاته ، لتنجو الأمة من شره وبلائه ، لاسها في تلك الظروف الحرجة التي هي (بالنسبة للمسلمين) أشبه بالظروف الاستثنائية .

⁽١) النساء: ٥٢ .

 ⁽۲) مدأ التحشد (كما يقول اللواء الركن خطاب) مبدأ من مبادئ الحرب ، وهو جمع أكبر قوة عسكرية في المكان والزمان اللازمين .

فقد أصبح هذا المرابى اليهودى ومن يمالئه جبهة حربية تهدد المسلمين داخل المدينة ، لاسيما أن كعباً هذا من أغنى أغنياء العرب وله حصن منيع في ضواحي المدينة ، ومن حواليه كثير من اليهود الذين بإمكانه أن يغريهم بنقض العهد الذي بينهم وبين الرسول ، ويقوم (بالاتفاق معهم) بهجوم مفاجىء كاسح على المسلمين داخل المدينة .

ولهذا قرر النبى ﷺ التخلص من هذا العدو اللدود ، فانتدب لقتله محمد بن مسلمة الأنصارى (١) مع جماعة من الأنصار قاموا بقتله خارج حصنه بضواحى المدينة ، كما هو مفصل في أمهات التاريخ .

استكانة اليهود

وبهذا المواقف الحازمة التي اتخذها الرسول الله إزاء استهتار بني قينقاع بالعهود وعبث كعب بن الأشرف بالمواثيق تأكد اليهود ان الرسول لن يتوانى في اللجوء الى قوة حين لايجدى النصح لمن يريد العبث بالأمن وإثارة القلاقل وعدم احترام العهود والمواثيق .

وبقتل كعب بن الأشرف أسرعت الافاعى ترتجف إلى جحورها وصار لدى المسلمين مايشبه اليقين بأن اليهود لن يخاطروا بأنفسهم (في ذلك الظرف على الاقل) لإيذاء المسلمين أو ممالأة المشركين ضدهم.

⁽۱) هو محمد بن مسلمة الأوسى الأنصارى الحارثى ، من أجلاء الصحابة ، ومن الأمراء المشهورين ، شهد بدراً وكان ممن ثبت يوم أحد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد المعارك كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا تبوك ، وكان عمر بن الخطاب يعتمد عليه في مراقبة الولاة والتفتيش عليهم ، اعتزل الفتنة أيام على ولم ينضم إلى أى من الجانبين ، مات رضى الله عنه بالدينة سنة ٤٢ هـ

وبهذا استقرت الأحوال الداخلية في المدينة (نوعاً ما) وانطوى الميهود على أنفسهم ولم يحركوا ساكناً لقتل طاغيتهم (كعب بن الأشرف) بل لزموا الهدوء، وتظاهروا بأنهم عند عهدهم.

وهنا تفرغ النبى لمواجهة الأحداث الخطيرة التى توقع حدوثها خارج المدينة ، من جانب الأعراب والمشركين وخاصة قريشاً الذين تأكد للمسلمين أنهم سيقومون بحرب واسعة النطاق ضدهم انتقاماً لما أصاب قريشاً في بدر .

وفعلاً حدثت هذه الحرب المنتظرة ، فغزت قريش الباغية ، محمدا عقر داره ، بجيش بلغ ثلاثة آلاف مقاتل ، واشتبك الشرك مع التوحيد في معركة طاحنة ، دارت في ضواحي المدينة ، وهي معركة أحد التي نحن بصددها .

النشاط العسكري قبل موقعة أحد

وفيما بين معركة بدر وموقعة أحد ، حدثت مناوشات عسكرية بين المسلمين من جهة وبين قريش وبعض اليهود ومشركي العرب من جهة أخرى.

ولم يكن القرشيون والاعراب واليهود فى هذه المناوشات جبهة واحدة، وإنما كانت مناوشات متفرقة أكثرها يأتى من ناحية المسلمين ، الذين كانوا أبسط الفريقين وأسرعهم لمباغتة هؤلاء الأعداء وضربهم فى أماكنهم قبل أن يتحركوا للعدوان .

والنشاط العسكرى الذى حدث قبل معركة أحد هو أشبه بدوريات عسكرية قام بها المسلمون ، أى أنه لم تدر فى تلك الفترة مايمكن تسميته بمعارك التحم فيها الفريقان .

وبمكن تلخيص الأعمال العسكرية التي قام بها المسلمون بين معركة بدر وأُحُد كما يلي :

المحصوب المن المنتقاع : قام السلمون بحصار بهود بنى قينقاع لل حصوب المنتقل الدينة ، وكان ذلك في أوائل شهر شوال من السنة الثاللة للهجرة ، وكانت نتيجة هذا الحصار استسلام بنى قينقاع . في إجلاءهم عن المدينة ، وقد تقدم تفصيل ذلك .

النبي ميالية إلى النبي ميالية النبي ميالية النبي ميكانية إلى منازل بني سلم (١) الواقعة في فرفرة الكدر (١) وهي منطقة منازل بني سلم وغطفان (١) الواقعة في فرفرة الكدر (١) وهي منطقة نقم على الطريق التجارية الشرقية الحيوية بين مكة والشام .

وسبب القيام بهذه الدورية (1) هو أن الرسول عِيْنِكِيْنِ بلغه أن قبالل

⁽۱) سليم (بضم أوله و قتح ثانيه) قبيلة عظيمة من قيس بن عيلان من المدنانية ، وهي من قبائل مصر الشهيرة ، تقع منازل هذه القبيلة في عالية نجد ، وقد تفرعت هذه القبيلة إلى عدة عشائر وبطون ملأت السهل والجبل ، وبطلق اسم (سليم) على عدة قبائل غير عدنانية ، ومن هذه القبائل ، قبيلة سليم من جذام من القحطانية ، وقبيلة (سليم) بطن من المردان ، من عبدة من شمر القحطانية ، وقبيلة من بني مالك من جهيئة ، وقد انتشرت بطون هذه القبينة العظيمة في أفريقيا والشام والعراق ، ولا ترال عدة قبائل في العراق والسودان والأردن تسمى بهذا الاسم (سليم) حتى هذا اليوم ه

ر (۲) غطفان (بفتح أوله وثانيه) بن سعد ، قبيلة بمانية عظيمة من كهلان ، من القبيلة القبيلة عظام . نزخت هذه القبيلة القبطانية ، وهم بنو غطفان بن سعد بن مالك بن حرام بن جذام . نزخت هذه القبيلة عن اليمن واستوطئت تجد جوار بني سليم ،

رة) الدورية جماعة من المحاربين إما للاستفلاع أو الفتال .

غطفان وسلم قد كونت اتحاداً فيا بينها ، وأخذت في التحشد الخزو اللدينة ، فجرد والنبي مذه الحملة التأديبية التي بلغت قوتها مائتي راكب وقد باغت النبي والنبي هذه القبائل المحتشدة في عُقر دارها ، حيث وصل بقواته السريعة إلى مكان التحشد وداهمهم على حين غفلة منهم ففروا مجرد وصول المسلمين ، بعد أن تركوا في الوادى خمسائة بعير استولى عليها جيش المدينة ، وقد قسم النبي هذه الغنيمة أربعة أخماسها بين أفراد الجيش ، فخض كل رجل منهم بعيران ، وقد بني الرسول والنبي بجيشه في ديار سلم وغطفان ثلاثة أيام ، لإظهار هيبة المسلمين ولإرهاب الهدو ، ثم عاد أدراجه إلى المدينة دون أن يلقى حرباً ، وكانت هذه الدورية في أواخر شهر شوال من السنة الثانية الهجرة .

1 - غزوة السويق

وهى قوة مطاردة ، أَلَّفَهَا الرسول وَ اللَّهُ بسرعة ، لمطاردة القوة الفرشية التى أغارت بقيادة أبى سفيان بن حرب^(۱) على المدينة لبلا خلسة .

وتفصيل ذلك أن أبا سفيان عند رجوعه من بدر نذر ألا بمس رأسه ماء من جنابة ، حتى يغزو محمداً ، ولذلك جهز مائتى راكب من قريش وقادهم إلى منطقة المدينة ولكنه لم يجرؤ على مهاجمة المدينة بهذه القوة ، وإنما قام بأعمال هي أشبه بأعمال القرصنة ، حيث عسكر بقوته على مسافة بعيدة من المدينة ، ثم دخل إليها تحت جنح الظلام مستخفياً

⁽١) تقدمة ترجمة أبي سفيان في كتابنا (غزوة بدر الكبرى) .

ونزل على (سلام بن مشكم) اليهودي سيد بني النضير ، فأواه الخائن ودله على عورات المسلمين ، ثم رجع إلى معسكره .

ولما رجع إلى قومه أرسل منهم مفرزة (١) صغيرة فأغارت على ناحية بأطراف المدينة ، يقال لها (العريض) ليقوموا بأعمال التخريب ، وفعلاً قامت هذه المفرزة المتسللة بحرق مجموعة من النخيل وقتلت رجلين من المسلمين كانا يعملان هناك ، ثم هربت هذه المفرزة القرشية إلى معسكرها بالوادى .

وفوراً علم المسلمون بعملية التسلل هذه فسارع الرسول ، (على رأس قوة من أصحابه) لمطاردة أبى سفيان وجد فى مطاردته، ولكن أبا سفيان تمكن من الإفلات، لأن حملته كانت من الفرسان الذين ألقوا بتمويناتهم (٢) من الطعام أثناء هربهم، ليكونوا أسرع على الهروب.

وقد وصل الرسول في مطارته لأبي سفيان إلي منطقة قرقرة الكدر، ثم عاد الى المدينة دون أن يلقى حرباً، وكانت هذه الحركة في شهر ذي الحجة من السنة الثانية.

ه - غزوة ذي أمر

وهى أكبر حملة عسكرية يقودها الرسول ﷺ خارج المدينة قبل معركة أُحد ، فقد بلغ عدد رجال هذه الحملة أربعمائة وخمسين مقاتلاً مابين راكب وراجل .

⁽١) المفرزة اصطلاح عسكرى معناه جماعة قليلة خفيفة من المقاتلين .

 ⁽٢) كانت المواد التموينية لقريش يومها من السويق ، ولذلك سميت هذه الغزوة بغزوة السويق على اسم هذه المادة التي تخففوا من حملها بإلقائها للإمعان في الهرب

وسبب هذه الحملة أن استخبارات (1) المدينة ، نقلت إلى القيادة فيها، أن جمعاً كبيراً من بنى ثعلبة (1) ومحارب (1) احتشدوا بذى أمر . وأن هدفهم الإغارة على أطراف المدينة .

فسارع الرسول ﷺ كعادته فى إرهاب الأعراب ، فجهز هذه الحملة الكبيرة ، وقادها بنفسه ، لضرب هؤلاء الأعراب فى ديارهم قبل أن يتحركوا .

وفى أثناء سير الرسول ﷺ بجيشه نحو العدو ، ألقى جنوده القبض على رجل من بنى ثعلبة المقصودين بالحملة فأدخل علي الرسول ﷺ فدعاه الرسول إلي الإسلام فأسلم ، وضمه الرسول الى مفرزة بلال .

ثم قال الرجل (واسمه حباب) للنبي تله إنهم (أى بنى ثعلبة ومحارب) لن يلاقوك ولو سمعوا بمسيرك إليهم لهربوا فى رؤوس الجبال، ثم صار هذا الرجل دليلاً لجيش النبى إلى أرض العدو.

وقبل أن يصل الرسول إلي مكان تجمع تلك القبائل ، بلغهم خبر حملة المدينة فسارعوا إلي الهرب ، وتفرقوا في رؤوس الجبال ، وقد كان قائد هذا التجمع رجلاً من بني محارب اسمه (دعثور بن الحرث الغطفاني).

وقد وصل الرسول ﷺ بجيشه الى مكان التجمع وهـ و الماء المسمى (بذى أمـر) ولم يعـ د ﷺ إلـي المدينة إلا بعـد أن أقـام هـناك بجيشه

⁽١) الاستخبارات: الحصول على المعلومات عن نوايا العبو بالطرق المختلفة ، وقسم الاستخبارات يطلق عليه في بعض البول قسم الأمن ، وفي بعضها ، قسم المباحث .

 ⁽٢) هؤلاء هم بنو ثعلبة بن أمية فخذ من غطفان الذين تقدمت ترجمتهم وثعلبة اسم لكثير
 من قبائل العرب ومنها قبيلة ثعلبة من كهلان من القحطانية .

⁽٢) محارب .. بطن من هيت بن بهئة من سنيم من العدنانية ، وهي قبائل نجد .

شهراً كاملاً ، وذلك ليشعر الأعراب بقوة المسلمين ويرهب من تحدثه أنفسه بالاستخفاف بهم ، وقد كان القيام بهذه الحملة في شهر محرم من السنة الثالثة للهجرة .

محاولة اغتيال النبي

وقد حاول قائد قبائل بنى ثعلبة ومحارب الذين فروا هرباً من جيش المسلمين . حاول اغتيال النبى عَلَيْنَا وهو مسكر بذى أمر (مكان تجمع القبائل) .

وتفصيل ذلك أن مطرا أصاب الجيش الإسلامي ، ابتلت على أثره ثياب النبي على أثره ثياب السحابه فنزع الرسول على ثوبيه الوحيدين اللذبن كانا معه ، ونشرهما على شجرة ليجفا ، ثم اضطجع ، وانشغل بقية الجند كذلك بسبب ما أصابهم من المطر ، وفي هذا الظرف بالذات تسلل (دعثور قائد قبائل العدو) لاغتيال النبي على متناماً فرصة انشغال أصحابه بأنفسهم ، وكان دعثور هذا شجاعاً فانكاً ، وقد حرضه قومه على قتل النبي ، فقال لهم قتلى الله إن أقتل محمداً .

وقد نجح دعثور هذا في التسال (دون أن يشعر به أحد) حتى وصل إلى النبي الذي لم يشعر إلا ودعثور قائماً على رأسه بالسيف مصلتاً بريد الفتك به . والنبي عَيْنَا كَانَ أَعْزَلاً لم يكن في يده أي سلاح .

ئم قال دعثور للنبي مُنْتَلِّجُوْ :

من بمنعك منى الآن ٢٩ .

نقال له الذي وَلِلْكُوْ :

an)

وبيها المحاورة تدور هكذا ، إذ وقع دعثور على ظهره فجأة ، فسقط السبف من بده ، فأخذه النبي عِيْنَافِيْقِ ثم قال لدعثور (والسبف مصلت على رأسه) :

و من عندك مني و ؟؟

نقال .. لا أحد ، ثم أعلن إسلامه فوراً . فأعاد الرسول عَيَّالَيْ إليه سيغه ، وتوجه إلى قومه يدعوهم إلى الإسلام وأخبرهم أن الذي جعله يقع على الأرض حتى سقط السيف من يده ، رجل طويل دفع في صدره، وقال لهم لقد علمت أنه ملك فأسلست .

وذكر ابن كثير في البداية والنهاية أن الذي طرح دعثور على الأرض حتى سقط السيف من يده . هو جبريل الذي دفع في صدره حتى سقط على الأرض . وكانت هذه ثاني محاولة لاغتيال النبي عَلَيْتُهُ .

وقد أنزل الله تعالى في هذه الحادثة : ﴿ يِا أَيِّهَا الذِّينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نَعْمَهُ اللّٰهِ عَلَيْهُم عَلَم نعمة الله عليكم إذ همّ قوم أن يبسطوا إليكم أبديهم فكف أيديهم عنكم، واتقوا الله، وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾ (١) .

٦ _ غزوة بحران (١)

وهى دورية قنال كبيرة قوامها ثلاثمائة مقاتل ، قادها الرسول وَلَيْنَاتِهُ بنفسه إلى ديار بنى سُلَم الذين بالخه أنهم يقومون بحشد قوات كبيرة من قبائل تلك المنطقة لغزو المدينة .

⁽١) المائدة : ١١ :

⁽٢) بحران (بفتح الباء وضمها) ، قال في السيرة الحلبية ، موضع بالحجاز معروف بينه وبين المدينة ثمانية برد :

فأسرع إليهم بجيشه ، وحث السير ليباغتهم ، قبل أن يتحركوا (كما هي عادته) في تأديب الأعراب .

ولكن بنى سليم لما بلغهم أن الرسول على قد تحرك بجيشه نحوهم ، تفرقوا فى الجبال ولم يثبتوا للقاء ، ولكن الرسول (إمعاناً فى إرهاباهم) جاس بدوريته خلال ديارهم ، ولم يرحل عنها إلا بعد أن أقام بها شهرين ، وقد كان القيام بهذه الحملة فى شهر ربيع الأول من السنة الثالثة للهجرة .

٧ - سرية زيد بن حارثة

غير أن أهم هذه المناوشات (في تلك الفترة) هي تلك الحملة العسكرية الموفقة التي قادها زيد بن حارثة الكلبي (١) بعد سبعة أشهر من معركة بدر.

وتفصيل ذلك أن قريشاً بعد هزيمتهم فى معركة بدر وسيطرة المسلمين على منطقة يثرب حتى البحر غرباً أصبحوا لا يأمنون الطريق الغربية التى كانوا يمرون عبرها بتجارتهم من الشام إلى مكة والتى تمر بالقرب من يثرب .

وقد كانت هذه الطريق أيسر واقرب طريق بالنسبة لسير القوافل من مكة إلي الشام وبالعكس، فكان المكيون (عبر مئات السنين) يمرون بهذا الطريق بقوافلهم، فيدخلون الشام عن طريق الحدود الأردنية الحالية، وهي أول حدود الشام القديمة بالنسبة لجزيزة العرب، حيث كان (في ذلك الوقت) كل من سورية والأردن وفلسطين ولبنان يُعبّر

⁽١) تقدمت ترجمته في كتابنا (غزوة بدر الكبرى).

عنه بالشام ، حتى جات الحرب العالمية الثانية فحصلت التجزئة الحالية .

ولما أصبحت هذه الطريق الغربية تحت سيطرة المسلمين (تقريباً)، قرر القرشيون أن لاتمر قوافلهم مرة أخرى عبر هذا الطريق، خوف وقوعها في قبضة المسلمين، وذلك على أثر مؤتمر عقدوه في مكة، قال فيه صفوان بن أمية (۱) لقريش (وهو من كبار تجارها وقادتها).

إن محمداً وصحبه عوروا علينا متجرنا (يعنى بسيطرتهم عليالطريق الغربية) ، فما ندرى كيف نصنع بأصحابه وهم لايبرحون الساحل، وأهل الساحل قد وادعوهم ، ودخل عامتهم معه ، فما ندرى أين نسلك ، وإن أقمنا في ديارنا هذه أكلنا رؤوس أموالنا فلم يكن لها من بقاء ، وإنما حياتنا بمكة على التجارة إلى الشام في الصيف وإلى الحبشة في الشتاء .

وبعد مناقشات ومداولات تم الاتفاق بين زعماء قريش على أن تكون رحلاتهم التجارية الى الشام عبر الطريق الشرقية وهى طريق طويلة جداً تمر بأرض نجد ثم العراق حتى الشام ، وهى أطول وأكثر صعوبة من الطريق الغربية ، ولكنهم قرروا سواكها ظنا منهم أنها أكثر وأضمن سلامة من الطريق القديمة التى سيطر عليها المسلمون .

ولما كانت قريش تجهل هذه الطريق الجديدة كل الجهل ، استأجرت رجلا نجدياً من بنى بكر بن وائل (اسمه فرات بن حيان) (Y) ليدلهم على الطريق .

⁽١) تقدمة ترجمته في كتابنا (غزوة بدر الكبرى).

⁽۱) هو فرات بن ثعلبة اليشكرى ثم العجلى حليف بنى سهم ، أسرته ، دورية زيد بن حارثة عند استيلائها على عير قريش بأرض نجد ، ثم أسلم وحسن إسلامه ، وقد =

وفعلاً سافرتِ أول قافلة قرشية إلى الشام عبر هذا الطريق الجديد ، وقد سافرت هذه القافلة بقيادة صفوان بن أمية ، يرافقه أبو سفيان ابن حرب وغيره من قادة قريش .

استخبارات الرسول تكشف القافلة

وقد علم أحد رجال استخبارات الجيش الإسلامي عبر سفر هذه القافلة : فسارع إلى إبلاغ القائد الأعلى النبي عَبَيْكِيْ ذلك ، وأطلعه على تفاصيل الخطة الجديدة التي رسمتها قريش لماودة تجارتها مع الشام .

والذي نقل تفاصيل الخطة إلى الرسول عَيْنَالِيْهُ هُوسَلَيْطُ بِن النعمان (١١) وذلك أنه حضر مجلساً للشراب في اللهبنة (وذلك قبل أن تحرَّم الخمر) شم هذا المجلس (في حي اليهود) كنانة بن أبي الحقيق اليهودي ، ونعيم بن مسعود (٦) وسليط بن النعمان هذا ، وكان نعيم على دين قومه،

⁼ ذكره ابن سعد في طبقة أهل الحندق ، وكان بمن هجا رسول الله صلى الله عليه وسلم أم مدحه نقبلٍ منه ، وقد أقطعه رسول الله صلى الله عليه وسلم أرضاً بالبعامة تغل أربعةً الإف ، وذكر ابن حبان أن فرات هذا من أعرف الناس بألطرق ، والذلك الحتارته قربش ليكون دليلها في طريقها الجاديد :

⁽١) لم أعبر له على ترجمته :

⁽٢) هو نعيم بن مسعود بن عامر الأشجمي ، صحابي بليل ، كان في الجاهلية نديم يهو د بني قريظة ، أسلم في إحدى الليالي التي كانت الأحز ال (بَقْبَادة أبي سَفْبَانُ) تحاصر قيها المدينة وذلك سنة ٥ ه وقد كان نعيم هذا يعمل ضد النبي (ضمن جيش الأحز اب) فهداه الله للإسلام فأسلم ثم اتصل بالنبي (دون أن يعلم اليهود أو الأحزاب) بإسلامه ، ووضع نفسه في خدمة الرسول، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم، إنما أنت رجل واحد فخذل عنا ما استطعت ، فإن الحرب خدعة ، فقام رضي الله عنه بدور هام في النفرقة بِينَ قَادَةَ الْأَحْرَابِ وَقَادَةً بَنِي قَرِيظَةً مَا كَانَ لَهُ أَكْبِرِ الْأَثْرِ فِي تَنَازُعُهُمْ وَعَدْم لَقْتُهُمْ ببعَضهم البعض الأمر الذي جمل أبا سفيان قائد الأحزاب ، يسارع بالانسحاب و فك ٣٠

ولما أخذت الخمر من رأس نعم تحدث بالتفصيل عن قضية العير وسلوك القرشيين بها إلى الشام عبر الطريق الشرقية ، فسارع سليط ابن النعمان وأبلغ الرسول عَلَيْكِيْ ذلك .

مصادرة العير

قجهز الرسول وَلَيْكُمْ على الفور حملة قوامها مائة راكب أعطى قيادتها لزيد بن حارثة الكلبي وأمره بالتوجه نحو الطريق الشرقية الجديدة التي سلكتها قافلة قريش ، والتربص بهذه القافلة والاستيلاء عليها .

فاتجه زيد بحملته مسرعاً نحو نجد يتحسس خبر العير.

وإذا كان أبو سفيان قد نجحت مخابراته في اكتشاف حملة المسلمين التي خرجت من المدينة بقيادة الرسول ، للاستيلاء على عير قريش قبل سبعة أشهر ، ونجا بهذه العير التي نشبت - بعد إفلاتها - معركة بدر الكبرى ، فإن مخابرات العير هذه المرة لم تنجح في اكتشاف حملة زيد بن حارثة ، التي بوغتت بها مباغتة كاملة وأخذت على حين غرة ، ولعلها ما كانت تتوقع أن دوريات المسلمين العسكرية سيصل نشاطها إلى ذلك المكان البعيد .

فني مكان بنجد يقال له قردة (بالتحريك) (١١ دم زيد بن حارثة

الحصار عن المدينة وترك بنى قريظة يلقون (على أيدى المسلمين) جزاء خيانتهم العظمى ، كما سنفصل ذلك في كتابنا القادم (غزوة الحندق وبنى قريظة) إن شاء الله : قتل نعم بن مسعود في أول خلافة على في وقعة الجمل ، وقبل مات أيام عنان .

⁽١) قالُ البغدادي في كتابه مراصد الاطلاع .. قردة (بالتحريك) ما أسفل مياه الثلبوت بنجد في الرمة مبني نعامة :: والرمة (بضم أوله مع التشديد) واد معروف بعالية ٣٠

عير قريش وهى نازلة على الماء فلم يكن من صفوان بن أمية وأبى سفيان ومن معهما من حرس القافلة إلا ينجوا بجلدهم ، ففروا وتركوا العير دون أن يبدوا أية مقاومة .

فاستولت دورية المسلمين على تلك العير دون قتال ، ووقع فى أسر الدورية ثلاثة من حرس القافلة ، منهم دليلها (فرات بن حيان) .

وقد كانت الغنيمة في الغزوة عظيمة جداً ، وكان أكثرها من الفضة والأنية ، وقد قدرت قيمتها (على ماذكره ابن كثير) بمائة ألف ، قسم الرسول ﷺ أربعة أخماسها على أفراد الحملة ، واحتفظ بخمس واحد للمصلحة العامة .

وبمصادرة هذه العير ، اشتد قلق قريش من المسلمين ، وازداد حقدها وحنقها عليهم وازدادت تصميماً على غزوهم في ديارهم.

⁼ نجد ، وقال ابن دريد ، الرمة قاع عظيم بنجد تنصب فيه جملة أودية ، وقال الأصمعى بطن الرمة واد عظيم يدفع عن يمين الفلجة الدثينة .

القصل الثاني

- * رسم الخطط الاستعدادات
 - * الاستحضارات التحركات
 - * تحديد مكان المعركة .

أسياب المعركة

نشبت هذه المعركة الهائلة بين المسلمين والمشركين يوم السبت الموافق الخامس عشر من شهر شوال سنة ثلاثة من الهجرة .

وقد كانت هذه المعركة ثانى معركة دامية طاحنة يخوضها المسلمون ضد مشركى مكة ، وهى أعظم من معركة بدر (حيث كثرة الاستعداد وضخامة القوات التى اشتبكت فيها).

وسبب هذه المعركة ، هو أن قريشاً لما هزمت في معركة بدر ، وفتك المسلمون بقادتها وزعمائها ، وهدموا هيبتها في نفوس العرب ، صممت على الانتقام من المسلمين ، وقررت (استعادة لهيبتها) مهاجمة المسلمين في عقر دارهم .

فقد مشى زعماء مكة بعضهم إلى بعض وتذاكروا فيما لحق بهم من خزى وعار نتيجة الهزيمة التى نزلت بهم واتفقوا فيما بينهم على أنه لايمكن محو هذا العار إلا بغزو المسلمين في ديارهم ، وأن هذا هو السبيل

الوحيد لاستعادة مركزهم الممتاز الذي فقدوه بين سكان الجزيرة على أثر هزيمتهم في موقعة بدر .

الاستعداد للمعركة

وبينا كان المسلمون (عقب معركة بدر مباشرة) يقومون بحركاتهم العسكرية وتنظياتهم الاجتاعية. ، (داخل المدينة ، وخارجها) لتوطيد سلطانهم وتأمين قاعدة دعوتهم (المدينة) ، كانت قريش من جانبها تقوم باستعدادات واسعة النطاق لخوض المعركة الفاصلة التي قررت خوضها مع المسلمين في ديارهم .

وقد كان عكرمة بن أبي جهل (١) وصفوان بن أمية ، وأبو سفيان ابن حرب ، وعبد الله بن أبي ربيعة (١) ، أكثر زعماء قريش نشاطأ وتحسأ لخوض المعركة ، فقد كان هؤلاء هم المحرك الدائم لقبائل قريش ، بل ولن جاورها من قبائل كنانة وثقيف ، وتهييجهم ضد النبي وتحريضهم على الاشتراك في حربه .

لميزانية الحملة

وكان أول هذه الاستعدادات العملية ، هو وضع ميزانية ضخمة لتمويل هذا الغزو الذى قررت مكة القيام به إلى أرض يثرب لضرب المسلمين فيها .

⁽١) نقدمت ثرجمته في كتابنا (غزوة بدر الكبرى) :

⁽٢) لم أعبر له على ترجمة إلا أن ابن بر هان الدين ذكر في السيرة أنه أسلم:

فقد اجتمع زعماء قريش في برلمانهم (دار الناوة) للتشاور في الأمر؛ وبعد مناقشات ومداولات ، وافقوا بالإجماع على افتراح قدمه كل من هكرمة بن أبي جهل ، وصفوان بن أمية وعبد الله بن أبي ربيمة ، يقضي برصد خمسين ألف دينار ذهبا (وهو ما يساوى اليوم حوالى مليون ريال سعودى) كميزانية لذلك الغزو ، كما وافق (برلمان قريش) بالإجماع هل أن يكون هذا الرصيد من أموال العير المشؤومة التي نجالها أبو سفيان من قبضة جيش المدينة قبل مهركة بدر بقلبل .

فقد احتجزت قريش ذلك العير وأوقفتها في دار الندوة ولم تعط لأربابها شيئاً منها حتى اتخذت قريش ذلك القرار الذي بقضي برصد ميزانية العزو من أموال هذه العير (١).

وقد أنزل الله تعالى في تدبيرات قريش الحربية هذه قوله:

(إنَّ الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدّوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يُخلبون) (٢) .

المتطوعون فى الغزو

كما وافق برلمان قريش على (اقتراح قدّمه صفوان بن أمية) يقضى بفتح باب التطوع لغير القرشيين من القبائل المجاورة للمشاركة في غزو المسلمين ، على أن ترسل قريش مندوبين للقيام بهذه المهمة ، لتشجيع قبائل كنانة على هذا التطوع .

⁽١) انظر السيرة الحلبية ج ٢ ص ١٣:

⁽٢) الأثنال : ٢٦ :

وقد اختارت قريش لهذه المهمة شاعرين من قبيلة (جُمح القرشية) أحدهما مسافع بن عبد مناف بن وهب بن حذافة بن جمح (بضم الجم وفتح الميم) $(^{(1)}$ والثانى أبو عزة (عمرو بن عبد الله الجمحى) $(^{(1)}$ أما أبو عزة فقد استدعاه صفوان بن أمية (وكان من أغنياء قريش) وطلب منه القيام بمهمة تحريض قبائل كنانة على التطوع لحرب محمد قائلاً:

(ياأبا عزة إنك امرؤ شاعر ، فأعنًا بلسانك ، فقال : إن محمداً قد من على فلا أريد أن أظاهر عليه).

فأغراه صفوان قائلاً:

فأعنًا ، فلك الله على إن رجعت أن أغنيك ، وإن أصبت أن أجعل بناتك مع بناتى يصيبهن ماأصابهن من عسر ويسر) ، فانصاع أبو عزة لإغراء صفوان .

فخرج الشاعران إلى قبائل كنانة يحضانها على الاشتراك مع قريش في حرب النبي ﷺ .

وكان مما قاله مسافع يحرض بنى مالك من كنانة ، ناشداً إياهم الرحم والجوار:

يامال ، مال الحسب المقدم أنشد ذا القربى وذا التذمم من كان ذا رحم ومن لم يرحم الحلف وساط البلد المحرم عند حطيم الكعبة المعظم

⁽١) قال في السيرة الطبية إن مسافعا هذا لايعام له إسلام ، لكن في كلام ابن عبد البر : مسافع بن عياض بن صخر القرشي التيمي له صحبة ، وكان شاعراً .

 ⁽٢) أبو عزة هذا أسره المسلمون في غزوة بدر ، ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم من عليه لفقره ولكثرة بناته ، على أن لايظاهر عليه أحداً ، ولكنه غدر ، فأسر مرة أخرى في معركة أحد فضريت عنقه .

ومما قاله أبو عزة داعياً كنانة إلى محاربة المسلمين :

إيهاً بنى عبد مناة الرزام أنتم حماة وأبوكم حام وتعدوني نصركم بعد العام لاتسلموني لايصل إسلام

وقد نجح هذا الشاعران في مهمتهما حيث أقنعا كثيراً من أفراد قبائل كنانة المجاورة لقريش بالتطوع في جيش مكة لغزو المسلمين.

مبلغ قوة قريش الغازية

وقد بلغت قوة قريش فى هذه الحملة ثلاثة آلاف مقاتل . منهم : ألفان وتسعمائة من قريش ومواليها وأحابيشها (١) ومائة من قبائل كنانة المتطوعين .

أما سلاح النقليات فقد كان في هذه الحملة ثلاثة آلاف بعير ومعهم من سلاح الفرسان مائتا فرس جنّبوها حتى أحد أما سلاح الوقاية فقد كان لهم منه سبعمائة درع .

توزيع القيادة

وقد انتخبت قريش أبا سفيان بن حرب قائداً عاماً للجيش كما أعطت قيادة سلاح الفرسان لخالد بن الوليد (٢) بمعاونة عكرمة بن أبى جهل .

⁽١) الاحابيش قبائل غير قرشية ، وهم بنو المصطلق وبنو الهون بن خزيمة ، حالفوا قريشاً ، وسبب تسميتهم بالأحابيش هو أنهم اجتمعوا عند جبل اسمه حبشى يقع أسفل مكة ، وتحالفوا عنده على أنهم مع قريش يداً واحدة على غيرهم ماسجى ليل ووضع نهار وما رساً حبشى مكانه ، فسموا أحابيش باسم الجبل

 ⁽٢) هو خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي القرشي ، سيف الله ، القائد المظفر الشهير
 والصحابي الفاتح الكبير، كان من أشرف قريش في الجاهلية ، يلي أعنة الخيل في =

كما أسندت مهمة حمل اللواه (وهو علم الجيش) إلى بني عبد الدار ابن قصي .

وكان حامل اللواء عند الصدمة الأولى طلحة بن أبي طلحة العبدرى الله كان أول قتيل من حملة اللواء الذين أبادهم المسلمون في أول المعركة عن بكرة أبيهم حتى سقط لواة قريش على الأرض ونزلت بهم الهزيمة .

نساء القادة في الجيش

وزيادة من قريش في التصميم على القتال ، ولئلا بحدّث أحدً منهم نفسه بالفرار من المعركة استصحب قادة قريش معهم نساءهم إلى المعركة .

وكان عدد النساء اللواتي خرجن مع الجيش إلى أُخُد خمس عشرة المرأة .

فه فرج أبو سفيان بن حرب بزوجته هند ^(۱) بنت عتبة بن ربيعة .

[&]quot;المروب لها، شهد مع المشركين حروب الإسلام إلى عمرة الحديبية أسلم هو و عمرو ابن العاص قبل فتح مكة سنة ٧ ه، فسر وسول الله بإسلامه وولاه قيادة الحيل، وجهه أبو بكر الصديق لمحاربة المرتدين في نجد، فأخضعهم بعد أن قتل مسلمة الكذاب، ثم توجه إلى السراق سنة ١٢ ه فقام بفتح جانب عظيم من العراق، ثم توجه إلى الشام (بأمر الخليفة أبى بكر) و تولى قيادة الجيوش فيها لحرب الروم، عزله عمر بعد أن تولى الحلافة وولى أبا عبيدة بن الجراح مكانه، فلم يثن ذلك من عزيمته بل ظل يقاتل بإخلاص بين يدى أبى عبيدة إلى أن تم لهما الفتح عام ١٤ ه، قال فيه أبو بكر الصديق و عجزت النساء أن يلدن مثل خالده ووى البخارى ومسلم له ١٨ حديثاً، توفى وضى الله عنه بحمص (في سورية) عام ٢١ ه،

وخرج عكرمة بن أبي جهل بزوجته ، أم حكيم (١) بنت الحارث ابن مشام بن المغيرة .

وخرج الحارث بن هشام بن المغيرة ، بزوجته فاطمة بنت الوليد (٢٦) ابن المغيرة .

سزوجها الأول الفاكهة بن المغيرة المخزوى ، كانت فصيحة جرئية صاحبة رأى وحزم ، ومن كلامها المأثور و المرأة غل لابد العنق منه فانظر من نضعه في عنقك ، أسلمت بوم فتح مكة ، وكان الذي قد أهدر دمها فيا أهدر ، فجاءته مع بعض نساء قريش إلى الأبطح ، فأعلنت إسلامها ، فرحب بها الرسول ، وعندما أخذ الرسول البيعة على النساء وكانت بيئهن قال (ضمن شروط البيعة) وأن لا يسرقن ولا يزنين ، فقالت هند مستغربه (وهل ثرني الحرة أو تسرق يا رسول الله ٢٩) و لما قال و ولا يقتلن أولادهن و قالت هند : (ربيناهم صفاراً وقتلتهم أنت بيوم بدر كباراً) وكان لها صنم تعبده في بيتها : فلما أسلمت عادت إليه وأخذت نضر به بالقدوم حتى حطمته وهي تقول : كنا منك في غرور ، كانت هند من أشد الناس عداوة الذي صلى الله عليه وسلم في الجاهلية ، شهدت هند معركة البرموك وكانت تحرض على قتال الروم ، وكانت طموحة للغاية ، نظر بعض معركة البرموك وكانت تحرض على قتال الروم ، وكانت طموحة للغاية ، نظر بعض العقلاء إلى ابنها معاوية وهو معها ، فقال لما .: إن عاش ساد قومه ، فقالت نكلته إن لم يسد إلا قومه ، قالت نكلته إن

(۱) هي أم حكيم بنت الحارث بن هشام المخزومية ، أسلمت بعد فتح مكة مباشرة ، وكان زوجها عكرمة عمن أهدر الرسول دمهم ولو تعلقوا بأسنار الكعبة ، فهرب زوجها إلى اليمن ، فأخذت له أماناً من رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهبت إليه و أحضر ته معها ، فأسلم وحسن إسلامه ، و لما استشهد زوجها في البرموك نزوجها بعده خالد بن سعيد ابن العاص قائد إحدى كتائب جيش الشام ، وهم في الميدان ، و لما كانت معركة (مرج الصفراء بالشام) أراد خالد أن يدخل بها و المحركة على الأبواب ، فقالت له : لو نأخرت الصفراء بالشام) أراد خالد أن يدخل بها و المحركة على الأبواب ، فقالت له : لو نأخرت في يهزم الله هذه الجدوع ، فقال رضى الله عنه إن نفسي تحدثي أنى أقتل ، قالت فلونك ، فأعرس بها ثم أقبلت جيوش الروم صبيحة تلك اللبلة ، فنشبت المحركة بين الروم و المسلمين فاقتتلوا على النهر فاستشهد زوجها خالد بن سعيد كما استشهدت هي أيضاً يوم ذاك بعد أن قتلت (بعمو د الفسطاط الذي أعرس بها خالد فيه) سبعة من الرومان أيضاً يوم ذاك بعد أن قتلت (بعمو د الفسطاط الذي أعرس بها خالد فيه) سبعة من الرومان قكر ذلك ابن حجر في الإصابة :

(٢) همى قاطمة بنت الوليد بن المغيرة أخت خالد بن الوليد ، أسلمت يوم الفتح وبايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم صحابية كريمة كانت عاقلة ذات رأى ، وكان

وخرج صفوان بن أمية بزوجته برزة (1) بنت مسعود بن عمر الثقفية.

وخرج عمرو بن العاص بزوجته ريطة (٢) بنت منبه بن الحجاج وخرج طلحة بن أبى طلحة بسلاقة (٣) بنت سعد بن شهيد الأنصارية وخرجت ، خناس بنت مالك بن المضرب إحدى نساء بنى مالك مع ابنها أبى عزيز ابن عمير ، وهى أم مصعب بن عمير حامل لواء المسلمين رضى الله عنه .

وخرجت عمرة بنت علقمة ، إحدى نساء بنى الحارث بن عبد مناة من كنانة .

التحريض على اغتيال حمزة

وقبل خروج الجيش من مكة ، دعا جبير بن مطعم (٤) غلاماً

⁼ أخوها خالد (على عظم منزلته العسكرية) يستشيرها في بعض أمره ، خرجت مع زوجها الحارث الى الشام في الغزو، روت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثاً واحداً

 ⁽١) هي برزة بنت مسعود بن عمرو بن عمير الثقفي ، أسلمت مع زوجها صفوان بن أمية عام الفتح .

 ⁽۲) هى ريطة بنت منبه بن الحجاج السهمية ، وهى والدة عابد الصحابة (عبد الله بن عمرو بن العاص) أسلمت بعد زوجها ، وذلك يوم الفتح على ماذكره الواقدى ، وكانت ممن بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

⁽٣) هي سلاقة بنت سعد الانصارية الأوسية والدة عثمان بن طلحة ، قتل عنها زوجها (قائد كتيبة لواء المشركين يوم أحد) صحابية أسلمت عام الفتح ، وهي التي كان عندها مفتاح الكعبة يوم فتح الرسول مكة .

⁽³⁾ جبير بن مطعم (بضم أوله وسكون ثانيه وكسر ثالثه) بن عدى بن نوفل بن عبد مناف القرشى كان من زعماء قريش فى الجاهلية ، أسلم وحسن إسلامه ، فهو صحابى جليل، وكان من كبار علماء قريش وسسادتهم ، وهسو من أعسرف قريش بأنسساب العرب ، =

له حبشياً اسمه (وحشى)(١) كان يقذف بحربة له قذف الحبشة قلما يخطىء بها، دعاه وطلب منه أن يخرج مع الجيش ، وطلب منه أن يترصد حمزة ابن عبد المطلب ويغتلاه بالحربة ، وقال له :

إن أنت قتلت حمزة عم محمد بعمى طعيمة بن عدى (وكان حمزة هو الذى قتله يوم بدر) فأنت عتيق ، فوعده ذلك ، وفعلا قام الحبشى باغتيال سيد الشهداء حمزة رضى الله عنه والمعركة على أشدها كما سيأتى تفصيل ذلك إن شاء الله .

جيش مكة يتحرك نحو المدينة

وبعد أن أتمت قريش استحضارات الحركة ، وأتمت كامل تجهيزاتها أخذت في التحرك بجيشها الضخم نحو المدينة

وكان جيش مكة هذه المرة على غاية من التنظيم والاستعداد ، وقد تجنب قادة مكة الاختلاف هذه المرة فلم يحدث أى شقاق فى الرأي حتى انتهت المعركة .

نشاط الاستخبارات النبوية

وكان العباس بن عبد المطلب (عم النبى الله عليه المدينة بعد إن تم إطلاق سراحه من الأسر بالفداء الذى دفعه عن نفسه ، كما فصلنا ذلك في كتابنا (غزوة بدر الكبرى).

⁼ فقد عده الجاحظ في النسايين ، وفي الاصابة ، كان كانسب قريش لقريش والعرب قاطبة روى له البخارى ومسلم ستين حديثاً ، توفي رضي الله عنه عام تسعة وخمسين هـ

⁽۱) هو وحشى بن حرب ، أبو دسمة ، من موالى بنى نوفل ، كان من أبطال الموالى فى الجاهلية ، صحابى أسلم مع وقد أهل الطائف ، شهد معركة اليرموك ، وشهد =

ولكنه بالزغم من عدم إسلامه آنذاك فقد كان مخلصاً لابن أخيه النبي وتالله ، فكان بخشى عليه الفؤائر ، وكان لذلك يرقب حركات قريش واستعداداتها العسكرية .

ولما أتمت قريش تجهيزات جيشها وأخذ هذا الجيش في التحرك أرسل من مكة رسالة مستعجلة ، مع أحد رجاله الأمناء ، ضمّن هذه الرسالة التفصيلات الكاملة عن حملة مكة ، فذكر فيها عدد القوات واليوم الذي خرجت فيه وغير ذلك مما يجب أن يعرفه الرسول واليلية ، عن جيش عدوه .

كيف تلتى الرسول نبأ الغزو

وقد أسرع رسول العباس (وهو رجل من غفار) بالرسالة وجدً فى السير ، حتى أنه قطع الطريق ما بين مكة والمدينة فى ثلاثة أيام ، مع أن قطمها (عادة) لايتم إلا فى عشرة أيام .

ولما كان الرسول ﷺ أمياً لا يقرأ ولا يكتب ، فقد دفع الكناب

س مع خالد بن الوليد حرب الردة، وكان أحد اثنين قتلا مسيلمة الكذاب، وكان يقول بعد ذلك ، قتلت بحربتي هذه خير الناس (يعني مسيلمة الكذاب) مات وحشى بممص عام خمسة وعشرين ه:

 ⁽۱) قبا (بضم القاف) ، قال في مراصد الاطلاع :: قرية قرب المدينة ، وهي
 مساكن بني عمرو بن عوف من الأنصار ، على مبلين من المدينة على يسار القاصد إلى مكة ،
 وفيها مسجد التقوى .

إلى أبنى بن كعب (١) ليقرأه عليه ، وبعد أن عرف الرسول عليه السلام مضمون رسالة عمه العباس ، طلب من أبنى بن كعب أن يكتم الخبر ، ولا يبوح لأحد منه بشيء .

استغداد المدينة للمعركة

ويهض و الله من قوره ، وعاد إلى المدينة ، وأخذ في الاتصال بقادة المهاجرين والأنصار ، ليتداول معهم الأمر لمواجهة الموقف .

وكان عَلَيْكِ قد استدعى سيد الأنصار سعد بن الربيع وأطلعه على خبر رسالة العباس . فقال والله إلى لأرجو أن يكون خيراً ، فاستكتمه إياه . فلما خرج رسول الله عَلَيْكِ من عند سعد ، قالت له امرأته ، ما قال لك رسول الله عَلَيْكِ من عند سعد ، قالت له امرأته ، ما قال لك رسول الله ؟؟ .

فقال لها لا أمّ لك وأنت وذاك ، فقالت قد سمعت ما قال لك ، وأخبرته بما أسرّ به إليه الرسول وَيَالِيْنِ فاسترجع سعد ، وأخذ بيد زوجته ولحق برسول الله مَوَّالِيْنِ فأخبره خبرها ، وقال . يارسول الله ، إلى خفت أن يفشو الخبر فترى أنى أنا المفشى له وقد استكتمتنى إياه فقال رسول الله وَيُلِيِّ خلّ عنها .

⁽۱) هو أبى بن كعب بن قيس بن عبيد الأنصارى النجارى ، سيد القراء ، صحابي جليل شهد ببعة العقبة الثانية ، وشهد بدراً والمشاهد كلها مع رسول الله وهو الذى قال له النبي صلى الله عليه وسلم ، ليهنك العلل أبا المنذر ، (إن الله أمرنى أن أقرأ عليك) وكانَ عمر بن الحطاب رضى الله عنه يسميه سيد المسلمين ، وكان أول من كتب النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان يعد بن أصحاب الفتيا السنة ، كان عمر يساله عن النوازل ويتحاكم إليه فى الممضلات ، ربيى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة وسبعة وخمسين حديثاً ، مات كعب رضى الله عنه سنة ثلاثين ه فى عهد عثمان بن عقان :

حالة الطواريء في المدينة

وبعد أن تأكد المسلمون من تحرك الجيش المكى نحوهم ، ظلوا متيقظين ، وظلت المدينة في حالة استنفار عام ، على رجالها السلاح لايفارقهم ، حتى وهم في أوقات الصلاة استعداداً للطوارىء.

وانتشر جند الإسلام حول مداخل المدينة يحرسونها ، خوفاً من أن يؤخنوا على غرة .

وانتخبت مفرزة من الانصار لحراسة رسول الله تقفي بيته ، وقد كان ضمن هذه المفرزة ثلاثة من سادات الانصار ، هم (سعد بن معاذ وأسيد بن حضير (١) وسعد بن عبادة) باتوا وعليهم السلاح في المسجد على باب رسول الله تقفي يحرسونه .

محاولة نبش قبر والدة الرسول

تابعت جيوش مكة سيرها نحو المدينة ، وقد سلكت الطريق الغربية المعتادة ، التي تمر بعسفان ثم خليص ، فالجحفة ، فرابغ ، فالأبواء ، فالمدينة (٢) .

ولما وصل جيش مكة إلى الأبواء ، (وهو مكان دفنت فيه أم الرسول الأعظم الله أمنة بنت وهب) (٣) أشارت هند بنت عتبة

⁽١) تقدمت ترجمتهما في كتابنا (غزوة بدر الكبرى).

⁽٢) تقدم تحقيق وتحديد هذه الأماكن في كتابنا (غزوة بدر الكبرى).

⁽٣) هى أم سيد الأنبياء ، آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب ابن لؤى بن غالب ، تزوجها عبد الله بن عبد المطلب ، وهى أفضل امرأة فى قريش نسباً وموضعاً ، أمها لبرة بنت عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار القرشية ، توفيت أم سيد الأنبياء آمنة لست سنوات لمولد ابنها صلى الله عليه وسلم ، وكانت وفاتها بالأبواء =

(زوج القائد العام أبي سفيان) بنبش قبر أم الرسول عليه السلام قائلة :

لو بحثم قبر أم محمد ، فإن أسر منكم أحد قديم كل إنسان بأرب من آرابها (أى جزء من أجزائها) . ولكن العقلاء في الجيش خدروا من نبش قبر أم النبي ونهوا عن ذلك ، قائلين ، لا يفتح هذا الباب ، وإلا نبش بنو بكر أمواتنا عند مجيئهم (١١) فلم تحقق رغبة هند بنت عتبة .

فوريات استطلاع (١) المدينة

وقد نشطت دوريات المسلمين لاستطلاع أخبار العدو ، وكانت تضرب باستمرار في أعمالها حول الطرق التي يحتمل أن يسلكها المشركون للإغارة على المسلمين .

وبينا كان رجلان من المسلمين يقومان بأعمال الدورية ، (بعثهما الرسول خصيصاً لاكتشاف تحركات العدو) إذا بهما يريان جيش مكة الضخم قد عسكر على بعد عدة أميال من المدينة ، فعادا ليخبراه بذلك ، ونقلت الاستخبارات الخبر الأخير عن تحركات جيش مكة ، وهو أن هذا الجيش قد سلك وادى العقيق ، وانحرف منه إلى ذات

صوذلك أنها قد قدمت بابنها صلى الله عليه وسلم وهوطفل لزيارة أخواله من بنى عدى بن النجار فى المدينة ، وعند عودتها إلى مكة توقيت بالأبواء وهناك دفنت ، على ما قاله بعض المؤرخين .

⁽١) انظر السيرة الحلبية ج ٢ ص ١٤ :

⁽٢) الاستطلاع معناه : الحصول على المعلومات عن قوة العدو وتجهيزه وتسليحه وعن طبيعة الأرض.

اليمين وعسكر في السبخة من وادى قناة الواقع شهالي المدينة ، في مكان يقع بالقرب من جبل عينين الذي سنّى فيما تبعد بجبل الرماة .

المجلس العسكري الأعلى

وبعد أن تأكد الرسول عَلَيْكُ من أن المشركين قد اتخذوا السبخة من وادى قناة معسكراً لهم ، سارع إلى عقد وتمر عسكرى استشارى أعلى لبحث الموقف ، حضره جميع قادة الجيش النبوى وأهل الرأى من أهل الدينة وقد حضر هذا المجلس عبد الله بن أبي بن سَلول (المنافق) بصفته أحد زعماء الخزرج.

وكان عقد هذا المجلس في الرابع عشر من شهر شوال سنة ٣ ه.

الاختلاف في الرأى

وقد دار النقاش في هذا المجلس (بصفة رئيسية) حول المكان الذي يعجب أن يلقى فيه المسلمون عدوهم ، وقد كان رأى النبي وتنظير أن يتحصن المسلمون بالمدينة ، لإجبار قريش على مهاجمتها ، وكان بهدف من اتباع هذه الخطة ، إلى أن يتبع المسلمون (في منازلة المشركين) . خطة قتال الشوارع ، لأن ذلك عكن المسلمين من إيقاع الخسائر الجسيمة بالمشركين ، دون أن يتحمل المسلمون خسائر تذكر ، ذلك أن المسلمين سيقاتلون وهم متحصنون في مواقع يجهلها المشركون كل الجهل .

يضاف إلى ذلك أن اتباع هذه الخطة ، يمكن النساء من الاشتراك في مقاتلة المشركين بإلقاء الأحجار الثقيلة عليهم عندما يقتحمون شوارع المدينة .

وقد أعلن الرسول عِيْنَا لِلَّهِ وأيه هذا في ذلك المؤتمر بقوله :

وأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا ، فإن أقاموا أقاموا بشر مقام ، وإن هم دخلوا علينا قاتلناهم فيها .

وكان عبد الله بن أبَى يرى هذا الرأبي ، فقد قال للرسول عَلَيْكِيْرُو فَ هذا المجلس ؛

يارسول الله أقم بالمدينة لا تخرج إليهم ، فوالله ما خرجنا منها إلى عدو لنا قط ، إلا أصاب منا ، ولا دخلها علينا إلا أصبنا منه ، فدعهم يارسول الله ، فإن أقاموا ، أقاموا بشر محبس ، وإن دخلوا قاتلهم الرجال في وجههم ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم، وإن رجعوا رجعوا خائبين كما جاءوا .

الني يترك رأيه للأغلبية

ولكن كثيراً من الشباب كانوا متحمسين للخروج ومقاتلة المشركين خارج المدينة ، فقد قال قائلهم .. يا رسول الله : كنا نتمى هذا اليوم وندعو الله فقد ساقه إلينا وقرب المسير . وكان على رأس هؤلاء الشباب المتحمسين للخروج حمزة بن عبد المطلب ، الذى قال للنبي مسين :

والذي أنزل عليك الكتاب لا أطعم طعاماً حتى أجالدهم بسيق خارج

ومالت أيضاً كثرة (جمن لم يكن لهم شرف الاشتراك في معركة بدر) إلى هذا الرأى الأخير ، حيث قال قائلهم للرسول عَلِيَّكِيْرُ :

⁽١) السيرة الحلبية ج ٢ ص ١٤.

المحرج بنا إلى أعدالنا ، لا يرون أنا جُبُنًا عنهم وضعفنا ، والله لا نطيع العرب في أن تدخل علينا منازلنا .

واتضع للرسول عِيَّكِيْ على أثر هذه المناقشات أن الأغلبية ترى خلاف رأيه ، فلم يسعه إلا الاستجابة لرأى هذه الأغلبية ، وأعلن أنه خارج لمقاتلة العدو حيث هو بوادى قناة ، بالرغم من أنه عَيْنَكُمْ كاره للخروج ،

النبي يرفض الرجوع إلى رأيه الأول

وبعد ارفضاض المجلس ذهب المسلمون لأداء صلاة الجمعة ، وبعد أن صلى النبي عَنِيْلِيْهِ بالمسلمين دخل إلى منزله فتدجج بسلاحه فظاهر بين درعين (أى لبس درعاً فوق درع) ثم خرج على قومه بكامل عدته الحربية ، وأذن فيهم بالخروج إلى الغدو .

وقد ندم ذوو الرأى حين شعروا أنهم استكرهوا الرسول وَلَيُطَافِقُ على التباع خطة لمقاتلة العدو وبفضّل عليها غيرها .

فَبِلَغُوهُ استعدادهم للتنازل عن رأيهم والرجوع إلى رأيه الأول ، فقالوا له :

ما كان لنا أن نخالفك ولا نستكرهك على الخروج فاصنع ما شئت ، امكث كما أمرننا ،

قلم يقبل منهم هذا العرض ، وقال لهم (مصمعاً على الخروج) :

و ما ينبغى لنبى إذا لبس لأمته (أى كامل سلاحه) أن يضمها
حتى يحكم الله بينه وبين عدوه ، وقد دعوتكم إلى هذا الحديث فأبيتم
إلا الخروج ، فمليكم بتقوى الله والصبر عند البأس وانظروا ما آمركم
به فافعلوا ه .

الجيش يتحرك من المدينة

وخرج النبي المالي العدو على وأس جيش بلغ حوالي ألف مقاتل.

ولد نسم ﷺ مذا الجيش إلى ثلاث كتائب.

۱ ــ كتيبة المهاجرين ، وأعطى علمها لمصعب بن عمير (۱۱ العبدرى القرشي ،

٢ - كتيبة الأوس من الأنصار ، وأعطى علمها للحباب بن المثار ابن الجموح (١)

٣- كتيبة الخزرج من الأنصار أيضاً ، وأعطى علمها لأسيد ابن محضير (١)

مبلغ قوة جيش المدينة

وقد بلغت قوة جيش النبي - قبل أن يتمرد المنافقون - ألف مقاتل ، كما تقدم ، يقابلهم من جانب المشركين ثلاثة آلاف مقاتل، وبعد أن تمرد المنافقون ، صار جيش الرسول سبعمائة مقاتل فقط .

ولم يكن مع المسلمين من سلاح الوقاية سوى مالة دارع ، بيها يوجد في جيش المشركين سبعمالة دارع ،

كما أن المسلمين ليس لهم من سلاح المطاردة أكثر من فرس واحد، بينها يوجد في جيش مكة من هذا السلاخ المهم مائتا فرس .

⁽١) تقلمت ثرجمة هؤلاء الثلاثة رضى الله عنهم في كتابنا (غزوة بدر الكبرى):

لا ننتصر بأهل الكفر

رعندما فصل عَلَيْكِيْ بجيشه من المدينة ، وجاوز ثنية الوداع (۱) رأى كتيبة حسنة التسليح لها رجل منفردة عن سواد الجيش ، فقال ما هذا ٢٢٢.

الله عبد الله بن أبي، والمتبعة مؤلفة من اليهود حلفاء عبد الله بن أبي، برغبون مشاركة المسلمين في مقاتلة المشركين.

فقال (متسائلاً) .. أسلموا ؟؟ ..

فقالوا .. لا ، يا رسول الله .

فأصدر أمره بإبلاغهم الاستغناء عنهم ، وإرجاعهم ، قائلاً :

الشرائة .
 الشرائة .

استغراض الجيش

وعندما وصل وتبالله بجيشه إلى مكان يقال له الشيخان (٢) قام باستعراض جيشه ، ولدى عرض القاتلين عليه أمر برد بعض الشباب الصغار ، انخرطوا في سلك الجيش ، فلم يسمح لهم بالاشتراك في القتال لصغر سنهم .

⁽١) ثنية الوداع (بفتح أوله) قال في مراصد الاطلاع .. اسم موضع في ثنية مشرفة على المدينة ، يطؤها من يريد مكة .

⁽٢) الشيخان: هما جبلان صغير أن في أطر أف المدينة.

ومن هؤلاء الشباب عبد الله بن عمر بن الخطاب (۱) وزید بن ثابت (۱) و أسامة بن زید (۱) و زید بن أرقم (۱) و البراء بن عازب (۱۰) و أسید بن

(۱) هو عبد الله بن عمر بن الحطاب المدوى القرشى ، أبو عبد الرحمن ، صحابى جليل ، من أعز بيوتات قريش فى الجاهاية ، كان ورعاً جريئاً جهيراً ، نشأ فى الإسلام وهاجر مع أبيه إلى المدينة ، غز الفريقيا مرتبن ، لما قتل عبان عرضت عليه البيعة بالحلافة فرفضها ، كان من كبار المحدثين ، اعتزل الفتنة بعد قتل عبان ، وقد كف بصره فى آخر حياته ، ولد قبل الهجرة بعشر سنين ، ومات رضى الله عنه سنة ثلاث وسبعين ه ، وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ألفين وتستانة وئلائين حديثاً.

(٢) هو زيد بن ثابت بن الضحاك النجارى الأنصارى المزرجى ، من أكابر الصحابة ، كان كاتب الوحى ، قتل أبوه يوم بعاث قبل الهجرة بخمس سنين ، ولد زيد بالمدينة ونشأ بمكة ، هاجر مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن إحدى عشرة سنة ، كان رأساً في القضاء والفنوى ، وكان ابن عباس ـ على جلالة قدره ـ يأتيه إلى بينه لأخذ العلم عنه ، كان زيد أحد اللين جمعوا القرآن في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان يقوم بدور الترجمة بين الرسول وبين اليهود ، لأنه قد تعلم العبرية بأمر من وسول الله صلى الله عليه وسلم وكان زيد من أعلم الصحابة بالقرائض وفيه قال النبي صلى الله عليه وسلم : 1 أفرضكم زيد من أعلم المجرة بأحد عشرة سنة ، ومات سنة خس وأربعين هقال في الأعلام الزركلي (له في الصحيحين النان وتسعون حديثاً):

(٣) تقلمت ترجمته في كتابنا (غزوة بدر الكبرى) .

(٤) هو زيد بن أرقم بن زيد بن قبس الأنصارى الحزرجي غزا مع النبي سيم عشرة غزوة وكانت أول المشاهد التي شهدها مع الرسول غزوة الحندق ، وهو الذي سمع رأس النفاق (عبد الله بن أبي) يقول (في غزوة بني المصطلق) لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ، فأبلغ وسول الله ذلك ، فسأل ابن أبي فأنكر ، فأنول الله تصديق زيد ، شهد زيد حرب صفين مع على رضى الله عنه ، ومات بالكوفة (أيام المختار) سنة نمان وستين ه ، روى له البخارى ومسلم سبعين حديثاً .

(ه) هو البراه بن عازب بن الحارث الأنصارى الأوسى ، صحابى جليل حاول الاشتراك في معركتي بدر وأحد ، فرده رسول الله صلى الله عليه وسلم لصغر سنه ، وكانت أول غزوة يشهدها غزوة الخندق ، ولاه عبان إدارة (الرى) بفارس ففتح قزوين وما حوليها في شبال إيران ، وعاش إلى أيام مصعب بن الزبير ، توفى سنة واحد هسهمين ه ،

ظهير (١) وغرابة بن أوس (٣) وأبو سعيد الخدرى (١) وزيد بن حارثة الأنصارى (أ) ورافع بن خديج (٥) وسعد بن حبته (١) فقد رد هؤلاء جنيعاً ، لأنهم دون الخامسة عشرة ، ولكنه بعد ذلك أجاز من هؤلاء الشباب وسمح لهم بالقتال ، كلاً من واقع بن خديج، وسمرة بن جندب على صغر سنهما .

وذلك أن والمع بن خديج كان ماهراً في رماية النبل ، أما سمرة

(٢) هو عرابة (بفتح أوله والراء الحفيفة) بن أوس بن قبظى الأوسى الأنصارى
 كان مشهوراً بالجود والكرم ، صحابى جليل وفيه قال الشاعر الشياخ :

إذا ما راية رفعت لجد تلقاها عرابة باليمين

عاش عرابة إلى أبام معاوية ، وله يمه أخبار .

(٢) أبو سعبد الحدرى ، اسمه سعد بن مالك بن عبيد بن ثعلبة بن الأبجر الحارثي الخروجي الأنصاري (مشهور بكنيته) صحابي جليل ، كان من أفقه صحابة وسول الله صلى الله عليه وسلم ومن أفاضل الصحابة ، وقد تضلع بالعلم وهو لما يزل حديثها السن ، وكان من المكثرين من رواية الحديث ، روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ألفاً وسيمين حديثاً ، مات رضي الله عنه سنة أربع وسنين ه (على خلاف في ذلك) .

(١) تقدمت ترجمته في كتابنا (غزوة بدر الكبرى):

(ه) هو زافع بن محديج بن رافع الأنصارى الأوسى الحارثى ، صحابى جليل ، كان عربفاً على قومه بالمدينة ، شهد معركة أحدوالخندق وما بعدهما ، روى له فى كتب الحديث ثمانية وسبعون حديثاً ، مات مناثراً بجراح أصابته ، سنة أربع وسبعين ه .

(٢) هو سمرة بن جندب بن هلال الفزارى ، والأنصارى (بالحلف) شهد أحداً ، كان من الولاة فى المهد الأموى ، فقد كان زياد (أيام فنن الحوارج) يوليه أمر البصرة إذا سار إلى الكوفة وكان سمرة من أصحاب الفتيا المشهورين وكان من أشد الناس على الخوارج ، نوفى عام نسعة و خمسين ه ؟

(٧) واسنه سعد بن بجير بن معاوية البجلى ، الأنصارى (بالحلف) ذكر في الإصابة أنه شهد أحداً.

⁽۱) هو ، أسيد (بشم أوله وفتح ثائيه) بن ظهير بن رافع الحارثي الأنصارى (ابن عم رافع بن خديج الصحابي الشهير) روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثين فقط ، مات رضي الله عنه في خلافة عبد الملك بن مروان .

ابن جندب ، فقد قال لأمه ، إن رسول الله عِنْظِيْهِ أَجاز رافعاً ، وأنا أَضَرَعه ، أَى إِنْنَى أَقُوى منه ، فأعلم الرسول بذلك ، فطلب من الاثنين أن يُتضارعا أمامه ، فتصارعا ، فلما غلب سمرة رافعاً أَجازة .

المبيث بين أحد والمدينة

وفى منطقة الشيخين (وحيث استعرض الرسول جيشه) أدركهم المسائح ، فأذن بلال بالمغرب ، فصلى النبي عَلَيْنِ بأصحابه ، ثم أذن بالعشاء فصلى بهم ، وبات بذلك الموضع القريب من معسكر المشركين. وقلد انتجب مفرزة لحراسة المسكر قوامها خمسون رجلاً ، باتوا يقومون بأعمال الدورية طائفين حول المسكر ، وقد أعطى الرسول عَلَيْنِيْ قيادة قوة الحراسة هذه إلى محمد بن مسلمة الأنصارى .

وثولى ذكوان بن عبد قيس تلك الليلة حراسة الذات النبوية الكرمة .

الثمرد في جيش المديئة

وقبل طلوع الفجر بقليل أدلج الرسول عَلَيْكُ بجبشه ، حتى إذا كانوا بالشوط (١) أدركتهم صلاة الصبح فصلى بأصحابه وعليهم السلاح ، لأن العدو كان قريباً منهم ، يرونه ويراهم .

وفى هذا المكان تمرّد عبد الله بن أبيّ ، وانسحب راجماً إلى المدينة بثلاثمائة مقاتل ، كانوا قد خرجوا ضمن جيش النبى ، وكان هؤلاء جميعاً من المنافقين .

⁽١) الشوط بالفتح بستان يقم بين المدينة وأحد :

وقد رجع هذا المنافق (ابن أبَى) بكتيبة النفاق هذه ، وانفصل بها عن الجيش النبوى في ذلك الظرف الدقيق ، متظاهرا بالاحتجاج بأن الرسول عصاه وأطاع غيره من الشباب حياً قرر الخروج إلى العدو، الأمر الذي كان يعارض فيه .

وقد أفضح هذا المناقق على ذلك بقوله (وهو يحرض الجنود على العصيان في ذلك الظرف الحرج):

(لقد عصائی۔ یعنی الرسول۔ وأطاع الولدان ، ومن لا رأی له ، سیعلم ، مائدری علام نقتل أنفسنا ؟ ارجموا أیها الناس) فرجع معه أهل الربعة والنفاق ،

هدف المنافقين من التمرد

ولا شك أن الباعث الرئيسي لهذا التمرد لم يكن (كما ادّعي زعم المنافقين) مخالفة الرسول عَيِّنَا لِلهِ لرأى عبد الله بن أبّى حول المكان الذي ياتي فيه المسلمون المشركين.

وإنما الباعث الحقيق لهذا التمرد في ذلك الظرف الدقيق ، هو إحداث البلبلة والاضطراب في جيش المسلمين على مرأى ومسمع من عدوّهم ، ليكون ذلك أسرع في القضاء عليهم .

ولقد كاد ينجح رأس النفاق في تحقيق ما كان بهدف إليه من تمزيق جيش المسلمين ونسف وحدته وكاد الاضطراب والاختلاف يحدث ذاخل الجيش النبوى على أثر انسحاب هذا المنافق بعصابته الخائنة ، فقد هم بنو حارثة من الأوس (۱) وبنو سلمة من الخزرج ، بالانسحاب والعودة إلى المدينة ، متأثرين بوساوس ذلك المنافق الكبير.

وكانت تكون كارثة لو أنهم انسجبوا وخذلوا نبيهم ، غير أن الله ثولى هاتين القبيلتين فثبتهما ، فعدلتا عن الانسحاب ، واستمرتا على ولائهما للرسول عَيَّالِيْهِ حَيْنَهاية المعركة ، وهانان القبيلتان هما اللتان عناهما الله تعالى بقوله : (إذْ همت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليهما وعلى الله فليتوكل المؤمنون) (١٠).

محاولة نصح المتمردين

ولقد حاول أحد زعماء الخزرج البارزين (وهو عبد الله بن عمرو ابن حرام) (٢) حاول إقناع هؤلاء المنافقين بالعدول عن الانسحاب والثبات مع المسلمين ، مذكراً إياهم ، أن عملهم هذا مخالف لأبسط قواعد الشرف والرجولة ، حيث بخذلون نبيهم وإخوتهم في الوقت الذي أحاطتهم فيه الأخطار من كل جانب .

⁽۱) الأوس (بضم المزة وسكون الواو) ، والخزرج (بفتح الحاء وسكون الزاى وفتح الراء) امها رجلين وهما جدًّا الأنصار ، وهما ابنا حارثة بين ثعلبة بن عمرو (مزيقياء) بن عامر (الملقب بماء السهاء) بن حارثة ... (الغطريف) بن أمرى القيس (البطريق) بن ثعلبة بن مازن بن الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن كهلان (أخو حمير) ابن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، كان موطن (الأوس والخزرج) بلاد اليمن ، فهاجروا إلى يثرب (بالحجاز) فصارت لهم موطناً ، وقد دارت عدة معارك شهيرة (في الجاهلية) بين هاتين القبيلتين في يثرب ، ولما جاء الإسلام قام النبي صلى الله الله وسلم بتصفية كل ما بينهما من خلافات وآنمي بينهما قصارا من أعظم العناصر الغمالة في نصر الإسلام وتأييد الرسول ، ولمذا أطاق عليهم اسم الأنصار .

⁽۲) آل عران ۱۲۲.

⁽٣) ستأتي ترجمته .

ققد أثبغهم قذا الصحافي الجليل هاتفاً يهم (فيه نصح وإخلاص): و ياقوم أذكركم الله أن تخذلوا قومكم ونبيكم عندما حضر من غدوً هم أو ا

فكان جواب هؤلاء المنافقين الرفض مشفوعاً بقولهم :

ا لو ثعلم أنكم تقاتلون لما أسلمناكم . ولكنا لا نرى أنه يكون قتال ا . فتركهم عبد الله بن عمرو بن حرام بعد أن يئس منهم ورجع عنهم وهو يقول :

و أبغد كم الله المعداء الله ، فسيغنى الله عنكم نبيّه ١٠.

وفي عبد الله بن أبِّي وزمرته الخائنة ، أنزل الله تعالى قوله :

(وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا ، قالوا لو تعلم قتالاً لاتبعناكم ، هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان يقولون بأقواههم ما ليس في قلوبهم والله أعلم عا يكتمون) (١١) .

قشل مؤامرة التمرد

لاشك أن حركة التمرد الخبيثة التي قام بها رأس النفاق في ذلك الظرف ، هي مؤامرة خسيسة ، قصد بها المنافقون تفتيت وحدة الجيش الإسلامي وإضعاف قوته وهو على أبواب معركة حياة أو موت ، وهي لاشك مؤامرة فظيمة للغاية .

ولكن هذه المؤامرة (ولله الحمد) فشلت فشلاً ذريعاً ، إذ لم ينجح وأس النفاق إلا في الانسحاب بأصحابه من أهل الرببة والنفاق .

⁽١) آل غيران ١٦٧ :

اللين أقد يكون بقاؤهم ذاخل الجيش المحمدي (ساعة القتال) عاملا من عوامل تنخطيم الجيش الإسلامي .

إذ لا يبغد (وهذه نواياهم الخبيئة) إذا ما بقوا داخل الجيش المحمدى حتى النهاية ، أن يميلوا على السلمين وهم داخل الجيش فيضربوهم (ساعة احتدام المركة) ثم ينضمون إلى العدو .

الحكان الله سبحانه وتعالى كشف نيائهم الخبيثة وهم لا يزالوا ف منتصف الطريق ، فكان رجوعهم من ذلك المكان عثابة تصفية للجيش المحمدى ، أواد الله بها تطهير هذا الجيش من عناصر التآمر والابرامية والخذلان ، ليلقى المسلمون عدوهم ، وهم وحدة ماسكة وكتلة متراصة .

فانطبق على مؤلاء النافقين قوله تعالى :

(لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا ، ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفثنة ، وفيكم سمّاعون لهم والله عليم بالظالمين) (١٦ .

اعتلاف جديد داخل الحيش

وبعد أن أخذ المنافقون في الانسحاب من الجيش ، اختلف المسلمون في يصد الله بن أبي في تلك في يصد الله بن أبي في تلك اللحظات الخطيرة التي كان الجيش المسلم بمر بها .

فقد رأى فريق من قادة جيش النبي تأديب هؤلاء المتمردين والقضاء عليهم للتخلص منهم قبل الاشتباك مع جيش المشركين .

ولكن قريقاً آخر (وعلى رأسهم النبي القائد الأعلى) رأوا غير الرأى الأول ، رأوا ترك مؤلاء المتمردين وشأنهم الآن ..

⁽١) التوبة ٧٤،

وهذا الرأى (دونما جدال) هو غاية في الحكمة والصواب ، لأن مقاتلة المتمردين في تلك الساعات الحرجة فيه من الخطورة على سلامة الجيش الإسلامي ما لايخني على أي خبير عسكرى يقدر النتائج . فمقاتلة المتمردين في تلك الساعة يجعل المسلمين بين نارين ، جيش المشركين وهؤلاء المتمردين ، وهذا مما يسهّل على جيش مكة الإحاطة بجيش المدينة وضربه ضربة قد تكون مدمّرة قاضية .

وبهذا الموقف الذى سيطرت فيه قيادة الجيش العليا على الأعصاب إزاء ذلك التمزد الغادر ، ألبت الرسول القائد والله بأنه يجب أن يكون (عن خدارة واستحقاق) على رأس أنهر قادة العالم العسكريين خبرة وذراية وإدارة وحنكة .

محلاصة الجيش بعد التمود

وبعد حادثة تمرد المنافقين وانسحابهم إلى المدينة . بقى النبى وَتَنَافِقُونَ فَ مَسْمَعُمَانَة مَقْاتُلُ فَعَلَمُ واصل السير بهم نحو جبل أُحُد ، ليقاتل بهم للائة آلاف يفضلونهم (من ناحية التسليح والتموين في كل شيء إلا المقيدة والإيمان).

إلى أخذ

ولما كان المشركون قد سبقوا المسلمين إلى وادى قناة وعسكروا فيه بالسبخة (١) قبل خروج المسلمين من المدينة . ولما كان النبي المسلمين من المدينة . ولما كان النبي المسلمين من المدينة .

⁽١) السبخة ، الأرض التي بها نز وملح .

بجهل كل المسالك إلى أحد فى تلك المنطقة لحداثة عهده ما ، فقد طلب من لهم خبرة بالمسالك والطرق فى تلك المنطقة أن يدلوه على طريق يفضى به إلى الشعب من جبل أحد دون أن عمر على جيش مكة المنتشر فى السبخة من الوادى ، والذى كان يحول (فى مناطق كثيرة) بين المسلمين وبين الشعب من أحُد .

الدليل إلى أحد

لذلك قال الرسول مَلْكَلِيْدُ باحثاً عن دليل خبير :

 ه من رجل يخرج بنا على القوم من كثب (أى من قرب) من طريق لا يمر بنا عليهم ٩ ٩٩ .

فقال أبو خيثمة (أخو بني الحارث) : أنا يا رسول الله .

فتحرك الجيش الإسلامى ، فسلك به الدليل أبو محيثمة طريقاً قصيراً وصل به إلى الشغب من أحُد دون أن بمر على عسكر مكة .

فقد نفَكَ الدليل بالمسلمين في حرَّة (١) بني حارثة وبين مزارعهم متجها بهم شهالاً نحو جبل أحُد ، وتاركاً جيش المشركين شهاله غرباً .

أغى القلب أعي البصر

وقد حدثت أثناء مرور النبي الله الله الله على مزارع بني حارثة ، حدثت أنناء مرور النبي الكريم لأن فيها للنشء الإسلامي

 ⁽۱) الحرة (بفتح الحاء)كل أرض ذات حجارة سود نخرة كأنما أحرقت بالنار ،
 وأكثر هذه الحرار توجد حول المدينة ، وتسمى مضافة إلى أماكنها .

(بل ولكل إنسان) دروساً قيمة عالية في التربية الخلقية وضبط النفس حتى في أحرج الأوقات وأمام أوقح الاستفزازات ، دروساً عملية يلقيها الرسول الأعظم إلى أمته ليرفع بها من شاء ممن يوفقهم الله للسير في حياتهم. حسب نهجها .

فقد حدث أثناه اجتياز النبي عَيِّلِيَّةٍ بجيشه في حرة بني حارثة، أن مر عزرعة لرجل بقال له مربع بن قيظي ، وكان منافقاً ضربر البصر، فلما سمع حس النبي عَيِّلِيَّةٍ وحركة جيشه لم يستطع السيطرة على أعصابه للبغض العارم الذي يغتلم في نفسه للنبي عَلَيْتُهُمْ .

ولذلك قام هذا المنافق غاضباً ، وأحد يحثو التراب في وجوه الجيش وهو يقول :

إن كنت رسول الله فإنى لا أحل لك أن تدخل حالطى (أى مزرعتى) ثم أخذ حفنة من تراب وقال ، والله لو أعلم أنى لا أصيب بها غيرك يا محمد لضربت بها وجهك .

فابتدره بعض أفراد الحيش ليقتلوه ، فسارع الرسول سَلَيْنَا إلى الحيلولة بينهم وبين ذلك قائلا :

ولا تقتلوه ، فهذا الأعبى أعبى القلب أعبى البصر ٤.

في هذا العمل النبوى النبيل درس عظيم ، وخاصة للحكام والقادة ، الله عليه الله النبوى النبيل درس عظيم ، حتى ممن أساء إليهم الذين يجب عليهم أن يجعلوا الانتقام لأنفسهم ، حتى ممن أساء إليهم أو أراد بهم شراً ، تحت أقدامهم ، ليتربعوا على القلوب طوعاً واختياراً

المسكر النبوي في أحد

ثم مضى رسول الله عليه بالجيش حتى قطع وادى قناة ، وحتى إذا ما وصل إلى فم الشّعب من أحد (وهو المعلل على وادى قناة الذى رابط

فيه المشركون) عسكر بنجيشه مستقيِلاً المدينة وجاعلاً ظهره إلى هضاب جبل أحد.



منظر لاحدى شرائع وادي قناة وقد ظهر فيهما المماء يجري

وعلى هذا أصبح جيش العدو فاصلاً بين جيش المسلمين وبين المدينة التي لم يبق فيها من الرجال إلا المنافقون واليهود ، والعاجزون عن القتال من المسلمين ، وإلا النساء والصبيان تقريباً .

التعبئة للقتال

قام النبي مَتَنَالِينَ بِتعبيَّة جنوده وهيأهم صفوفاً للقتال ، ثم ألقى فيهم كلمة حثهم فيها على الجهاد ، ومما قاله لهم في هذه الكلمة :

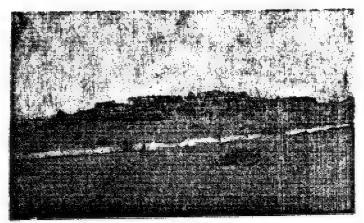
و ما أعلم من عمل يقربكم إلى الله تعالى إلا وقد أمرتكم به ، ولا أعلم من عمل يقربكم من النار إلا وقد نبيتكم عنه ، وأنه قد نفث وألق فى روعى (بضم الراء) الروح الأمين أنه لن تموت نفس حتى تستوفى رزقها لا ينقص منه شيء وإن أبطأ عنها ، فاتقوا الله وأجملوا في طلب الرزق

لا يحملنكم استبطاؤه أن تطلبوه بمعصية الله ، والمؤمن من المؤمن كالرأس من الجسد أن المؤمن كالرأس من الجسد إذا اشتكى تداعى إليه سائر جسده (١)

كتيبة الرماة في الجبل

وأثناء التعبئة (وكجزء من الخطة النبوية الحكيمة) اختار وَالْكَلِيّةِ، خمسين من رماة النبل الماهرين في الرماية وأوكل إليهم (بقيادة آمر مسئول، هو عبد الله بن جبير) (٢) مهمة المرابطة في جبل عينين، وهو المسمى اليوم بحبل الرماة.

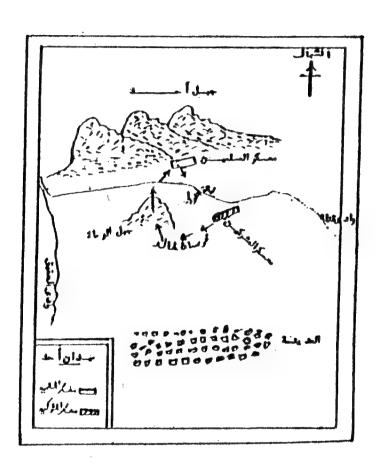
ويقع هذا الجبل الصغير جنوب غرب معسكر المسلمين ، على ضفة الوادى الجنوبية ، وعلى بعد حوالى مائة وخمسين متراً من مقر قبادة الجيش الإسلامى.



جبل الرماة ، المسمى (بجبل عينين) وقد از دحمت عليه الابنية فأضاعت كثيراً من معالمه ، ومن الجدير بالذكر ان جميع الابنية التي على الجبل ومن حواليه من الشعب والوادي هي حادثة بعد المعركة بعدة قرون

⁽١) السيرة الحلبية ج ٢ ص ١٧.

⁽٢) تقدمت ترجمته فيما مضي من هذا الكتاب،



انظر الاستدراك المهم في آخر الكتاب.

وقد كان هدف الرسول القائد وتتاليقي من وضع فصيلة رماة النبل التي هي في ذلك العصر عثابة سلاح المدفعية في عصرنا هذا) ، كان هدفه من غركز هذه الفصيلة في الجبل ، هو حماية جبش المسلمين من خطر الالتفاف أو ضرب المسلمين من الخلف وخاصة ساعة احتدام المعركة .

أنضح الخيل عنا بالنبل

فقد كان النبي عَلَيْكُ يعلم أن لدى المشركين قوة كبيرة من الفرسان لا يستهان بها ، لا تقل عن مائني فارس يقودها بطل مقدام هو خالد بن الوليد .

و كليبة الفرمنان هذه ، هي وحدها التي بمكن للمشركين استخدامها للقيام بحركات الالتفاف لضرب المسلمين من الخلف عندما تضطرهم ظروف المغركة إلى ذلك .

ولذلك كانت عيل خالد بن الوليد تتمركز حول جبل الرماة (بضفة خاصة) لأن ناحية هذا الجبل هو الانجاه القوى الوحيد الذى عكن لخيل المشركين من ناحيته استخدامها لنسرب مؤخرة المسلمين عند احتدام المعركة أو لمحاولة النسلل إلى م وراء صفوف المسلمين (قبل نشوب المعركة).

لذلك حرص الرسول عَلَيْكُ أَشْد الحرص على احتلال ذلك الجبل، ووضع فصيلة الرماة فيه ، الذين أكد عليهم أن يراقبوا (بشدة) خيالة المشركين ، وقال لهم :

. و انضحوا الخيل عنا بالنبل ، لا يأتونا من خلفنا . .

لاتبرخوا حتى أرسل إليكم

والذى يتيسر له رؤية مكان المعركة والاطلاع على موقع جبل الرماة الذى لا يزال جالماً على ضفة واذى قناة ، يدرك مدى الخبرة العسكرية العظيمة التى بمتاز بها الذي الأعظم فى وضع خطط المعارك ، والمهارة الواسعة فى تنظيم القوى الفسكرية واختيار المواقع التعبوية الممتازة لكسب المفركة .

وغندنا ثوجهت فصيلة الرماة لاحتلال الجبل (بأمر القائد الرسول) أصدر إليهم الأوامر المشددة بألا يتركوا مواقعهم في الجبل (مهما كانت الظروف والتطورات) إلا بأمر خاص منه بالله ، فقد قال لهم :

اخموا لنا ظهورنا لا يأتونا من خلفنا وارشقوهم بالنبل . فإن الخيل لا تقدم على النبل ، إذا لا نزال غالبين ما ثبتم مكانكم ...

وليفأكد الرماة من جَسامة المسئولية الحربية الملقاة على عانقهم ، الحتم الرسول وَ اللهم الله اللهم الله اللهم اللهم

كما أنه وَتَطَلِينَ قال لهم (أيضاً) ومخاطباً قائدها المسئول: • انضح الخيل عنا بالنبل لا يأتونا من خلفنا واثبت مكانك إن كانت لنا أو علينا • .

كما أنه مَتَّالِيْهِ قال لهم في أمر آخر (كما في بعض الروايات):

و إن وأيشمونا تتخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم ، حتى أوسل البيكم ، وإن وأيشنونا ظهرنا على القوم وأوطأناهم فلا تبرحوا حتى أوسل البيكم . وإن وأيشمونا غنمنا فلا تشركونا وإن وأيشمونا نقتتل فلا تغيفونا ولا تدفعوا عنا ه (١) .

 ⁽۱) انظر السيرة الحلبية ج ۲ ص ۱۸ ، ودائرة منارف وجدى ج ۱ ص ۸۹ ،

التهيؤ للمغركة

لقد كان الوضع دقيقاً جداً بالنسبة للمسلمين ، فقد كان التفاوت في العُدَد والعُدَد وجَودة التسلح بين الفريقين كبيراً جداً .

فقد كانت النسبة في العدد ، كل مسلم مقابل أربعة من المشركين (على الأقل) ، كما أن المشركين بمتاز جيشهم بكتيبة سلاح الفرسان التي تتألف من مائتي فارس ، في حين أن جيش الإسلام ليس فيه من لمذا السلاح سوى فرس واحد فقط . يضاف إلى هذا أن أكثر رجال الجيش الإسلامي من الحاسرين ، إذ لا يوجد بينهم سوى مائة من لابسيي الدروع .

بيها يؤجد في جيش مكة من لابسى الدروع سبعمائة مقاتل ، وهو عدد يوازى جيش المدينة بأكملة .

فكل هذا التفاوت يستوجب الاهتمام والملاحظة والدقة والتركيز في وضع الخطط واختيار الأكفاء من الشجعان ليكونوا في مقدمة الصفوف لمواجهة الموقف والثبات عند الصدمة الأولى.

ولقد نجح الرسول وَلِنَالِيْ فَ التعويض عَن النقص العددى فَى رَجَالُهُ ، باختياره نخبة تمتازة من صناديد المسلمين ورجالاتهم المشهورين بالنجدة والبسالة ، والذين يوزنون بالآلاف ، وجعلهم فى مقدمة ، الضفوف ليكونوا طليعة جيشه حين تلتحم الجموع .

وقى مقدمة هؤلاء حمزة بن عبد المطلب وعلى بن أبي طالب وعمر ابن الخطاب والزبير بن الموّام وأبو بكر الصادق ومصعب بن عمير

وَطَلَحَةُ بَنْ عَبِيْدَ اللَّهُ وَعَبِدُ اللَّهُ بِنَ جَادَهُ أَنْ وَسَعِدُ بِنَ مَعَادُ أَنْ وَسَعِدُ بِنَ عَبَادَةُ أَنَّ وَسَعْدُ بِنَ الرَّبِيعِ ، وأَبُو دَجَانَةً أَنَّ وأَنْسَ بِنَ النَّصْرِ أَنَّ ، وأَمثَالُهُم • نَ أَمْلُ النَّجَدَةُ وَالْبِأْسُ وَالْبِقِينَ .

(١) هؤلأة التسعة تقدمت ثر جمتهم في كتابنا ﴿ غزوة بدر الكبرى ﴾ :

(١) هو معد بن عبادة بن دليم بن حارثة الأنصارى الخزوجي ، صحابي جليل كان سيد الخزوج ، وكان من الأمراه الأشراف المرموقين في الجاهلية والإسلام ، وكان أخد الإلني عشر نقيباً الدين تولوا (عن قومهم) إبرام معاهدة العقبة في مي ، قبل إنه ميل الله بدراً لمرض ألم به ، كان من أجواد العرب المشهورين ، وهو الذي دعا له الرسول صلى الله عليه وسلم ولأهل بيته بقوله و اللهم صلواتك ورحمتك على آل سعد بن عبادة ، كان يطمع في الحلاقة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لذلك امتنع عن مبايعة أبي بكر ، ولما تولى الأمر غر بن الحطاب ، عاتبه على تخافه عن البيحة ، فقال له سعد ، كان والله ضاحبك (أبو بكر) أخب إلينا منك ، وقد أصبحت كارها بحورك ، فقال عمر : من ضاحبك (أبو بكر) أخب إلينا منك ، وقد أصبحت كارها بحورك ، فقال عمر : من كره جوار جارة تحول عنه ، فلم يلبث سعد أن خرج إلى الشام مهاجراً ومكث بحوران خي مات فيها سنة أربع غشرة ه ، وروى سعد عن الرسول صلى الله عليه وسلم وأخذاً وغشرين حديثاً .

(٣) أبو فجانة ، اسمة ، سماك (بفتح أوله وثانبه مع التشديد) بن خوشة (بالتحر بك مع الفتح) الحزوجي البياضي الأنصاري ، صحابي جليل ، شجاع مقدام ، له آثار عظيمة في الإسلام ، شهد بدراً ، وأرعب المشركين بوم أحد ، ثبت بعد حادثة الجيل مع وسؤل ألله ضلى الله عليه وسلم وكان (ساعة انفضاض الناس عن الرسول) قد تر س عليه بنفسه لحمايته من النبل ، فكان النبل بقع في ظهره و هو غير مكترث ، وقد دافع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذفاعاً مجيداً ، وقد جرح يوم أحد جر احات كثيرة ، شهد أبو فجانة خرب اليمامة وشارك في قتل مسيلمة الكذاب وقتل شهيداً في ناك الحرب.

(٤) هو أنس بن النضر بن ضمضم الحزوجي الأنصاري ، وهو عم أنس بن مالك خادم النبي صلى الله عليه وسلم . ثبت أنس رضى الله عنه يوم أحد ، وهو الذي قال لما رأى بعض المسلمين بلقون بأسلحتهم ، لانتشار إشاعة مقتل النبي صلى الله عليه وسلم : ماذا تضنعون بالحياة بعده (أي إن كان قتل حقاً) ثم أخذ سيفه و غاص في جيش المشركين وهو يقول : • اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء ... يعني المسلمين ... ، وأذاك مما جاء به هؤلاء ، يعني المشركين ، قاته الاشتراك في معركة بدر ، ولذلك كان حريصاً على حضور معركة أحد ، فاستشهد فيها رضي الله عنه .

وقد أوكل مَتِنَافِينَهِ إلى كتيبة من الجيش (بقيادة الزبير بن العوام والمقداد بن الأسود () مهمة الصمود في وجه قرسان خالد بن الوليد لسائدة الزماة لصد أي هجوم يقوم به القرسان في أول المعركة . . .

من يأخل هذا السيف بحقه ؟

وبعد أن أتم الرسول عَيْنَالِيْهِ تعبده ، جرّد سيفاً باتراً ، ثم عرض السيف على أصحابه ونادى فيهم ، ليبعث التنافس الشريف لإظهار البطولة ، (۲) .

و من بأخل هذا السيف بحقه ٢٠.

فقام إليه رجال ليأخذوه فأمسكه عنهم ، ومن هؤلاء الرجال ، على بن أبي طالب ، والزبير بن الموام ، وعمر بن الخطاب ، ثم قام إليه أبو دجانة (و كأن الرسول يقصده) فقال :

و وما حقه يارسول الله، ؟؟

دندال مِتَلِينِي:

ا نضرب به حتى ينحني ١.

فقال أبو دجانة .. أنا آخذه .. فدفعه إليه .

مَشِية يبغضها الله إلا في الحرب

وكان أبو دجانة الأنصارى رجلاً شجاعاً مهيباً مشهوراً ، يختال ويتبختر في مشيته عناد الحرب ، وكانت له عصابة حمراء ، تسمى

⁽١) تقدمت ترجمتهما في كتابنا (غزوة بدر الكبرى).

⁽٢) الرسول القائد صلى الله عليه وسلم ص ١١١ ط ٢.

عصابة الموت ، إذا اعتصب بها علم الناس أنه سيفاتل حتى الموت . ولهذا فإنه لما أخذ السيف من الرسول وَ الله الله الله الله المختر عصابته الحمراء ، وعصب بها رأسه ، ثم خرج يختال (ف تبختر وخيلاء) بين الصفين ، كعادته المتبعة عند الحرب ، فلما رآه النبي وَ الله يختال في مشيته ، قال : و إنها لمشية يبغضها الله الأ في مثل هذا الموطن ، .

العدو يتهيأ القتال

أما المشركون فقد قاموا بنعبئة جيشهم فى بطن وادى قناة ، وهو المكان الذى أجبروا على قبول المركة فيه ، وكان مكاناً منخفضاً بالنسبة لجيش المسلمين الذى احتل المرتفع من الشعب وعباً صفوفه فيه .

وكانت تعبئة جيش مكة هذه المرة ، حسب نظام الصفوف ، وكانت هذه ، أول مرة يقاتل فيها الكيون صفوفاً حيث كانوا دائماً في حروبهم يقاتلون على طريقة الهنود الحمر وهي طريقة الكر والفر .

وهى الطريقة التى قاتلوا بها المسلمين يوم بدر ، وفاجأهم النبى (في ذلك اليوم) بقتال الصفوف الذي لم يعهدوه والذي كان أحد الأسباب التي أدت إلى هزيمتهم في ذلك اليوم .

ويظهر أن المشركين أخذوا دروساً في معركة بدر في نظام الصفوف عن المسلمين لم طبقوه يوم أحد ..

القائد العام لجيش مكة

كنا أن المشركين (أيضاً) قاد انتخبوا هذه المرة لجيشهم قائداً عاماً مسئولاً ، هو أبو سفيان صخر بن حرب الأموى ، وهو مالم يفعلوه في معركة بدر ، حيث قاتل جيشهم دون أن تكون له قيادة موحدة ، بل كانت القيادة متنازعاً عليها بين الزعماء .

وقد أعطى المشركون لواءهم إلى نفرزة ، كلها من قبيلة بنى عبد الدار القرشية ، وقد وقفت هذه الفرزة بقبادة طلحة بن أبى طلحة العبدرى في مقدمة الصفوف .

وقد كان النظام القبلى المجمع عليه والمتبع في الحروب بين قبائل قريش ، أن يكون حملة اللواء دائماً من بنى عبد الدار ، كما تكون قيادة الجيوش في بنى أمية ، وقيادة الخيل خاصة في بنى مخزوم

أبو سفيان يحرض حمله اللواء

وبعد أن أخذ بنو عبد الدار اللواء ، قال لهم القائد العام أبو سفيان ، (يحرضهم على الثبات ويلفت نظرهم إلى ما لسقوط اللواء أثناء القتال من أثر سيءٌ في نفوس المحاربين ، ويذكرهم بما أصاب قريشاً على يدهم يوم بدر حين وقع حامل اللواء في أسر المسلمين ، وهو النضر بن الحارث ابن كلدة العبدرى) قال لهم أبو سفيان :

ويابني عبد الدار قد وليم لواءنا يوم بدر فأصابنا ماقد رأيم ، وإنما يؤتى الناس من قبل راياتهم ، إذا زالت زالوا ، فإما أن تكفونا لواءنا وإما أن تخلوا بيننا وبينه فنكفيكموه ..

فغضب بنو عبد الدار لقول أبي سفيان هذا أشد الغضب ، وهمّوا به وتواعدُوه ، وقالوا له : «نحن نسلم إليك لواءنا ؟؟ ستعلم غداً إذا التقينا كيف نصنع ، وكان ذلك الذي أراده أبو سفيان ، وقد أثر استفزاز أبي سفيان في حملة اللواء أشد الأثر ، بما حملهم على النبات ساعة احتدام المركة ، فلم يسقط لواء مكة من أيديهم حتى أبيدوا عن بكرة أبيهم ، كما سيأتي تفصيل ذلك إن شاء الله.

كبف عبأت قريش جيشها ؟

عبات قريش جيشها صفوفا ، وجعلت له ميمنة وميسرة ، أعطت قيادة الميمنة لخالد بن الوليد ، وقيادة الميسرة لعكرمة بن أبي جهل ، بيها تمركز القائد العام أبو سفيان في القلب ، بعد أن أسند قيادة مشاته لصفوان بن أمية (۱۱ ، أما رماة النبل فقد أعطت قريش قيادتهم لعبد الله بن أبي ربيعة ، وهو أحد الزعماء المحرضين على غزو المسلمين ، وأعطت قريش لواءها إلى بني عبد الدار كما تقدم .

المنازعات السياسية قبل المعركة

وقبل نشوب المعركة (وبالرغم من تفوق قريش فى كل شيء مادى على المسلمين) فإن الخوف من المسلمين ظل مسيطراً على نفوس قادة قريش .

⁽١) تقدمت ثرجمته في كتابنا (غزوة بدر الكبرى) :

لأيهم عرفوا (عن تجربة) ضراوة المسلمين في القتال ، وأن النقص المددى الذي يصاحب المسلمين (عادة) في جميع معاركهم ، تحل محله (دائماً) القوة المنوية المارمة ،والتنظيم الدقيق واتحاد الكلمة الذي منشؤه وحدة العقيدة الصادقة التي عتاز بها المسلمون ، الذين يرتبطون بقائد مجنك فذ لا يقول إلا حقاً ولا ينطق إلا بصواب .

ولمذا قامت قريش (قبيل المركة بقليل) عناورتين سياسيتين خبيثتين ، قصدت بهما إحداث الفرقة بين المسلمين وإشاعة النزاع داخل صفوفهم .

فقد أرسل أبو سفيان إلى الأنصار خاصة طالباً منهم التخلى عن رسول الله عِنْ وأبلغهم بأنه لم يأت لقتال منهم، وإنما جاء (فقط) لقتال قومه من قريش قائلاً:

ويامعشر الأنصار ، خَلَوا بيننا وبين ابن عمنا (يعنى النبي عَلَيْتُكُو ، فننصرف عنكم ، فلا حاجة لنا إلى قتالكم ، ولكن الأنصار رضى الله عنهم ردوا عليه رداً عنيفاً ، ورفضوا عرضه ، بعد أن أسمعوه ما يكره .

أبو عامر الراهب ألخائن

ولما فشل أبو سفيان في محاولته هذه لجأت قريش إلى محاولة أخرى ، قام بها هذه المرة عميل خائن من أهل المدينة ، وهو أبو عامر الراهب (عبد عمرو بن صيفي الأرسى) (١).

⁽١)كان أبو عامر هذا زعيماً لقومه الأوس فى الجاهلية ، وكان شريفاً بينهم فلما جاء الإسلام شرق به وفاض قلبه حقداً على رسول الله صلى الله عليه وسلم فترك المدينة حانقاً على الرسول، وغادرها إلى مكة ، ومعه خبسون من خونة الأوس ذهبوا جميماً –

فقد بعثت قريش (قبيل نشوب المعركة) بهذا الخائن لاستمالة قومه الأوس من الأنصار ليتركوا النبي عَلَيْكُ وينحازوا إلى جانب المشركين.

فوقف بيُّن الصفوف ، ونادى قومه من الأوس فى معسكر المسلمين قائلاً :

• يا معشر الأوس أنا أبو عامر الراهب ۽ (وكان المذكور وأس الأوس وسيدهم قبل الإسلام).

ولكن قومه (الأوس) بمجرد أن سمعوا صوته ، لم يتركوا له فرصة ليسترسل في الكلام ، بل أجابوه بصوت واحد : (لا مرحباً بك ولا أهلاً يا فاسق).

فلما سمع الخائن ردهم ، قال : ولقد أصاب قومى بعدى شر ، ، وكان هذا الخائن أبو عامر بزعم لقريش وهو بمكة ، أنه مسنوع الكلمة بين قومه الأوس ، وأنهم بمجرد أن يروه ويسمعوا صوته سيتركون مواقعهم في الجيش الإسلامي وينضمون إلى جيش مكة تحت قيادته هو، وكانت قيادة مكة قد أعطت أبا عامر الراهب هذا ، اللفيف

الله مكة ، محرضون المشركين على قتال السلمين ، ثم انضموا إلى جيش المشركين وقاتلوا المسلمين يوم أحد تحت قيادة زعيمهم أبى عامر .. ومن المفارقات العجيبة ، أن لهذا الحائن (أبى عامر) ابناً شاباً اسمه حنظلة ، كان مثلا رائماً في قوة الإيمان ومتانة اليقين والولاء لنبيه ودينه الإسلام ، فقد صادقت ليلة المعركة زفاف هذا الشاب المؤمن الذي دخل بزوجته الأولى تلك الليلة ، ولكنه في الصباح عندما سمع صوت الجهاد تركها وحمل سيفه والتحقق برسول الله صلى الله عليه وسلم على عجل ، وقاتل معه قتال الأبطال حتى قتل ، وحنظلة بن أبى عامر هذا هو المسمى غسيل الملائكة ، لأنه خاض المعركة وهو جنب ، إذ خرج إليها قبل أن يغتسل ، استعجالاً منه لئلا بفوته الجهاد ، خاض الملائكة كا جاء في الحديث الشريف ، وكما سنفصله فها بأتى إن شاء الله .

المكوَّن من العبدان والأحابيش ، فخاضوا المعركة تحت قيادته ضد المسلمين .

مجهود نساء قريش في المعركة

وكان نصيب نساء قادة قريش اللواتى خرجن مع الجيش ، كان نصيبهن من المشاركة في المعركة إثارة حفائظ الأبطال وتهييج عواطف الفرسان ، وتحريك مشاعر المقاتلين وإشاعة روح الأخذ بالثأر وإذكاء نيران الانتقام من المسلمين ، وتذكير القرشيين بما أصاب أهل مكة يوم بدر على أيدى المسلمين .

وكان أشد هؤلاء النسوة تحريضاً على المسلمين هند بنت عتبة التي قتل المسلمون (يوم بدر) أباها عتبة وأخاها الوليد وعمها شيبة وابنها حنظلة .

فقد خرجت هذه المرأة العنيدة مع زوجها (القائد العام) أبي سفيان ابن حرب ، لتشهد بنفسها معركة الانتقام لعلها تشني غليلها من المسلمين .

ولقد بذل هؤلاء النسوة مجهوداً كبيراً لرفع معنويات الجيش القرشي وإثارة روح الثبات والتضحية في نفوسهم ، فقد انتشرت بين صفوف المحاربين المتأهبين للقتال ، وهن ينشدن الأشعار الحماسية المحرضة على الانتقام من المسلمين والثبات ضدهم في المعركة .

ويها بني عبد الدار

وقد كان تحريضهن موجهاً (بصفة خاصة) إلى حملة اللواءِ من بني عبد الدار ، لعلمهن أن مصير جيش مكة (في الدرجة الأولى)

مرنبط بمصير هؤلاء لأنهم يحملون راية الجيش ، وفى ذلك العصر لا تأتى هزيمة الجيش إلا من قبل حاملى رايته إن هم الهزموا ، أو قُتلُوا. وهذا هو الذي جعل القائد العام (أباسفيان) يقول فى كلمته لحاملى اللواء من بنى عبد الدار :

ولقد وليتم لواءنا يوم بدر فأصابنا ماقد رأيتم وإنما يؤتى الناس من قِبَل راياتهم إذا زالت زالوا ».

برزت نساء قريش أمام حملة لواء مكة العبدريين وهن ينشدن الأشعار المحرضة الموجهة إليهم بصفته خاصة والتي منها :

ويها بنى عبد الدار ويها حماة الأدبار ضرباً بكل بنار

ثم أخذن يتجولن تارة فى مقدمة الصفوف وتارة فى مؤخرتها وفى أيديهن الدفوف يضربن بها ويغنين باسم نساء الجيش كله ، شعراً بهددن الرجال فيه بالعزوف عنهم ومفارقتهم إن هم فروا من القتال ، ويوعدنهم بأن كل امرأة ستبقى مع زوجها تسعده وتخدمه ، إن هم شبتوا ولم يفروا ، ومن هذا الشعر قولحن :

إن تقبلوا نعانق ونفرش النمارق (۱) أو تدبروا نفارق فراق غير وامق ^(۱)

ولا شك أن تحريض نساء قريش كان له أثره الفعال في نفوس الجيش المكنى ، وخاصة حملة اللواء (٢) من بنى عبد الدار الذين استبسلوا في المعركة ، وثبتوا يدافعون عن اللواء حتى أبادهم المسلمون عن آخرهم .

 ⁽١) النهارق جمع نمرقة وهي الوسادة الصغيرة .
 (٢) الوامق ، المحب ،

⁽٣) حامل اللواء: منصب عسكرى معترف به عند العرب فى الجاهلية والإسلام كما أنه منصب معروف فى الجيوش القديمة ، كالجيش اليونانى والجيش الفارسى والجيش الرومانى ، وكانت قريش فى الجاهلية ، عشرة بطون لكل بطن منها واجب ، وكان حمل اللواء فى بنى عبد الدار .



القصل الثالث

- * ساعة الصفر.
- * نشوب المعركة .
- * مصرع حمزة بن عبد المطلب .
 - * انتصار المسلمين .
 - * اندحار الجيش المكى .

واقتربت ساعة الصفر ، فبعد أن أتم الفريقان تعبئتهما وأخذ كل من القادة والجنود مكانه المرسوم له ، تقابل الخصمان وجها لوجه .

ثلاثة آلاف من فرسان المشركين وأبطالهم ، تقودهم الحمية الجاهلية، وتدفعهم الرغبة في الاخذ بالثار ، مجهزين أعظم تجهيز ومسلحين أحسن تسليح، يواجهون سبعمائة من المسلمين ، تدفعهم الرغبة الصادقة في الاستشهاد في سبيل الله والانتصار لرفع كلمة الله ، ليس لديهم مايتفوقون به على خصومهم سوى سلاح الإيمان القوى وتجهيزات العقيدة الصادقة الثابتة الصامدة ، وأعظم به من سلاح وأكرم بها من تجهيزات .

أخذ كل من الفريقين يحرض رجاله على الصبر وا ثبات ، وكان الرسول على المدر أوامره بأن يظل الجيش الرسول على قد خطب جيشه عند التعبئة وأصدر أوامره بأن يظل الجيش الإسلامي في موقف الدفاع حتى يتلقى منه الأوامر الخاصة حيث قال: لايقاتلن أحد منكم حتى نأمره بالقتال (١).

وقد ركز بنو عبد الدار لواء المشركين في مقدمة الصفوف وأحاط به ابنا أبى طلحة العبدري وشاعرهم يقول:

⁽۱) سیرة ابن هشام ج ۲ ص ۲۵ ،

وبعد إتمام التعبئة تقارب الجمعان ، فجاشت العواطف وركضت القلوب بين الجنوب ، واحمرت الحدق ، وارتفع غليان الدم في العروق ، واختلط صهيل الخيل بقعقعة السلاح ، ونداءات الأبطال وصيحات الفرسان.

هجوم المشركين

كان المشركون يوم أحد هم البادئين بالهجوم ، فقد قامت قوة من مشاتهم بقيادة الخائن (أبى عامر الراهب الأوسى) تساندها كوكبة من الفرسان بقيادة عكرمة بن أبى جهل على جناح المسلمين الأيسر بغية تحطيم هذا الجناح والتسرب إلى داخل الشعب لضرب المسلمين من الخلف، لإحداث الارتباك في صفوفهم .

ولكن مواقع الجيش الإسلامي التي اختارها الرسول لمرابطة جيشه قبل المعركة واحتلال هذا الجيش المواقع التعبوية الهامة في جبل الرماة عند مدخل الشعب أحبط هذه المحاولة إحباطاً كاملاً ، حيث قوبل هذا الهجوم (وخاصة هجوم الفرسان) بسيل منهمر من نبال الرماة في الجبل ، كما تصدى المشاة (بقيادة الزبير والمقداد) للمهاجمين وقاوموهم مقاومة عنيفة ، مما أجبر المهاجمين على الارتداد ، وقد ساعد في تشتيت المهاجمين (على مايظهر) رجال رابطوا في مواقع مختارة من جبل أحد رجموا المهاجمين بالحجارة وسلطوا عليهم (من الصخور) قطعاً كبيرة دحرجوها نحوهم ، فأحدثت الارتباك في تشكيلاتهم وأجبرتهم على الابتعاد من سفح الجبل .

وقد عاود فرسان مكة الهجوم ثلاث مرات ، ولكنهم فشلوا فيها جميعها ، وذلك بسبب يقظة الرماة في الجبل ، وهذا في أول المعركة ، أما في أخرها فقد نجح هجوم خيالة مكة بعد انسحاب الرماة من مواقعهم في الجبل ، كما سنفصل ذلك فيما يأتي إن شاء الله .

أولى ثمرات الخطة الحكيمة

وكان فشل المشركين في هجومهم الأول هذا أولى ثمرات الخطة الحكيمة الدقيقة التي رسمها الرسول القائد لإدارة دفة المعركة ، واختار بموجبها المرابطة في ذلك المكان التعبوي الحصين من الشعب .

فلو لم يختر الرسول الله ذلك المرتفع من الشعب المحاط بهضاب جبل أحد من جهاته الثلاث ، لنجع سلاح خيالة المشركين في التسرب بسرعة إلى مؤخرة الجيش الإسلامي لضربه من الخلف وإشغاله عن مواجهة صدر الجيش المكي .

وبعد أن فشل هجوم الفرسان وتقهقر أبو عامر الراهب أمام مقاومة المسلمين العنيدة توترت الحالة ثم حمى الوطيس وصدرت الأوامر من قادة الفريقين بالهجوم العام فاصطدم الجيشان .

وكما هي العادة في اللحظات الأولى من كل معركة ، حاول الفريقان الثبات والاستبسال للسيطرة على الموقف ، وأبدى كل من أعيان الجيشين شجاعة ويطولة واضحة .

وكان المشركون (عندما طارت الشرارة الأولى لإشعال المعركة)

مغترين بكثرتهم وقوة تسليحهم ووفرة أبطالهم المشهورين بين العرب لذلك كانوا هم البادئين بالهجوم والداعين إلى المبارزة دائما .

نقل المعركة حول لواء قريش

وكان ثقل المعركة يدور حول اواء المشركين ، فقد كان هجوم المسلمين المضاد (١) مركزا (بصفة خاصة) على حملة هذا اللواء ، ولذلك دار القتال (أول مادار) بضراوة وعنف حول هذا اللواء .

فقد كان حملته من صناديد قريش المشهورين بالشجاعة والثبات وقد كان هدف المسلمين من تركيز الهجوم على حملة اللواء ، الإطاحة بهذا اللواء، لأن الاطاحة باللواء (وخاصة في ذلك العصر) يعجل بهزيمة من يسقط لواؤهم ، ولهذا كان لايتحمل مسئولية حمل اللواء في تلك المعارك إلا الأبطال المغاوير .

مصرع قائد حملة لواء مكة

وقد أبدى حملة اللواء العبدريون من ضروب الشجاعة والثبات ماأثبت أنهم (فعلاً) في مستوى مسئولية حمل الألوية، فقد قاتلوا حول لوائهم بضراوة وشراسة وعناد، وظلوا محافظين عليه مرفوعاً، يدافعون عنه دفاع المستميت حتى أباد المسلمون مفرزتهم عن بكرة أبيها.

وكان أول وقود المعركة قائد حملة لواء المشركين (طلحة بن أبى طلحة العبدرى) ، كان من أشجع فرسان قريش وكان يوم أحد راكباً جملا ومعه لواء مكة ، وكان المسلمون (لشجاعته) يسمونه كبش الكتيبة .

⁽١) يطلق على الهجوم المضاد ، اصطلاح الهجوم المقابل في الجيش العراقي

فقد دعا طلحة العبدرى هذا المسلمين إلى البراز ، فأحجم الناس عنه ولكن الزبير بن العوام أجابه إلى البراز ، ولما كان طلحة راكباً جملاً ، لم يهمله الزبير حتى ينزل الأرض ، بل وثب إليه وثبة الليث حتى صار معه على جمله ، ثم اقتحم به الأرض وبرك عليه ثم عاجله بطعنة من سيفه فصلت رأسة عن جسده .

حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم

وكان النبى القائد يرقب صراع الزبير مع قائد حملة لواء مكة ، فلما قتل الزبير طلحة بن أبى طلحة (وهو كبش الكتيبة كما يقول ابن سعد فى طبقاته) سر النبى على سروراً عظيماً ، ورفع صوته بالتكبير ، فكبر المسلمون لتكبيره ، وذكر ابن كثير فى البداية والنهاية أن النبى أثنى على الزبير بن العوام لقتله حامل لواء المشركين ، فقال فى حقه : « إن لكل نبى حوارياً وحواريى الزبير » (۱) وأنه على قال ايضاً بعد أن صرع الزبير حامل اللواء : « لو لم يبرز إليه الزبير لبرزت أنا إليه ، لما رأيت من إحجام الناس عنه » (۲) .

إبادة حملة المشركين

وبعد أن قتل الزبير قائد حملة اللواء طلحة بن أبى طلحة تعاقب بنو عبد الدار لحمله حتى أبادهم المسلمون جميعاً ، فقد حمل اللواء – بعد أبى

⁽١) السيرة الطبية ج ٢ ص ١٨

⁽٢) المبدر نفسه

طلحة - أخوه أبو شبية عثمان بن أبى طلحة ، وتقدم للقتال وهو يقول:

إن على أهل اللواء حقاً أن تخضب الصعدة (١) أو تندقًا

فحمل عليه حمزة بن عبد المطلب فضربه على عاتقه ضربة بترت يده مع كتفه حتى وصلت إلى سرته فبانت رئته .

وبعد أن قضى عليه رجع وهو يقول .. أنا ابن ساقى الحجيج .

وفى الحال رفع اللواء أبو سعيد بن أبى طلحة ، فرماه ابن سعيد ابن أبى وقاص بسهم أصاب حنجرته فأدلع لسانه ، ومات لحينه ، فسقط لواء مكة من يده ، فسارع إلى رفعه مسافع بن طلحة بن أبى طلحة ، فرماه عاصم بن ثابت بن الأفلح بسهم (٢) أصاب منه مقتلاً ، فحمل اللواء بعده أخوه كلاب بن طلحة بن أبى طلحة ، فانقض عليه الزبير بن العوام وقاتله حتى قتله ،

ثم حمل اللواء (أخو كلاب ومسافع) الجلاس بن طلحة بن أبى طلحة فلم يمهله طلحة بن عبيد الله (7) حتى طعنه طعنة أودت بحياته .

فهؤلاء ستة من بيت واحد ، (وهو بيت أبى طلحة عبد الله بن عثمان بن عبد الدار) صرعوا جميعاً حول لواء المشركين ، ثم حمل اللواء بعدهم (من بنى عبد الدار) أرطاة بن شرحبيل فلم يمهله على بن أبى طالب أبل قتله ، وقيل قتله حمزة ، ثم سارع إلى حمل اللواء شريح بن قارظ فقتله

⁽١) الصعدة نوع من الرماح

⁽٢) تقدمت ترجمته في كتابنا (غزوة بدر الكبرى) .

⁽٣) تقدمت أيضا ترجمته في ذلك الكتاب.

قزمان (١) (حليف بن ظفر) فسارع إلي حمله أبو زيد عمرو بن عبد مناف العبدرى فقتله قزمان أيضاً ، وبهذا قضى المسلمون تماماً على جميع حملة اللواء العبدريين .

ولما أباد المسلمون جميع حملة اللواء من بنى عبد الدار بن قصى أبن كلاب ، سارع إلي حمله بعدهم ، غلام لهم حبشى يقال له (صواب) ، وقد أبدى هذ العبد ضروب الشجاعة والثبات ، ماجعله يفوق جميع حملة اللواء من مواليه الذين صرعوا قبله .

فقد ذكر بن كثير أن هذا الغلام لما أخذ اللواء صار يقاتل تحته حتى قطعت يداه ، ولئلا يسقط اللواء في الأرض برك عليه بصدره وعنقه ، حتى قتل وهو يقول: اللهم هل أعززت يعنى هل أعذرت ؟

احتدام المعركة

وبينما الصراع يدور رهيباً هكذا حول لواء مكة ، كانت نيران المعركة قد اندلعت واشتد القتال بين الفريقين في كل نقطة من نقاط الميدان .

فقد اختلط الفريقان واندفعت قريش إلي القتال يثور في عروقها طلب الثأر لمن مات من أشرافها وساداتها منذ عام ببدر $\binom{(Y)}{Y}$ وسادت روح الإيمان صفوف المؤمنين المجاهدين فانطلقوا – خلال الشرك – انطلاق الفيضان تقطعت أمامه السدود $\binom{(Y)}{Y}$.

⁽١) قزمان (بضم القاف) حليف لبى ظفر ، لم يكن مسلماً وإنما كان منافقاً قاتل مع المسلمين حمية لا عن الإسلام كما اعترف بذلك عند موته ، وهو الذى قال فيه الرسول صلى الله عليه وسلم أنه من أهل النار لما ذكروا له شجاعته ، وفعلا مات قزمان منتحراً حيث قتل نفسه لما المتد عليه ألم الجراح التى أصابته في المعركة .

⁽Y) الرسول القائد ص ١١٤ .

⁽٣) فقه السيرة ص ١٩٤

وكان حمزة بن عبد المطلب وأبو دجانة الأنصارى كفرسى رهان في سباق البطولة ، حيث انطلقا يهدان صفوف المشركين هداً.

أما حمزة ، فبعد أن أصدر الرسول الله أوامره بالقتال ، هتف بكلمة التعارف التى اتفق عليها المسلمون وهي (أمت أمت) ثم اندفع إلى قلب جيش الشرك كالصاعقة (وفي يديه سيفان) لايقف له أحد .

فبالإضافة إلى مشاركته الفعالة فى إبادة حملة لواء المشركين ، فعل الأفاعيل بأبطالهم الآخرين ، وكان يجول الأبطال أمامه كما تجول الريح أمامها الورق اليابس ، لما له من هيبة فى نفوس الأبطال .

وقد تعرض له أحد فرسان قريش الأفذاذ المشهورين ،، وهو سباع ابن عبد العزى الغبشانى ، فناداه حمزة للبراز قائلاً له (فى سخرية) : هلم إلى ، فأسرع إليه سباع يكت كتيت الفحل الهائج . فالتقاه حمزة بضربة هاشمية مسلمة جعلته كأمس الدابر .

وقد كان لمقتل سباع هذا أثر سنيًى، في نفوس المشركين لأنه من أبطالهم المعتمد عليهم ساعة الشدة .

الهزيمة تنزل بجيش مكة

وشد المسلمون على صفوف المشركين فزعزعوها وأشاعوا الذعر فيها وبدأ الاضطراب في صفوف جيش مكة .

وساد الاضطراب صفوفهم بعد أن سقط لواؤهم على الأرض عقب

إبادة المسلمين لجميع أفراد حملة هذا اللواء ، فأخذت روحهم المعنوية في الانهيار ، وهذا طبيعي – بعد سقوط لوائهم – لأن سقوط اللواء (وخاصة في ذلك العصر) معناه بداية الهزيمة .

وهذا الذي عناه أبو سفيان بقوله (لبنى عبد الدار) عندما سلم إليهم لواء مكة : « إنما يؤتى الناس من قبل راياتهم يابنى عبد الدار إما أن تكفونا لواحنا وإما أن تخلوا بيننا وبينه فنكفيكموه » .

ولقد أوفى بنو عبد الدار على الغاية حيث قاتلوا على اللواء بشراسة وعناد جاهلى حتى أبادتهم سيوف الإسلام عن آخرهم ، وهنا سقط اللواء من أيديهم على الأرض ، وبقى مطروحاً عليها حتى رفعته (بعد كارثة الجبل) عمرة الحارثية فالتفت حوله قريش من جديد . وإلى هذا أشار حسن بن ثابت يعير قريشاً في شعره بقوله :

فلولا لواء الحارثية أصبحوا يباعون في الأسواق بيع الجلائب التصار المسلمين

وبعد معركة اللواء تلك تبلور الموقف وبدأ رجحان كفة المسلمين في المعركة ظاهرا ، فضاعف المسملون من حملاتهم وبذلت قريش قصارى جهدها للصمود في وجه المسلمين الذين سيطروا على الموقف ، ولكن دونما جدوى ، فقد تخاذل المشركون (على كثرتهم) أمام المسلمين (على قلتهم) وأخذوا يولون الفرار ونزلت الهزيمة بجيش مكة نزول السيل العرم بالسد الخرب المتهدم .

مصرع الأسد

وعندما بدأ سيل الهزيمة يجرف صفوف المشركين ، فقد المسلمون (وهم في غمرة النصر) بطلاً من أعظم أبطالها وقائدا من أمهر قوادها، وهو أسد الله ورسوله (حمزة بن عبد المطلب) عم النبي تلك ، وأخوه من الرضاعة ، فقد امتدت يد الغدر والاغتيال إلى هذا الأسد وهو يهدم صفوف الشرك بسيفه .

وكان الذي قتل حمزة (والمسملون في غمرة النصر) عبد حبشى اسمه (وحشى، ولقبه أبو دسمة) قتل الأسد غيلة إذ اغتاله بحربته على بعد منه، قذفه بها وهو كامن وراء شجرة.

قاتل حمزة يروي القصة

وانترك هذا القاتل الغادر يروى بنفسه قصة الفاجعة التى أنزلتها حربته الغادرة بالمسلمين وهم في ذروة النصر ، يوم أحد .

قال وحشى : « كنت غلاماً لجبير بن مُطعم » (وكان عمه طعيمة ابن عدى قد قتله حمزة يوم بدر) فلما سارت قريش إلى أحد قال لى جبير : (إن قتلت حمزة عم محمد بعمى فأنت عتيق) .

قال: فخرجت مع الناس، وكنت رجلاً حبشياً أقذف بالحربة قذف الحبشة قل ماأخطى، بها شيئاً، فلما التقى الناس خرجت انظر حمزة وأتبصره، حتى رأيته في عرض الناس كأنه جمل أورق يهد الناس بسيفه مايبقى به شيئاً، فو الله إنى لأتهيا له أريده، وأستتر منه بشجرة أو حجر إذ تقدم منه سباع بن عبد العزى، فلما رآه حمزة قال: (هلم إلى يابن

مقطعة البظور) أتحاد الله ورسوله ، قال فضريه ضربة فكأنما أخطأ رأسه.

قال وحشى ، وهزرت حربتى حتى إذ رضيت منها دفعتها نحوه ، فوقعت فى ثنتيه حتى خرجت من بين رجليه وذهب لينوء نحوى فغلب ، وتركته وإياها حتى مات ، ثم أتيته فأخذت حربتى ، ثم رجعت إلى المعسكر وقعدت فيه ، ولم يكن لى بغيره حاجة ، إنما قتلته لأعتق ، فلما قدمت مكة عتقت ، ثم أقمت حتى إذا افتتح رسول الله علله مكة هربت إلى الطائف فمكثت بها ، فلما خرج وفد الطائف إلى رسول الله تلك ليسلموا ، تعيت على المذاهب فقلت ألحق بالشام أو باليمن أو ببعض البلاد ، فو الله إنى لفى ذلك من همى ، إذ قال لى رجل : ويحك والله لايقتل أحداً من الناس دخل فى دينه وشهد شهادة الحق .

قال وحشى .. فلما قال لى ذلك خرجت حتى قدمت على رسول الله المدينة ، فلم يرعه إلا بى قائماً على رأسه أشهد شهادة الحق ، فلما رأنى قال لى :

أوحشي أنت ؟؟

قال نعم يارسول الله

قال .. اقعد فحدثني كيف قتلت حمزة .

قال .. فحدثته ، فلما فرغت من حديثى قال .. ويحك غيب عنى وجهك ، فكنت أتنكب برسول الله حيث كان لئلا يرائى حتى قبضه الله »

ومن الجدير بالذكر أن وحشياً هذا كان يواصل الجهاد مع المسلمين (وكان شجاعاً فاتكاً) شهد معركة اليرموك ضد الرومان . ووحشى هذا هو الذي قتل مسيلمة الكذاب.

فقد روى البخارى أن وحشياً قال: « فلما قبض رسول الله ﷺ ، وخرج مسيلمة الكذاب قلت لأخرج إلي مسيلمة لعلى أقتله فأكافىء به حمزة.

قال فخرجت مع الناس ، فكان من أمره ماكان ، فاذا رجل قائم فى شلمة جدار كأنه جمل أورق ثائر الرأس (وهو مسيلمة) قال وحشى .. فرميته بحربتى حتى وضعتها بين ثدييه حتى خرجت من بين كتفيه ، ووثب إليه رجل من الأنصار فضربه بالسيف .

فكان وحشى يقول (بعد ذلك « : فإن كنت قتلت مسيلمة الكذاب فقد قتلت خير الناس بعد رسول الله ﷺ يعنى (حمزة بن عبد المطلب) وقتلت شر الناس (يعنى مسيلمة الكذاب) ».

رجل بعد بالآلاف

وهكذا فقد المسلمون (بمصرع حمزة بن عبد المطلب) رجلاً يعد بالآلاف، فقد كان رضى الله عنه من أكبر سواعد النبى فى الملاحم، كان فى أحد (كيوم بدر) نجم المعركة اللامع.

كان المشركون موتورين من حمزة ، وكانت قلوبهم تغلى حقداً عليه ، لأنه صرع الأحبة من فرسانهم يوم بدر ، وكان النين وترهم حمزة يوم بدر فى نويهم يودون قتله انتقاماً . ولكنهم جميعاً يدركون أن مواجهة حمزة ابن عبد المطلب ليس بالأمر الهين ، فشهرته الحربية واستفاضة ضراوته فى القتال جعلت فرائص أعظم الأبطال ترتعد لمجرد التفكير فى ملاقاة هذا البطل ولهذا لجأ المتوتورون من حمزة إلى طريق الاغتيال ، فتم الاتفاق

(كما تقدم) بين جبير بن مطعم ومولاه وحشى على عتقه مقابل أن يقتل حمرة.

ونفذت خطة الاغتيال الدنيئة ، قال الأستاذ محمد حسين هيكل «وصرع الأسد حمزة (لا كما تصرع الأبطال وجهاً لوجه في ميدان القتال، وإنما كما يغتال الكرام في أحلك الظلام) وهل كان أحد من شجعان العرب جميعاً يحسب نفسه كفئا لحمزة ونزاله ؟.

وهل كان يظن أحد أن يطالع الموت حمزة في معركة على طول مامشى بين صفوف الموت مختالاً ، واكن ماعسى أن تغنى الشجاعة والنبل حين يختبى الاغتيال في حندس الليل فيورد صاحبها حتفه » (١)

السيطرة على الموقف

وبالرغم من الخسارة الفادحة التي نزلت بالمسلمين ، بمصرع الأسد حمزة فإن قواتهم ظلت مسيطرة على الموقف ، فلم يتراخوا ولم يحدث أى انحسار في مد الانتصار الذي سجلوه على جيش مكة .

لاسيما أن مصرع حمزة لم يكتشفه المسلمون إلا بعد انتهاء المعركة ، التي فقد المسلمون فيها كثيراً من أبطالهم ، ولأن قتل حمزة لم يكن إلا غيلة في غمرة النصر والمسلمون يطاردون العدو المنهزم .

⁽١) في مهيط الوحي ص ٥٥٧

الفارس ذو العصابة

أما أبو دجانة ، وهو الركن الثانى من أركان المعركة ، والذى أبى الرسول الله أن يعطى سيفه لأحد سواه عندما عرضه على أصحابه (قبل المعركة) فقد أبلى بلاء عظيماً ، فكان يوم أحد لايقوم له أحد وقد كان لبسالته أثر عظيم في أندحار المشركين في الصفحة الأولى من المعركة .

قال الزبير بن العوام .. وجدت في نفسى حين سألت رسول الله السيف فمنعنيه وأعطاه أبا دجانة ، وقلت أنا ابن صفية عمته (١) ومن قريش وسألته إياه قبله فأعطاه أبا دجانة وتركني ؟؟ والله لأنظر مايصنع ، فأخرج عصابة حمراء فعصب بها رأسه ، فقالت الأنصار:

⁽۱) مى صفية بنت عبد المطلب بن هاشم القرشية ، عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وشقيقة حمزة ووالدة الزبير بن العوام ، أمها هائة بنت وهب (خالة رسول الله) كان أول من تزوج صفية : الحارث بن حرب بن أمية ، فلما هلك عنها خلف عليها العوام بن خويلد أخو خديجة أم المؤمنين، كانت من السابقات إلى الإسلام ، هاجرت مع ولدها الزبير ، وكانت رضى الله عنها ذات شجاعة وإقدام ، فقد ذكر المؤرخون أن النبي صلى الله عليه وسلم لما خرج للاقاة الأحزاب في الخندق ، جعل النساء في حصن يقال له (فارغ) وجعل معهن حسان ابن ثابت ، وصادف أن تسلق أحد اليهود الحصن . قالت صفية ، فقلت لحسان قم فاقتله ، فقال لو كان ذلك في ، كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالت صفية فقمت إليه فضريته حتى قطعت رأسه ، وقلت لحسان قم فاطرح رأسه على اليهود وهم أسفل الحصن ، فقال والله ماذاك ، (أي لاأستطيع) قالت فأخذت رأسه فرميت به عليهم ، فقالوا : قد طعنا ، إن هذا (يعنى النبي) لم يكن ليترك أهله خلوا ، ليس معهم أحد ، فتفرقوا ، وكانت صفية بنت عبد المللب، عنها أول امرأة قتلت رجلا من الكفار ، ونكر ابن حجر في الإصابة أن صفية بنت عبد المللب، عزنت صفية على أخيها البطل حمزة حزناً شديداً ، وقد رثته بأبيات شعر غاية في الجودة حزناً شديداً ، وقد رثته بأبيات شعر غاية في الجودة والمة ومنها : إن يوماً أتى عليك ليم كورت شمسه وكان مضيئاً.

أخرج أبو دجانة عصابة الموت ، وهكذا كانت تقول له إذا تعصب ، فجعل لا يلقى أحداً إلا قتله ، وكان فى المشركين رجل لا يدع جريحاً إلا ذفف عليه فجعل كل واحد منهما يدنو من صاحبه ، فدعوت الله أن يجمع بينهما ، فالتقيا ، فاختلفا ضربتين ، فضرب المشرك أبا دجانة فاتقاه بدرقته فعضت بسيفه وضربه أبو دجانة فقتله (١)

وقال كعب بن مالك (٢) كنت فيمن خرج من المسلمين ، فلما رأيت تمثيل المشركين بقتلى المسلمين (أى بعد الانتكاسة) قمت فتجاوزت ، فإذا رجل من المشركين جمع اللأمة (أى استكمل كل عدة حربه) يجوز المسلمين وهو يقول (استوسقوا كما استوسقت جزر الغنم) وإذا رجل من المسلمين ينتظره ، وعليه لأمته ، فمضيت حتى كنت من ورائه ، ثم قمت أقدر المسلم والكافر ببصرى ، فإذا الكافر أفضلهما عدة وهيئة ، فلم أزل انتظرهما حتى التقيا ، فضرب المسلم الكافر ضربة فبلغت وركه وتفرق فرقتين ، ثم

⁽١) البداية والنهاية ٤ ص ١٧ .

⁽Y) هو كعب بن عمرو بن مالك بن القين الأنصارى السلمى الخزرجى ، صحابى شهير وكان من أكابر الشعراء المشهورين في الجاهلية وفي الإسلام ، كان من شعراء رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أحد الذين اشتركوا في إبرام بيعة العقبة ، تخلف عن بدر و شهد أحداً والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا تبوك ، وكان من الثلاثة الذين تخلفوا وتاب الله عليهم ، كما جاء في القرآن الكريم ، كان كعب من الذين ساندوا الخليفة عثمان أيام المحنة وحرض الأنصار على نصرته وأنجده يوم الثورة ، التزم كعب الحياد في الفتنة التي حدثت بين على ومعاوية ، وقال روح بن زنباع الجذامي أشجع بيت وصف به رجل قومه ، قول كعب بن مالك .

نصل السيوف إذا قصرن بخطونا يوماً والمقها إذا لم تلحق أخرج أصحاب الحديث في كتبهم ثمانين حديثاً لكعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، توفي كعب سنة خمسين ه. .

كشف المسلم عن وجهه وقال: كيف ترى ياكعب ؟؟ أنا أبو دجانة $(^{(1)}$.

فاحّتيار النبى ﷺ أبا دجانة وإعطاؤه السيف من بين جميع اصحابه، يدل على خبرته بالرجال ومعرفته كيف يختار الأكفاء في المواطن الحرجة ، والساعات الدقيقة من المعارك الفاصلة .

كاد بقتل هنت بنت عبتة

ومن عجائب الصدف أن أبا دجانة هذا كاد يقتل تلك المرأة العنيدة هذد بنت عتبة زوج القائد العام لجيش مكة التى حضرت لتحريض الناس على سفك الدماء ، فقد التقى بها أبو دجانة ، وهى بلباس الميدان كالرجال وكاد يفلق رأسها بالسيف ، لولا أن أدركتها أنوثتها فولولت عندما أحست بالموت يقترب منها .

وكان أبو دجانة قد تحدث بهذا فيما تحدث به من أخبار أحد ، فقال : « رأيت يوم أحد إنساناً يحمس الناس حماساً شديداً (أى يحرضهم على القتال) فصمدت له ، فلما حملت عليه بالسيف ولول (أى صاح فزعاً) ، فإذا امرأة ، فأكرمت سيف رسول الله المناه أن أضرب به امرأة ، وكانت المرأة هند بنت عتبة » ، قال الزبير بن العوام « رأيت أبا دجانة قد حمل السيف على مفرق هند بنت عتبة ثم عدل السيف عنها » .

لم يترك المسلمون فرصة للمشركين المنهزمين ليجمعوا صفوفهم التى بعثرتها حملات المسلمين الصاعقة ، وكان منظراً رائعاً (حقاً) سبعمائة مقاتل يشتتون ثلاثة آلاف مقاتل يفوقوهم في كل شيء إلا الإيمان .

⁽١) البداية والنهاية ج ٤ مس ١٧

لقد كانت هزيمة قريش هزيمة منكرة ، إلى درجة أن الصنم الذى احتملته القيادة للتبرك به سقط من فوق الجمل الذى كان يحمله ، وتحطم تحت أقدام عابديه دون أن يفكر فيه أحد لأن الهزيمة أنستهم كل شيء .

وبلغت الهزيمة بالمشركين إلى أن جلوا عن معسكرهم تماماً فاحتله المسلمون ، وأحاطوا بمن فيه من نساء المشركين .

قال ابن إسحاق .. ثم أنزل الله نصره على المسلمين ، وصدق وعده فحسوهم بالسيوف حتى كشفوهم عن المعسكر ، وكانت الهزيمة لاشك فيها، قال في السيرة الحلبية /

« ثم لما قتل أصحاب لواء المشركين واحداً بعد واحد ، ولم يقدر أحد يدنو منه انهزم المشركون وولوا الأدبار لايلوون على شيء ونساؤهم يدعون بالويل بعد فرحهم وضربهم بالدفوف ، وألقين الدفوف وقصدن الجبل كاشفات سيقانهن يرفعن ثيابهن ، وتبع المسلمون المشركين يضعون فيهم السلاح وينتهبون الغنائم » .

• 1

القصل الرابع

- * غلطة الرماة الفظيعة .
- * انتكاسة المسلمين بعد النصر.
- * تحول مجري القتال لصالح المشركين .
 - * تطويق الجيش الإسلامي .
 - * النبي يجرح في المعركة .

وهكذا (مرة أخرى) انهزم الكفر أمام الإيمان (مع التفاوت الهائل في العدد والعدة) فتبعثر ثلاثة آلاف مقاتل من المشركين أمام سبعمائة محارب من المسلمين ، كما يتبعثر الورق اليابس أمام العاصفة .

وكادت المدينة تسجل مرة أخرى ، على مكة نصراً ساحقاً ، لايقل روعة وفعالية عن النصر الذى سجلته عليها يوم الملحمة الأولى (ملحمة بدر).

ولكن (كما يقولون) هناك مزالق بين الكأس والشفة . ذلك أن عملاً واحداً من أعمال الخروج على النظام والانضباط العسكرى (١) ، ارتكبه الرماة (المتمركزون في الجبل) حول نصر المسلمين المؤزر إلى كارثة

كان النبى (كقائد عسكرى) خبير مسئول قد اختار (وفقاً للخطة المرسومة) فصيلة من رماة النبل بقيادة آمر مسئول، وأمرها بأن تتمركز في جبل عينين (كما ذكرنا ذلك فيما مضى) وأفهم هذه الفصيلة بأن

⁽١) الانضباط العسكرى: تعبير عسكرى يراد به تنفيذ الأوامر نصاً وروحاً برحابة صدر ، والانضباط العسكرى هو الطابع الميز للجيش عن المنيين ، وفي بعض النول يدعى الضبط العسكرى ، وهو الإطاعة وتفيذ الأوامر بدون تردد .

مهمتها الرئيسية هى حماية ظهر الجيش الإسلامى ، وصد أية محاولة (فى أى وقت يقوم بها خيالة المشركين) بأن يلزموا مواقعهم فى الجبل حتى يتلقوا منه أوامر خاصة .

ولكى يدركوا خطورة الواجب الملقى على عاتقهم وأن مصير الجيش الإسلامى قد يكون (في ساعة من الساعات) مرتبطاً ببقائهم في هذا الجبل حذرهم من مغادرتهم حتى ولو رأوا الطير تتخطف المسلمين.

الخوف من اقتحام الخيالة الجبل

وقد كان أخشى مايخشاه الرسول ﷺ هو أن يعمد سلاح فرسان المشركين إلى مباغتة المسلمين وضربهم من الخلف ساعة احتدام المعركة .

ولما كانت هذه العملية التي كاد يخشى أن تقوم بها خيل قريش ، لا يمكن القيام بها إلا عن الطريق الذي يشرف عليه الجبل الذي تمركز فيه المسلمون ، لفت تشه نظر هؤلاء الرماة بصفة خاصة إلى خطر خيل مكة وأمرهم بأن يترقبوها دائما ، ويرشقوها بالنبل إن حاولت المرور لضرب المسلمين من الخلف .

(وفعلاً) حدث الذي كان يخشاه الرسول ﷺ ويتوقع حدوثه فقد فكر فيه خالد بن الوليد قائد سلاح فرسان المشركين منذ اللحظة الأولى .

فقد ظل ابن الوليد يرقب مواقع الرماة في الجبل مراقبة دقيقة ويتحين الفرص لعله يجد فرصة لاقتحام الموقع في الجبل وإجلاء المرابطين أو إبادتهم ، ثم التسرب من فم الشعب إلى داخله ، لضرب المسلمين من الخلف وإحداث الارتباك في صفوفهم في أول المعركة .

وفعلاً قام في بداية الملحمة بثلاث هجمات لاقتحام الشعب من ناحيته الغربية (وهي الناحية الوحيدة الصالحة لانطلاق خيله) واكنه فشل في كل هذه الهجمات فشلاً تاماً حيث أصلاه المرابطون في الجبل ناراً حامية من سهامهم، فارتد بخيله، لأن الخيالة لايقدمون الخيل على النبل.

قيام الرماة بواجبهم أول المعركة

وهكذا قام الرماة بواجبهم في أول المعركة خير قيام ، حيث صدت نبالهم الحادة كل المحاولات التي قام بها فرسان خالد بن الوليد لاقتحام فم الشعب في أول المعركة .

وظلت مؤخرة المسلمين في مأمن تحت حراسة هؤلاء الرماة الأشداء في جميع مراحل المعركة ، حتى ساعة الانتكاسة وهذا يعنى أن فصيلة الرماة قد ساهمت مساهمة كبرى في تحقيق النصر الذي أحرزه المسلمون ضد المشركين في أول المعركة .

غلطة الرماة الشنيعة

ولكن هؤلاء الرماة إذا كان ذلك شأنهم في أول المعركة ، فإنهم قد تسببوا في النهاية في كارثة مروعة أضاعت كل ثمرات النصر التي أحرزها المسلمون ببسالتهم ، كما تسبب هؤلاء الرماة في مصرع أكثر من ستين مسلماً من جند المدينة ، وكانوا يكونون سبباً في مقتل النبي الأعظم الذي تعرض نتيجة لغلطة هؤلاء الرماة لجراحات كثيرة . وتفصيل ذلك أن هؤلاء الرماة (وعددهم خمسون) لما رأوا أن المسلمين قد كشفوا المشركين عن المعسكر وركبوا ظهورهم يقتلون ويغنمون ، ورأوا لواء

المشركين مطروحاً علي التراب تأكنوا من هزيمة العنو ، وهنا اختلفوا فيما بينهم .

فبينما كان سواد الجيش الإسلامي يوالي ضرباته ضد العدو المنهزم، كان النقاش يدور حاداً بين الرماة في الجبل حول ما إذا كان من حقهم ترك مواقعهم للاشتراك في مطاردة العدو وأخد حصتهم من الغنائم التي رأوها مبعثرة على أرض المعركة فسال لها لعاب أكثرهم

وكانت الأغلبية من الرماة تميل إلى ترك الجبل والاشتراك في جمع الغنائم ، حتى بعضهم قال:

« لم تقيمون ههنا في غير شيء ، وقد هزم الله عدوكم ، وهؤلاء إخوانكم ينتهبون عسكرهم ، فادخلوا واغنموا مع الغانمين ، ثم استأذنوا في مغادرة الجبل » .

الرماة يتمردون علي قائدهم

ولكن أمر الموقع وقائد هؤلاء الرماة المسئول (عبد الله بن جبير الأنصارى) كان يرى خلاف هذا الرأى ، كان يرى أن من الضرورى أن تطبق حرفياً أوامر النبى القائد العام التى تقضى بعدم مغادرة الجبل إلا بأمر خاص منه ، ولما اشتد اللغط بين الرماة ، وقف قائدهم فيهم خطيباً ، وحذر الذين استأذنوا فى ترك مواقعهم ، وذكرهم بأوامر الرسول المشددة التى تقضى بعدم ترك الجبل مهما كانت الظروف والملابسات إلا بأمر من النبى على .

ثم أعلن هذا القائد بأنه مصمم على البقاء في الجبل حتى يتلقى

الأوامر الخاصة من النبى على بالانسحاب أو يفنى ، ثم نهى الذين استأذنوه، ولم يسمح لهم بمغادرة الجبل بل أمرهم بالبقاء في مراكزهم .

واكن الأكثرية في الجبل من الرماة (ولأمر يريده الله) تمربوا على قائدهم، وتركوا مواقعهم في الجبل والتحقوا بسواد الجيش للمشاركة في جمع الغنائم ﴿ منكم من يريد الدينا ومنكم من يريد الآخرة ﴾ (١) فبقى القائد ابن جبير في الجبل منفرداً مع أقلية دون العشرة أطاعوه.

نزول الكارثة بالمسلمين

وبانسحاب اكثرية الرماة من الجبل انكشفت مؤخرة الجيش الإسلامي تماماً ، حيث بقيت دونما حراسة كافية ، لأن عشرة من رماة النبل لايمكن أن يقفوا في وجه مائتين من الفرسان الغائصين في الحديد .

ولم يكن من السهل إبلاغ المسلمين بماحدث ولأن خالد بن الوليد لم يترك فرصة لقائد الرماة ومن بقى معه لينبهوا المسلمين إلى ماحدث على الأقل .

فقد لمح قائد سلاح فرسان مكة (الذي كان يراقب موقع الرماة في الجبل مراقبة شديدة) لمح ترك أكثر الرماة لمراكزهم في الجبل فاهتبل الفرصة على عجل ، وصاح في كتيبته من الخياله آمراً بالهجوم على المسلمين من الخلف ..

فاندفعت خيل المشركين تسابق الريح (يقودها خالد وعكرمة ابن

⁽۱) أل عمران : ۱۵۱

أبى جهل) نحو مواقع الرماة في الجبل للقضاء (أولاً) على من بقى فيه من الرماة.

وقد صمد قائد الرماة مع من بقى معه فى وجه فرسان مكة وقاوموا مقاومة الأبطال ، ولكن أنّى لعشرة من المشاة (مهما بلغوا من الشجاعة) بالمقاومة فى وجه مائتى فارس مسلحين أحسن تسليح يقودهم خالد ابن الوليد .

ولهذا لم تمض برهة حتى أباد خالد جميع من ثبت من الرماة في الجبل ومنهم قائدهم البطل (عبد الله بن جبير) رحمهم الله جميعاً .

المسلمون بين نارين

ثم استدار ابن الوليد بسرعة وانقض بفرسانه على مؤخرة الجيش الإسلامى ، بعد أن صاح فرسانه صيحة عرف منها المشركون المنهزمون أن ابن الوليد قد قام بحركة التفاف ناجحة ضد جيش المدينة ، فانقلب المشركون نحو المسلمين وقاموا ضدهم بهجوم مضاد ، وأسرعت عمرة الحارثية إلى لواء المشركين المطروح على الترب فرفعته ليلتف المنهزمون حوله من جديد ، وتنادى المشركون المنهزمون وشجع بعضهم بعضاً على العوادة الى الميدان بعد أن رأوا لواءهم يرفع من جديد .

وبهذا تغير الموقف تغيراً كاملا ، وتحول مجرى القتال لصالح المشركين .

أما المسلمون فقد صاروا بين نارين ، فأصبح لذلك همهم الوحيد (في تلك اللحظة السيئة) النجاة بأرواحهم من الطوق الذي ضربه المشركون حولهم .

وبحركة خالد المباغتة التي يسرت لها غلطة الرماة النجاح الكامل، ضاعت على المسلمين معالم الخطة الحكيمة التي رسمها الرسول القائد لإدارة دفة المعركة، فصاروا يقاتلون دونما تماسك، إذ وجدوا أنفسهم وبطريقة فجائية (بعد نسف الرماة بتمردهم خطة القتال التي وضعها الرسول القائد للمعركة) أمام أسلوب من القتال جديد.

فصاروا وكأنهم يخوضون معركة جديدة ، يقاتلون فيها دونما خطة مرسومة ، أو تعبئة سابقة ، أو قيادة موحدة حيث أصبح كل فرد من أفراد الجيش المطوق (وقبل الاتصال بالنبى القائد الأعلى) يرسم لنفسه خطة يحاول بموجبها الإفلات من الحزام الذى وجد المسلمون أنفسهم (فجأة) داخله .

المسلمون يقتلون بعضهم

لقد فقد المسلمون تنظيمهم (بعد غلطة الرماة) وانتقضت صفوفهم، وعمتهم الفوضى والارتباك، فاختلطوا، وألقوا ما في أيديهم من الغنائم، وانقلب بعضهم يضرب بعضاً، فعمت الفوضى والارتباك صفوفهم، وصاروا يقتتلون على غير شعار.

وتاه الكثيرون منهم ، لايدرون إلى أين يتجهون ، لاسيما بعد أن صاح صائح المشركين (إن محمداً قد قتل) .

فكانت محنة قاسية سقط فيه كثير من المسلمين قتلَى بأيدى إخوانهم من غير قصد . ولقد كان من المتوقع أن تقضى كثرة العدو العديدة المتفوقة - التى أعادت تنظيمها بعد حركة خالد الناجحة - كان من المتوقع أن تقضى هذه الكثرة على القلة من المسلمين المطوقين وتسحقهم سحقاً كلياً.

ولكن الليوث لاتصاد بسهولة.

فالبرغم من المأزق الحرج الذي وقع فيه سواد الجيش الإسلامي ، فإنهم أخنوا يقاتلون بضراوة ليشقوا طريقهم نحو قائدهم النبي الذي تأكنوا من سلامته بعد أن سمعوه يناديهم بصوته الكريم من مقر قيادته .

فشقوا طريقهم (واكن بصعوبة كبيرة) وسط غابات الرماح والسيوف الى أحاطهم المشركون بها من كل جانب بعد نجاح حركة خالد المفاجئة.

ولقد اتصل المسلمون من جديد بنبيهم الذى بقى (مع بعض هيئة أركان حربه) يرقبون مطاردة المسلمين للعدو وتخلصوا من الطوق المضروب عليهم ولكن بعد أن دفعوا الثمن غالياً.

كيف انقسم الجيش الإسلامي

كان المسلمون بعد كشف المشركين عن معسكرهم ونزول الهزيمة بهم، قد انقسموا إلى فرق ثلاث :

الفرقة الأولى وهم الرسول الله وبعض أركان حربه ظلوا فى مركز القيادة العامة ولم يشتركوا فى المطاردة ، ومن بين هؤلاء أبو بكر

الصديق وطلحة بن عبيد الله وغيرهما من المهاجرين والأنصار وقد كانت الفرقة قليلة العدد جداً إذ لم يزد عددهم على أربعة عشر رجلاً (١).

٢ – وفرقة ثانية اشتركت في مطاردة العدو، واكنها لم تتوغل، وبقيت على مقربة من مقر قيادة الرسول، وهذه الفرقة لم يتمكن المشركون من تطويقها، عندما تغير مجرى القتال، ويظهر أن من أفراد الفرقة أنس بن النصر وعمر بن الخطاب وسعد بن أبي وقاص (٢).

وهذه الفرقة أيضاً كانت صغيرة جداً ، إلا أن رجالها كانوا يعدون بالمئات ، فقد سارع هؤلاء بالانضمام إلى الرسول في مقره ، وألفوا جبهة لحماية الرسول من كرة العدو.

٣ - وفرقة ثالثة ، وهي الفرقة الكبرى التي ضمت سواد الجيش الإسلامي ، وقامت بمطاردة العدوحتى أجلته عن معسكره واحتلت مقر قيادته واستوات على مافي المعسكر من غنائم .

وهذه الفرقة (وإن شئت قل هذا الجيش) هو الذي تمكن جيش قريش من تطويقه توطيقا كاملا بعد ضربة خيالة بن الوليد المفاجئة وقد انقسم الجيش الإسلامي المطوق إلى قسمين:

۱ - القسم الأول (وهو صغير جداً) تمكن من الإفلات وانهزم نحو المدينة ، حيث لم يوفق في شق طريقه نحو مقر قيادة الرسول في الشعب ، متوهماً أن جيش المسلمين قد هزم ، وأن نبيهم قد قتل.

⁽١) سمط النجوم العوالي ، العصامي ج٢ ص ٨٥ .

⁽٢) تقدمت ترجمته في كتابنا (غزوة بدر الكبرى)

ولكن هذا القسم الصغير لما وصل بعضه أسوار المدينه عنفهم النساء اللواتى كن هناك في الأطام (١) وعلى التلال يرقبن المعركة .. عنف النساء هؤلاء الرجال المنهزمين وحَتَتُ الزوجات التراب في وجوه أزواجهن ، ونبهنهم إلى أن الرسول لم يُقْتَل .

فعاد هؤلاء المنهزمون أدراجهم مسرعين نحو المعركة ، ولكنه لم يتمكنوا من الاتصال بالنبى الله إلا بعد انتهاء المعركة ، ويقال أن بعضاً من هؤلاء المنهزمين لم يرجعوا إلا بعد ثلاثة أيام من المعركة ، وهؤلاء هم الذين قال لهم النبى الله ، لقد ذهبتم فيها (أى الهزيمة) عريضة ، أو كما قال :

وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الفئة المنهزمة ونص على أن الله تعالى عفا عنهم ، فقال تعالى:

أن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استزلهم الشيطان ببعض ماكسبوا ولقد عفا الله عنهم إن الله غفور حليم (Y).

أما القسم الأكبر من سواد الجيش المطوّق ، فقد حدث ارتباك شديد داخل صفوفه ، وانهارت الروح المعنوية (أو كادت) في نفوس بعض افراده الذين أصابهم الذهول بعد الانتكاسة ، وخاصة عندما سرت بينهم إشاعة مصرع النبي الأعظم ﷺ ولقد كان والد حذيفة بن اليمان (٢)

⁽١) الأطام: الحصون،

⁽٢) آل عمران : ١٥٥ .

⁽٣) هو حنيفة بن حميل بن جابر اليماني العبسي ، من كبار الصحابة ، أسلم حذيفة وأبوه ، وأراد شهود بدر فصدهما المشركون ، شهد حنيفة الخندق وأحد وما بعدهما ، وكان من الولاة = .

(واسمه حسيل بن جابر) (١) أحد الذين قتلهم المسلمون ساعة الارتباك والدهش الذي أصاب المسلمين بعد الانتكاسة .

فقد روى البخارى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت: لما كان يوم أحد هُزِم المشركون هزيمة بينة ، فصاح إبليس ، أى عباد الله أخراكم، فرجعت أولاهم فاجتلدت مع أخراهم ، فنظر حذيفة فإذا هو بأبيه فنادى أى عباد الله (أبى أبى) .

فقالت ، فو الله مااحتجزوا حتى قتلوه ، فقال حذيفة : يغفر الله لكم (٢) .

إشاعة مقتل الرسول

ومما زاد النكبة أن إشاعة سرت مفادها أن المشركين تمكنوا من قتل النبي الله ونادى مناديهم بذلك ، وسبب هذه الإشاعة أن أحد فرسان

⁼ الشجعان الفاتحين ، كانت أكثر فتوحاته في أرض فارس (أيام عمر) غزا نهاوند وافتتح الدينور ، وماه سندان ، وغزا همذان والري (منطقة طهران) فافتتحمها عنوة ، ولاه عمر على المدائن بفارس ، فكان من أعف الولاة ، وكان دائما محل ثقة الخليفة عمر ، وكان حذيفة من المقريين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عينه على المنافقين لم يعلمهم أحد غيره ، وكان عمر إذا مات ميت يسئل عن حذيفة فإن حضر الصلاة عليه صلى عليه عمر ، وإلا لم يصل عليه ، روى حذيفة 71 هـ .

⁽١) هو حسيل (بالتصغير) والد حذيفة ، استشهد يوم أحد ، قال حسيل مامنعنى أن أشهد بدر إلا إنى خرجت أنا وابنى حذيفة فأخذنا كفار قريش فقالوا إنكم تريدون محمداً فقلنا مانريده ، فأخنوا منا عهد الله وميثاقه لننصرفن إلى المدينة ولانقاتل معه فأتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخيرناه فقال انصرفا .

⁽٢) سيرة ابن هشام

المشركين (واسمه ابن قمئة) التقى بمصعب بن عمير العبدرى (١) حامل لواء المسلمين فقتله ، وكانت طلعة مصعب شبيهة بطلعة النبى ﷺ ، وخاصة إذا لبس السلاح ، فظن الفارس المشرك أنه قد قتل الرسول ﷺ فصاح : « لقد قتلت محمداً ، فشاع هذا الخبر الكاذب بين المقاتلين .

فوقع (لهذه الإشاعة) مزيد من الذعر والارتباك في صفوف المسلمين المطوقة .

تفكير بعض المسلمين بالاستسلام

فقد صار بعض المسلمين حائرين لايدرون ماذا يصنعون ، وتوقف آخرون عن القتال وألقوا بأسلحتهم ، وفكر فريق في الاتصال بعبد الله ابن أبى في المدينة ، ليعرض استسلامهم على القائد العام للمشركين أبى سفيان، ويأخذ لهم الأمان منه ، ظناً منهم أن محمداً على قد قتل .

فقد قال قائل هؤلاء: ليت لنا رسولاً إلى عبد الله بن أبى فيأخذ لنا أمنة من أبى سفيان ، ياقوم إن محمداً قد قتل ، فارجعوا إلى قومكم قبل أن يأتوكم فيقتلوكم »(٢).

إن رب محمد لم يقتل

وبينما هم حائرون هكذا ، إذ أقبل إليهم أنس بن النضر (٣) الخزرجى ، فلما رآهم قد ألقوا السلاح قال لهم : مالكم قد ألقيتم بأيديكم هكذا ؟؟ أوكما قال.

⁽١) تقدمت ترجمته في كتبانا (غزوة بدر الكبرى).

⁽Y) البداية والنهاية $\frac{1}{2}$ ع $\frac{1}{2}$.

⁽٢) تقدمت ترجمته فيما مضى من هذا الكتاب.

فقالوا له : قُتل رسول الله ،

فقال: فماذا تصنعون بالحياة بعده ؟؟ قوموا فموتوا على مامات عليه رسول الله تقفي .

ثم استقبل المشركين بسيفه واندفع نحوهم كالإعصار وهو يقول: «اللهم إنى أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء (يعنى المشركين) وأعتذر إليك مما يقول هؤلاء» (يعنى المسلمين الذين ألقوا السلاح وفكروا في الاستسلام) ثم قاتل المشركين قتالا منقطع النظير حتى قتل رضى الله عنه.

كما أن ثابت بن الدحداح (١) عندما رأى الانهيار بين بعض المقاتلين المسلمين (لإشاعة مقتل الرسول) ، صاح في قومه الأنصار يحرضهم على الاستبسال والمقاومة :

« يامعشر الانصار إن كان محمد تلك قد قتل فإن الله حى لايموت ، قاتلوا على دينكم فإن الله مظفركم وناصركم » ، فنهض إليه نفر من الانصار ، فحمل بهم على كتيبة من سلاح فرسان مكة ، فيها خالد ابن الوليد وعمرو بن العاص وعكرمة بن أبى جهل وضرار بن الخطاب فحمل عليه خالد بن الوليد فقتله بالرمح وقتل من حمل معه من الانصار (٢) .

الرسول ينقذ الموقف

وهكذا أخذ المسلمون المحاصرون يشجع بعضهم بعضاً ، فعدلوا عن فكرة الاستسلام ، وأخنوا سلاحهم ، واندفعوا (في بسالة) يصارعون

⁽١) هو ثابت بن الدحداح بن نعيم بن غنم البلوي - حليف الأنصار - صحابي جليل .

⁽٢) السيرة الطبية ج ٢ من ٢٢.

أمواج جند الشرك المتلاطمة حولهم وقد عادت إليهم روحهم المعنوية التى فقدها الكثير منهم وأخنوا يشقون لهم بسيوفهم طريقاً عبر صفوف العدو المحيطة بهم ، وذلك بعد أن تأكنوا من سلامة قائدهم النبى على الذي سمعوه يناديهم بصوته الكريم لينضموا إليه: (أنا رسول الله) حول المقر الذي ظل فيه مرابطاً بعد أن كشف المسلمون المشركين في أول المعركة .

وكان بقاء الرسول وهيئة أركان حربه في مقر القيادة وعدم اشتراكهم في المطاردة جاء (كما قال صاحب كتاب حياة محمد ورسالته) بموجب خطة وقائية .

وذلك أن الرسول عندما وضع خطة المعركة وصف رجاله للقتال أدخل فى حسابه – شأن القائد اليقظ – إمكان تطور الموقف لغير صالح المسلمين (١) ، فجعل ظهره وظهر أصحابه إلى جبل أحد ، ليتخذ من هذا الجبل مفزعاً يلجأ إليه إذا ماألمت بهم كارثة ،

وكان الرسول (كقائد أعلى للجيش) حين شُغل المسلمون بمطاردة العدو قد تخلف (مع بعض أركانه حربه) سعد بن أبى وقاص وطلحة بن عبيد الله ، فلم يبرحوا مواقعهم (وكأن الجميع ظلوا يتتبعون سير المعركة وعينهم على جبل الرماة) فلم يكد الرسول يرى خالداً ينقض على المسلمين ويحتل الموقع الذى هجره الرماة حتى أدرك عظم الخطر المحدق بالجيش الإسلامي .

ولم يكن أمامه – في تلك اللحظات – غير سبيلين اثنين يستطيع انتهاجهما ..

⁽١) حساب أسوأ الاحتمالات مبدأ لايغفل عنه القادة العسكريون في الحرب.

١- إمًّا أن يكفل السلامة الشخصية لنفسه بالشخوص إلى مفذع
 ما، تاركاً أصحابه لمصيرهم المقدور .

٢ - وإمّا أن يناديهم مخاطراً بنفسه لكى ينقذهم من الخطر (ليجعل من مقره مكان تجمع لهم) فينقذهم بذلك من خطر الابادة أو الضياع والتفكك.

ولقد اختار السبيل الثانية ، وإذ وجدهم في ضيق صاح بأعلى صوته .

« هَلُمَّ إِلَى ، أِنَا رسول الله » (١) .

ولقد أشار القرآن الكريم إلى موقف الرسول الرائع البطولى هذا ، الذي أنقذ به الجيش من حيرته وارتباكه ، فقال تعالى : $\{$ إذ تصعدون ولاتلوون على أحد والرسول يدعوكم في أخراكم (() .

تحسن الحالة بعد النكسة

ولقد كان صوت الرسول الكريم الله بمثابة تيار أعاد إلى المنهزمين رشدهم ، فلم يكد صوته الله يصل إلى أذانهم حتى عادت إليهم الطمأنينة، وأخنوا يتوافدون نحوه ، ونجح الكثير من المطوّةين في شق طريقهم عبر صفوف العدو غير مبالين بالخسائر الباهظة في الأرواح .

وبهذا تحسنت حال المسلمين ، وأخذوا (بقيادة نبيهم) في استعادة تنظيمهم .

⁽١) حياة محمد ورسالته ص ١٨٤ .

⁽٢) أل عمران ١٥٢ .

وصاروا يتجمعون من حوله ، وأخذوا في إنشاء جبهة قتال متحدة جديدة ، وبهذا آخذ مجرى القتال يتغير عما كان عليه (يوم نجح المشركون في تطويق المسلمين واشاعة الارتباك في صفوفهم بعد حركة خالد وإشاعة مقتل الرسول صلى الله عليه وسلم).

الهجوم على النبي صلى الله عليه وسلم

شديد ولكن صيحة الرسول صلى الله عليه وسلم اذا كانت قد جمعت شتات المسلمين المبعثرين على صعيد الهزيمة ، وأعادت اليهم روحهم ، فأنها كذلك نبسهت المشركين إلى أن الرسول على حي لم يقتل ، ودلتهم على مكانه .

مما جعل الذات النبوية الكريمة هدفاً لهجمات المشركين السريعة المتلاحقة .

ولقد كانت فترة عصيبة حقاً ، تعرضت فيها حياة النبي الأعظم لأشد الأخطار ، فقد عرف المشركون القريبون منه صلى الله عليه وسلم مكانه بالتحديد .

فمالوا عليه بثقلهم ــ وهو لما يزل في قلة قليلة من أصحابه ــ بغية التخلص منه والقضاء عليه ، قبل أن يتمكن سواد أصحابه من الالتفاف حوله .

المعركة تحتدم حول الرسول صلى الله عليه وسلم

وهنا دخلت المعركة في طور آخر وأخذت نيرانها في الاشتعال بن جديد .

فقد أدرك الصحابة الحطر الجسيم المحدق بنبيهم ، فخشوا أن يطوقه المشركون الذين عرفوا مكانه لا سيما في تلك الفترة التي لم يكن فيها معه سوى بعض هيئة أركان حربه وقلة ممن سارع بالانضمام اليه لا يزيدون على عدد أصابع اليدين .

ولهذا تكرافع الصحابة نحو نبيهم، وأخذوا في إقامة سور بشري من أنفسهم لمواجهة ضربات المشركين الموجهة الى الرسول (شخصياً). وكان هدف الصحابة هذه المرة (في الدرجة الاولى) الحفاظ على حياة نبيهم الكريم التي أصبحت مهددة بشكل لم يسبق له مثيل في تاريخ الحروب التي خاضها صلى الله عليه وسلم.

ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم (بعد الانتكاسة واضطراب المسلمين وتشتتهم) بقي منفرداً في مقر القيادة العامة مع نفر قليل جداً من أصحابه ، ولذلك اغتم المشركون القريبون منه الفرصة هذه ، فقامت مجموعة من فرسانهم ومشاتهم بهجمات خاطفة ركزوها على شخص الرسول الأعظم ، للتخلص منه والقضاء عليه — مغتنمين انفراده وتفرق عامة أصحابه عنه — .

النبي الجريح

وقد ثبت محمد بن عبدالله الهاشمي النبي القائد، لتلك الهجمات السريعة المتلاحقة ثبوت الرواسي، وقاتل المهاجمين بضراوة وشجاعة منقطعة النظير، يسانده (في ذلك) قلة من أصحابه الذين ثبتوا معه، والذين لم يفارقه بعضهم منذ بداية المعركة، ومنهم من سارع بالانضمام اليه ساعة الانتكاسة.

 الضربات التي أصابه المشركون بها كما أنه أيضاً جُرح في وجهه الشريف عدة جراحات ..

فقد حمل عليه أحد فرسان المشركين (واسمه ابن قمئة) وهو يقول: « أين محمد لانجوت إن نجا » .

وأثناء صراعه مع ابن قمئة علاه الأخير بالسيف وضربه به ضربة شديدة فلم تضره كثيراً ، لأنه علام كان قد لبس درعين ، وقد أصابت هذه الضربة عاتق النبى فتأثر منها وشكا بسببها أكثر من شهر ، فقد كانت ضربة عنو الله عنيفة إلا أنه لم يتمكن من هتك الدرعين بها فنجا رسول الله

كما أنه ﷺ أثناء هذا الصراع جُرح في وجه ، جَرَحَه ابن قمئة الذي كان يلح مع أصحابه في الهجوم على رسول الله .



عند هذا المكان من الشعب جرح الرسول صلى الله عليه وسلم وكسرت رياعيته ،

فقد دخلت حلقتان من حلق المغفر (١) في وجنتيه الشريفتين وأخذ

⁽١) المغفر (بكسر الميم) زرد يلبسه المحارب تحت القلنسوة

الدم يسيل على أثر ذلك ، نتيجة لضربة أخرى أصابه بها أيضاً ابن قمئة، وكان عدو الله من فرسان المشركين الفاتكين .

كما شُج ّوجهه الشريف ، شجّه كبيرة (بقى أثرها فى وجهه حتى التحق بالرفيق الأعلى) نتيجة لضربة جاعته أثناء احتدام المعركة ، من عبد الله بن شهاب الزهرى (١) – جد الامام محمد بن شهاب الزهرى المشهور .

كذلك تكسرت رباعيته (٢) السفلى وانشقت شفته عندما قذفه (بحجر كبير) عتبة بن أبى وقاص (أخو سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه) .

كما وقع ﷺ (أثناء تلك الساعة العصيبة الدامية) في حفره عميقة فجرحت ركبتاه ، وأغمى عليه ، وقد سارع أصحابه المدافعون عنه إلي إنقاذه وأخذ على بن أبى طالب بيده ، ورفعه طلحة بن عبيد الله من الحفرة حتى استوى قائماً .

ليس لك من الامر شيء

ولما جرح النبى الله وجعل الدم يسيل بغزارة على وجهه الشريف أخذ يمسح الدم وهو يقول:

« كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم ، وهو يدعوهم إلى ربهم اشتد غضب الله على قوم أدموا وجه رسول الله » ، فأنزل الله عليه (بسبب هذا الكلام) قوله تعالى :

⁽١) هو عبد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة القرشي ، صحابي ، أسلم بعد معركة أحد ، ومات بعد الفتح.

⁽٢) الرياعية ، هي السن التي بين الثنية والناب .

« ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون » . (١٢٩)

المشركون يديمون زخم الهجوم على النبي

لقد تعرض الرسول صلى الله عليه وسلم لما تعرض له وأصيب بما أصيب به من جراحات ، وهو في قلة من أصحابه ، وبينما كان كذلك كان أصحابه الذين شتتهم النكسة ، يتدافعون نحوه ، كما أن المشركين (ايضاً) أخذوا في التكاثر عليه ، فحمي الوطيس من جديد ، ودارت المعركة ضارية حول الرسول صلى الله عليه وسلم .

⁽۱۱) آل عران : ۱۲۸

القصل كاس

- € تماسك المسلمين بعد الهزيمة.
- تخاصهم من حزام النطويق.
- ه نجاحهم في الانسحاب بعد النكبة.
 - ﴿ اعتصامهم بجبل أُحدُ.

تكاثر المشركون على النبي في عناد ، و تزاحم أهل القوة والبأس منهم للفتك به ، واشتد البلاء على صفوة أصحابه الذين سارعوا الى التحلق حوله ، مسترخصين الأرواح في سبيل الدفاع عن حياته — فقد تضاعف هجوم العدو واشتد زحمه ، وانقض العدو بكامل قوته مركزاً الهجوم على الذات النبوية .

ولكنه في هذا الوقت ، كان كثير من المسلمين الشجعان قد تجمعوا حول نبيهم القائل ، وبالرغم من تفوق العدو في هذا الهجوم الصاعق (الذي استهدف النبي شخصياً) تفوقاً ساحقاً ، فان المسلمين (دفاعاً عن نبيهم) وقفوا في وجه هذا الهجوم كالرواسي ، وأقاموا (في وجه هذا الهجوم) من أنفسهم سوراً بشرياً ترسوا به عن نبيهم المحبوب ، فلم يمكنوا أحداً من المشركين أيناس إليه ، فلم يمس بأي أذى بعد الذي أصابه من الحراح عندما كان أمنفرداً في قلة من أصحابه ،

بطولة الأنصار

ولقد حنق المشركون لهذا الاستبسال الذي فوّت عليهم فرصة الفتك بالنبي عَلَيْهُ فَشَدُدُوا مِن هجومهم على مقر قيادة الرسول ، وأخذ الحرس

النبوى يخرون صرعى فرحين حول نبيهم ، واحداً إثر واحد ، وكلما حدثت ثغرة بمصرع أحدهم سارع آخر وسد هذه الثغرة ، وقد كان أكثر الذين قتلوا وهم يدافعون عن الذات النبوية من الأنصار .

روى حماد بن سلمة ، أن المشركين رهقوا النبى الله وهو في سبعة من الأنصار ، ورجل من قريش ، فقال : من يردهم وهو رفيقى في الجنة ، فجاء رجل من الأنصار حتى قتل ، فلما رهقوه أيضاً قال من يردهم عنا وهو رفيقى في الجنة ، فذكر حماد أن السبعة الانصاريين كلهم قتلوا وهم يدافعون عن رسول الله .

دور الرماة في الدفاع عن النبي

وكان لرماة النبل من الصحابة أبلغ الأثر في صد المشركين والدفاع عن النبي الله ، وكان الرسول الله والميا فقد رمى عن قوسه (ساعة تكاثر المشركين) حتى تقطع وتر القوس وتحطمت وصارت شطايا (١) من كثرة الرمى .

وكان من الرماة الذين اشتهروا بالاستماتة في الدفاع عن رسول الله على من الرماة الذين اشتهروا بالاستماتة في الدفاع عن رسول الله في تلك الساعة العصيبة من المعركة ، والذين كان لنبالهم الحادة الصائبة أبلغ الأثر في حماية الرسول على من أذى المشركين ، أبو طلحة الأنصاري ، وسعد بن أبي وقاص (رضي الله عنهما).

أما أبو طلحة فقد روى أحمد عن أنس أن أبا طلحة هذا كان يرمى يوم أُحد بين يدى النبى ﷺ – ساعة تكالب المشركين عليه – ، والنبى عليه

⁽١) السيرة الطبية ج ٢ ص ٢٣ الطبي .

السلام خلفه يترس به ، وكان أبو طلحة رامياً شديد الرمى ، فكان إذا رمى رفع رسول الله شخصه ينظر أين سهمه ، ويرفع أبو طلحة صدره – ليقى رسول الله من سهام العدو – وهو يقول : بأبى أنت وأمى يارسول الله ، لايصيبك سهم ، نحرى دون نحرك .

وكان أبو طلحة البطل ، (في تلك الساعات الحرجة) يسور نفسه بين يدى رسول الله عليه ويقول:

إنى جَلد يارسول الله فوجهني في حوائجك ومرنى بما شئت .

ولقد ناضل أبو طلحة (أمام رسول الله بالنبل) نضالاً شديداً حتى تكسرت ثلاث أقواس في يده من شدة الرمى .

قال البخارى ، لما كان يوم أحد انهزم الناس عن النبى ، وأبو طلحة بين يديه مجوّب عليه بجحفة (٢) له ، وكان رجلاً رامياً شديد النزع ، كسر يومئذ قوسين أو ثلاثاً .

⁽۱) هو أبو طلحة .. زيد بن سهل بن الأسود بن حرام الانصارى الخزرجى ، أحد الذين شهدوا إبرام بيعة العقبة ، وكان من أجلاء الصحابة وشجعانهم المشهورين ، وقد شهد له النبى صلى الله عليه وسلم بالشجاعة الفائقة بقوله (لصوت أبى طلحة فى الجيش خير من مائة رجل) وقد ذكر ابن عبد البر أن أبا طلحة قتل وحده (يوم حنين) عشرين رجلا وأخذ أسلابهم ، شهد أبو طلحة معركة بدر مع رسول الله ، وكان عند احتدام المعارك يجثر بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ينثر كنانته ويناضل الأعداء بمهارة فائقة ، وقد كان موقفه فى الدفاع عن النبى يوم أحد من أنبل المواقف ، مات أبو طلحة سنة ١٥ هـ وقيل سنة أربع وثلاثين ه.

⁽٢) الجحفة هي الدرقة التي يتستر بها المحارب بيده .

وكان الرجل يمر معه الجعبة (١) من النبل فيقول (أي النبي) أنثرها لأبي طلحة .

يرمي المشركين بألف سهم

أما سعد بن أبي وقاص (وهو أيضاً من الرماة المشهورين) فقد ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ساعة انهزام الناس عنه وكان من الرماة الخلصاء الأبطال الذين ساهموا بنبالهم الحادة في إحباط المحاولات العنيدة التي قام بها المشركون (بعد الانتكاسة) للقضاء على نبي الإسلام.

فقد وقف سعد ساعات البلاء المتلاحق ، وهي الساعات الدقيقة التي تعرضت فيها الذات النبوية لهجمات القرشيين العارمة ، وقف سعد الباسل بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم يدافع عنه وكان له في ذلك المقام المحمود أكبر الأثر في إبعادهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد قذف المشركين (في تلك الساعات العصيبة) بألف سهم ...

وسعد بن أبى وقاض هو الرجل الوحيد الذي قال له الرسول ﷺ: فداك أبي وأدي

وذلك لما رأى من بطولته وشجاعته واستبساله وبراعته في إصابة الهدف.

فقد روى المؤرخون أن النبى تلك كان كلما رمى سعد المشركين المتزاحمين للفتك بالنبى ، قال له : إرم فداك أبى وأمى . قال سعيد ابن

⁽١) الحمبة (بضم أوله) مجمع السهام .

المسيّب سمعت سعد بن أبي وقاص يقول : نثل لي رسول الله ﷺ . كنانته يوم أحد وقال ، ارم فداك أبي وأمى .

وفي صحيح البخاري عن علي كرم الله وجهه قال: ما سمعت النبي علي الله وجهه قال: ما سمعت أبي النبي علي الله وجهه قال: ما سعد بن أبي أوقاص) فاني سمعته يقول (يوم أحد): يا سعد إرم فداك أبي وأمى (١) ...

ومن الرماة الأبطال الذين ناضلوا المشركين (دفاعاً عن رسول الله ساعة تعرضه للخطر) سهل بن حنيف (٢) ... كان سهل هذا قد بايع الرسول صلى الله عليه وسلم على الموت يوم أحد ، فلما شتت الهزيمة سواد الجيش الإسلامي ، ثبت مع الحلصاء الأصفياء بجانب رسول الله صلى الله عليه وسلم واسترخص روحه في سبيل الدفاع عنه .

فقد وقف يناضل عن رسول الله بالنبل نضالاً شديداً، حتى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول (وسهل يناضل أمامه): نبتلوا سهلاً (أي موّنوه بالنبل) وذكر ابن كثير أن سهلاً هذا كان أحد القلائل الذين ثبتوا مع الرسول ساعة الانتكاسة، فقد نقل عن ابن جرير أن ابن قمئة الحارثي

⁽١) البداية والنهاية ج ٤ .

⁽٢) هو سهل بن حنيف بن وهب الانصاري الاوسي ، كان من السابقين في الاسلام ، شهد بدراً مع الرسول ، وشهد المشاهد كلها مع النبي ، آخى النبي يوم بينه وبين على بن ابي طالب ، كان له المقام المحمود في الدفاع عن النبي يوم انهزم الناس عنه ، ولاه امير المؤمنين على البصرة ، وشهد معه حرب صفين ضد معاوية ، روى له البخاري ومسلم ، ٤ حديثاً ، مات بالكوفة في خلافة علي سنة ٣٨ ه و صلى عليه امير المؤمنين على (رضي الله عنه) .

رمى رسول الله به بحجر فكسر أنفه ورباعيته وشجه فى وجه فأثقله ، فتفرق عنه أصحابه ، وجعل به يدعوا الناس: (إلى عباد الله إلى عباد الله إلى عباد الله) فاجتمع إليه ثلاثون رجلاً ، فجعلوا يسيرون بين يديه ، فلم يقف أحد إلا طلحة بن عبيد الله وسهل بن حنيف (١) (لعل هذا كان قبل أن يتكتل الأبطال الآخرون حول رسول الله).

بطولة نادرة

ومن الذين أبلوا بلاء حسناً وأظهروا بطولة نادرة في الدفاع عن الذات النبوية الحبيبة ساعة المحنة ، أبو دجانة الانصاري (٢) الذي أعطاه الرسول ﷺ سيفه في بداية المعركة .

فقد كان أبو دجانة من الخلصاء الابطال الذين ثبتوا مع النبى الله ساعة الشدة ، فقد أقام أبو دجانة هذا من نفسه سوراً ليقى رسول الله وقع سهام العدو المنهالة عليه ، فقد ترس بنفسه دونه معرضاً جسمه لسيل نبال العدو المنهمر من أقواس المشركين .

وقد ذكر المؤرخون أن نبال المشركين المصوبة نحو رسول الله ، كانت تقع في ظهر أبى دجانة البطل وهو مسور بنفسه على رسول الله ، وكان لايابه لها مع أنها تغرز في ظهره بكثرة حتى أن بعض المؤرخين شبه ظهر أبى دجانة (لكثرة السهام المزروعة فيه ساعة وقوفه دون رسول الله) بظهر القنفذ .

⁽١) البداية والنهاية ج٤ ص ٢٣ .

⁽٢) تقدمت ترجمته في أول هذا الكتاب،

ومن الذين ثبتوا مع رسول الله ساعة الهزيمة حاطب بن أبي بلتعة (١)، وهو من الأبطال المشهورين ، فقد وقف حاطب هذا يجالد دون رسول الله بسيفه ساعة انهزام الناس ، وهو الذي انتقم لرسول الله عقت فقتل عتبة بن أبي وقاص الذي سبق له أن أدمى وجه النبي على ساعة الهجوم عليه ، وقد قتله حاطب في تلك الساعة التي أصاب الذات النبوية بالجراح .

فقد روى ابن كثير فى تاريخه عن حاطب نفسه قوله .. لما رأيت مافعل عتبة (بن أبى وقاص) برسول الله قلت له (أى النبى على اين عوجه عتبه ؟ فأشار إلى حيث توجه ، قال حاطب : فمضيت حتى ظفرت به فضربته بالسيف فطرحت رأسه ثم نزلت فأخذت فرسه وسيفه ، وجئت به إلى رسول الله ، فقال لى : رضى الله عنك رضى الله عنك (مرتين) ، وكان سعد بن أبى وقاص شديد الحرص على على قتل أخيه عتبة هذا ، إلا أنه لم يظفر به ، فقد ذكر عن سعد رضى الله عنه قوله : ماحرصت على قتل أحد قط مثل حرصى على قتل عتبة بن أبى وقاص ، وإن كان ماعلمت السيى الخلق مبغضاً فى قومه .

⁽۱) هو حاطب بن أبى بلتعة (بفتح الباء وسكون اللام وفتح التاء) بن عمرو اللخمى ثم القحطانى اليمانى ، حليف بنى أسد بن عبد العزى ، من السابقين فى الإسلام ومن المهاجرين، كان من فرسان قريش المشهورين ، شهد بدراً مع رسول الله وأحداً والخندق وكان صديقاً للزبير بن العوام (خاصة) ، وهو الذى كتب لكفار مكة يخبرهم بعزم رسول الله على غزوهم ، وقصته فى التاريخ مشهورة ، وقد اعتذر لرسول الله عما فعل فقبل منه ، وشهد له بئته لن يدخل النار ، لأنه من أهل بدر وقد طلب ابن الخطاب من النبى صلى الله عليه وسلم السماح له بضرب عنق حاطب يوم ذاك فلم يسمح له وقال إنه شهد بدراً ، مات حاطب سنة .

وقاتل طلحة بن عبيدالله التيمي (١٣٩) يوم ذاك دون رسول الله قتال جيش كامل .

ولعل قتال طلحة (يوم انهزم الناس عن النبي) كان أروع وأصدق قتال ، فقد روى البيهقي في الدلائل عن أبي الزبير عن جابر ، قال: انهزم الناس عن رسول الله يوم أُحد ، وبقي معه أحد عشر رجلاً من الانصار ، وطاحة بن عبيد الله ، وهو يصعد في الجبل فقال النبي :

«ألا أحد لهو ًلاء؟ » فقال طلحة : أنا يا رسول الله ، فقال : كما كنت يا طلحة ، فقال رجل من الانصار : فأنا يا رسول الله فقاتل عنه وصعد رسول الله ومن بقي معه ثم قتل الانصاري ، فلحقوا رسول الله ، فقال : الا رجل لهو ًلاء؟ فقال طلحة مثل قوله ، فقال رجل من الانصار فأنا يا رسول الله ، فقاتل وأصحابه يصعدون ثم قتل فلحقوا رسول الله فلم يزل يقول مثل قوله الاول ، وطلحة فلحقوا رسول الله فلم يزل يقول مثل قوله الاول ، وطلحة يقول : أنا يا رسول الله ، فيحبسه فيستأذنه رجل من الانصار يقول : أنا يا رسول الله ، فيحبسه فيستأذنه رجل من الانصار

فيأذن له فيقاتل مثل من كان قبله حتى قتلوا جميعاً ، ولم يبق مع الرسول الآ طلحة حتى غشيهم المشركون ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من لهوًلاء ؟؟ فقال طلحة أنا .

فقاتل قتال جميع من كان قبله.

وقد جرح طلحة البطل (وهو يذود المشركين عن رسول الله) أكثر من سبعين جرحاً.

⁽۱) تقدمت ترجمته في كتابنا (غزوة بدر الكبرى)

فقد روى أبو داود الطيالسي عن أم المؤمنين عائشة ، قالت .. كان أبوبكر اذا ذكر يوم أحد قال ذاك كلمة لطلحة ثم انشأ يحدث .. قال : كنت أول من فاء يوم أحد فرأيت رجلاً يقاتل في سببا ، الله ، دون رسول الله ، فقلت كن طلحة حيث فاتني ما فاتني ، وكان بيني وبين المشركين رجل لا أعرفه وأنا أقرب الى رسول الله منه وهو يخطف المشي خطفاً ، لا أخطفه فاذا هو أبو عبيدة بن الحراح (١) فانتهينا الى رسول الله وقد كسرت أرباعيته وشج في وجهه و دخل في وجنته حلقتان من حلق المغفر ، فقال رسول الله عليكما صاحبكما – يريد طلحة – وقد نزف (أي من كثرة الحراحة) فأتينا

وإذا به قد قطعت اصبعه (٢) فأصلحنا من شأنه. كذلك من الذين قاتلوا (بضراوة) وجرحوا أثناء الدفاع عن رسول الله (ساعة المحنة) عبدالرحمن بن عوف، فقد ناضل عن رسول الله (ساعة الانتكاسة) حتى أصابه أكثر من عشرين جرحاً، فقد جرح في

طلحة في بعض تلك الجفار ، فاذا به بضع وسبعون بين طعنة وضربة ورمية ،

⁽١) هو القائد والفاتح الشهير واسمه عامر بن عبدالله بن الجراح بن هلال الفهري القرشي ، أحد العشرة المبشرين بالجنة ، من أعيان الصحابة ، كان رضي الله عنه يلقب بأمين الأمة ، ولد بمكة ، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله ، وكان من السابقين الأولين في الاسلام ، ولما قدم وفد اليمن ليعلن إسلام أهل اليمن ،

قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أبعث معنا رجلا يعلمنا السنة والاسلام ، فأخذ بيدي أبي عبيدة هذا ، فقال هذا أمين هذه الأمة ، كان أبو عبيدة أحد الأمراء الأربعة الذين وجههم الحليفة ابوبكر لفتح الشام ثم ولاه عمر القيادة العامة لحيوش المسلمين في الشام بعد أن عزل عنها خالد بن الوليد ، فتم على يده فتح الأقطار الشامية ، ووصلت جيوش الاسلام الفاتحة (تحت قيادته) الى الفرات شرقاً وآسيا الصفرى شمالا ، شهد ابو عبيدة معركة بدر ، وقد قام بقتل ابيه الذي كان مشركاً في تلك المعركة ، ذكر ذلك ابن حجر في الاصابة ، وكان ابو عبيدة مشهوراً بالدهاء والاناة والحكمة والتواضع ، قال ابن عساكر ، داهيتا قريش مشهوراً بالدهاء والاناة والحكمة والتواضع ، قال ابن عساكر ، داهيتا قريش (اثنان) ابوبكر وأبوعبيدة ، له في الصحيحين ١٤ حديثاً ، توفي رضي الله عنه عرض الطاعون في الشام سنة ١٨ ه .

⁽٢) البداية والنهاية ج ٤ ص ٣٠٠

فمه وأصابه العرج في إحدى رجليه ، وقد زال هذا العرج من رجله عندما حمل رسول الله عليه المسخرة التي اعتصم بها بعد نجاح الانسحاب، كما سيأتي تفصيل ذلك إن شاء الله .

كذلك كان أبو عبيدة بن الجراح من الذين ثبتوا مع رسول الله وناضلوا عنه ساعة انهزام الناس، وأبو عبيدة هو الذى (عندما غاصت حلقتا المغفر في وجنتي رسول الله ساعة تعرضه لهجوم المشركين بعد الانتكاسة) انتزع هاتين الحلقتين من وجه الرسول بفمه، وقد سقطت ثنيتا أبى عبيدة عندما نزع بهما الحلقتين من وجنتي رسول الله ته ، وذلك لتوغل الحلقتين في وجهه عليه السلام

يستشهد يوم زفافه

وقاتل يوم أحد في جانب رسول الله ﷺ حنظلة (١) بن أبي عامر الراهب ،

ووالد حنظلة أبو عامر (٢) هذا الذي قاد رفقة الخيانة من أوس المدينة الذين لجأوا إلي مكة مغاضبين لرسول الله الله الله المدينة دلك فيما مضى .

ولكن أبا عامر الراهب هذا إذا كان قد مثل دور الخيانة بانضمامه إلى مشركى مكة ضد معسكر يثرب المسلم وحمل السلاح مع عصابته ضد

⁽١) تقدمت ترجمته هذا البطل (حنظلة) فيما تقدم من هذا الكتاب.

⁽Y) أبو عامر الخائن هذا فر إلى أرض الروم ومات بها وذلك بعد أن فتح المسلمون مكة وقد تقدمت طرف من ترجمته .

النبى وصحبه ، فان ابنه الشاب (حنظلة) قد مثل أعلى أدوار البطولة والشهامة والوفاء لدينه ونبيه .

يستأذن النبي في قتل أبيه

فقد استأذن حنظلة هذا رسول الله الله الله الله الخائن (۱) ، (أبي عامر الراهب) ولكن الرسول الله الله عن ذلك

وقد خاض هذا البطل الشاب معركة أحد ، وقتل شهيداً ولما يمض على زواجه يوم واحد ،

فقد كانت ليلة المعركة ، الليلة التي دخل فيها بزوجته ، وهي جميلة بنت أبي بن سلول (أخت عبد الله بن أبي) .

كاد يقتل القائد العام

وقد كاد البطل حنظلة يقتل أبا سفيان (قائد عام جيش المشركين)

⁽۱) وليس الشاب هنظلة أول مسلم يستأنن الرسول في قتل أبيه الفائن – فقد كان لرأس النفاق (عبد الله بن أبي بن سلول) ابن مسلم صادق الإيمان مخلص لدينه وأنبيه ، شهد بدراً واحدا والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم واسمه عبد الله بن عبد الله بن أبي، فقد روى ابن عبد اللبر أن عبد الله هذا لما بلغه قول المنافق (لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل) جاء إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له (هو والله الذليل يارسول الله وأنت العزيز) ثم قال للرسول (إن أذنت لى في قتله قتلته) ، فلم يأذن له الرسول صلى الله عليه وسلم في قتله بل قال له و والله الذليل يارسول الله عليه وسلم في قتله بل قال له : لايتحدث الناس أنه (أي النبي) يقتل أصحابه واكن بر أباك وأحسن صحبته » وهكذا تصنع العقائد الصحيحة الأبطال وتهذبهم إلى درجة التضحية بنقرب الناس إليهم ، في سبيل نصر هذه العقيدة الحقة ، قتل عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول ، شهيداً في معركة اليمامة تحت قيادة خالد بن الوليد رضى الله عنه .

وذلك انه التقى به في قلب المعركة ، فحمل عليه حنظلة ، وبعد ان عقر فرس ابي سفيان وقع ابوسفيان على الأرض فعلاه حنظله ليذبحه بسيفه ، ولكن احد مرافقي أبي سفيان من هيئة اركان حربه (وهو شداد بن الأسود الملقب بابن شعوب) سارع لانقاذ ابي سفيان وضرب حنظلة بالسيف فقتله وهو بارك على صدر القائد العام .

قال ابن اسحاق: والتقى حنظلة بن أبي عامر هو وأبو سفيان صخر بن حرب فعقر فرس ابي سفيان فوقع ابو سفيان على الارض فلما علاه حنظلة رآه شداد بن الاسود وهو الذي يقال له ابن شعوب فضربه شداد فقتله..

غسيل الملائكة

قال ابن كثير ، وحن ظلة هذا هو غسيل الملائكة المشهور ، وذلك أنه رضي الله عنه استشهد وهو جنب ، فغسلته الملائكة فقد كانت معركة أحد صبيحة زفافه ، فعندما سمع داعي الجهاد ترك عروسه على عجل وحمل سلاحه فالتحق برسول الله قبل أن يغتسل من الجنابة .

فقد ذكر ابن اسحاق أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (بعد أن استشهد حنظلة البطل) : « ان صاحبكم (يعني حنظلة) لتغسله الملائكة فاسألوا أهله ما شأنه » .

فسئلت زوجته (قال الواقدي وهي جميلة بنت أبي بن سلول) وكانت عروساً عليه تلك الليلة، فقالت : خرج وهو جنب حين سمع الهاتفة (يعني صيحة الجهاد) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كذلك غسلته الملائكة.

هيه أيها الشباب المسلم

هكذا تكون التضحية في سبيل العقيدة الحقة ، أيها الشباب المسلم ، وليكن الشباب المسلم (الذي يهدف حقاً الى اعزاز دينه وأمته) على مستوى حنظلة البطل من البذل في سبيل الاسلام ، الذي السير تحت لوائه (بصدق واخلاص وتضحية) هو السبيل الوحيد لاعزاز هذه الأمة وتخليصها من ويلاتها التي اخذت بخناقها في كل بقعة من بقاع الوطن الاسلامي . فيالها من تضحية وشهامة ورجولة ويقين . ؟

شاب يافع يخرج مسرعاً ليجيب داعي الجهاد محتاراً ليلة عرسه ، فيترك عروسه التي لم يمض على التقائه بها أكثر من ليلة واحدة (والتي كما يقول المؤرخون تشبثت به وحاولت اقناعه بعدم الحروج كامرأة تغلبها العاطفة) فيتركها ليمضي (على عجل) ليخوض معركة طاحنة رهيبة ثم يقتل فيها راضي البال مرتاح الضمير.

ألا رحمة الله على هذا الطراز من الشباب المؤمن ، الذي بأمثاله (وبأمثاله فقط) تخفق البنود عالية وتشاد الدول قوية راسخة ، وتشق العقائد طريقها لتصل بأصحابها الى الأهداف الشريفة السامية .

الإجازة الأبدية

لقد كان بوسع هذا الشاب (لو كان من غير طرازه) ، نعم لقد كان بوسعه (لو كان من طراز الشباب العقائدي الذي يشرح اليوم نواحي عقائده التقدمية على صخب كاسات الحمر وضحكات الغانيات في الحانات ويهذي عن اضطلاعه الحمر وضحكات الأمة وحماية الشعب .. وهل من يستوحي

أفكاره ويستمد شجاعته من كحول الوسكى والشمبانيا ، يمكن أن تتحرر على يديه أمة أو تنتصر به عقيدة ، أو تستقر في ظل سلطانه أمة ؟؟).

نعم لو كان الشاب المؤمن حنظلة من طراز هذا الشباب الضائع المائع المغرور (شباب الملذات) لاستطاع أن يجعل من يوم عرسه أجازة قصيرة يعفى نفسه فيها من القتال لينعم بعروسه ، لاسيما أنها أول ليالى عرسه .

ولكنه الإيمان الصادق بالعقيدة الصادقة (لا الجعجعة الفارغة بالوسوسة المبهمة المسماة بالعقيدة المتحررة) .. الإيمان الصادق (الذي لاتستطيع الوقوف في وجهه أية عاطفة مهما كانت لتثني صاحبه عن عزمه) هو الذي جعل حنظلة الشاب المؤمن الباسل يمضى لسبيله ويقضى نحبه شهيداً بطلاً صادقاً ، موفياً لله بما عاهده عليه ، فيظفر بأجازة أبدية يقضيها في سماء الخلود مع الصديقين والشهداء ﴿ رجال صدقوا ماعاهدو الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ومابدلوا تبديلا ﴾(١) .

فرحم الله غسيل الملائكة حنظلة الشهيد البطل ، ورزق الله أمتنا الإسلامية شباباً من أمثاله وعلى مستوى يقينه ورجولته .

الأب يركل جثة ابنه

ومن عجائب الأمور أنا أبا عامر الراهب مر بابنه الشهيد حنظلة وهو مجندل بين الشهداء فركله برجله في تشف وقسوة ، وكأنه ليس ابنه.

⁽١) الأحزاب: ٢٣

فقد جاء فى البداية والنهاية ، أنا أبا عامر الخائن هذا مر - بعد انتهاء المعركة مع بعض قادة قريش - بابنه حنظلة البطل وهو مضرج بدمائه بين الشهداء قتيلاً ، فضربه برجله فى صدره ، وقال له :

ذنبان أصبتهما ، ولقد نهيتك عن مصرعك هذا ، ولقد والله كنت وصولاً للرحم .

منقذ أبى سفيان

وكان ابن شعوب الذى أنقذ أبا سفيان من سيف حنظلة ، يمن دائما على أبى سفيان ويذكره بفضله عليه ، ومن هذا المن ذلك الشعر الذى سار مع الركبان ، والذى قاله ابن شعوب يذكر أبا سفيان ليعرف فضله عليه يوم أنقذه من سيف حنظلة البطل:

ولولا دفاعي يابن حرب ومشهدي

لأُلفيت يوم النعف (١) غير مجيب

ولولا مكرى المهر بالنعف قرقرت (Y)

ضباع عليه أو ضراء كليب

وقد اعترف أبو سفيان بهذا الفضل لابن شعوب في شعر قوى سار مع الركبان أيضاً وهو قوله:

⁽١) النعف (بفتح أوله) أسفل الجبل ،

⁽٢) قرقرت ، أسرعت وخفت لأكله .

ولو شئت نجتني كميت (١) طمرة ولم أحمل النعماء لابن شعوب وما زال مهري مزَّجرَ الكلب منهمو لدن غدوة حتى دنت لغروب

ويقال أن الحليفة معاوية بن ابي سفيان تمثل بهذا البيت عندما تذاكر مع أصحابه قصة عزمه على الفرار يوم صفين ثم ثباته وعدوله عن هذا العزم حتى انتهت المعركة دون أن يسجل أحد الفريقين نصراً حاسماً على الآخر.

دور المرأة في المعركة

وقد كانت معركة أحد أول معركة قاتلت فيها المرأة المسلمة المشركين في الاسلام.

ومن الثابت أن امرأة واحدة فقط اشتركت في هذه المعركة ، فقاتلت بالسيف وقذفت بالنبل حنى أثخنتها الجراحة وهي تدافع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

كما أنه من الثابت أيضاً ان المرأة التي اشتركت في معركة أحد ، لم تخرج بقصد القتال فهي لم تكن مجندة فيها كالرجال . وإنما خرجت لتنظر مايصنع الناس لتقوم بأية مساعدة يمكنها القيام بها للمسلمين كاغاثة الجرحي بالماء وما شابه ذلك .

يضاف الى هذا أن هذه المرأة التي خاضت معركة أُحد، هي امرأة قد تخطت سن الشباب، كما أنها لم تخرج الى المعركة الا" مع زوجها وابنيها الذين كانوا من الحند الذي قاتل في

⁽١) الطمرة (بكسر الطاء و تشديد الراء مع الفتح) الفرس السريعة الوثب .

المعركة (١ (١١) .

يضاف الى هذا الرصيد الهائل الذي لديها من المناعة الحلقية والتربية الدينية ، فلا يقاس على هذه الصحابية الجليلة مجندات هذا الزمان اللواتي يرتدين لباس الميدان وعنصر الاغراء والفتنة هو أهم عنصر يتميزن به ويحرصن على إظهاره للرجال فأين الثرى من الثريا ؟؟.

كذلك رجال ذلك العصر لا يقاس عليهم أحد من رجال فهذا الزمان (من ناحية الشهامة والاستقامة والعفة والرجولة). فكل المحاربين التي اشتركت معهم المرأة في معركة أُحد.. من هم ؟؟.

أنهم صفوة الأمة الاسلامية ورمز نبلها وشهامتها وعنوان ربحولتها واستقامتها، صحابة محمد بن عبدالله النبي صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والانصار، الذين لا يرقى اليهم الشك، ولا يمكن (مطلقاً) أن يفكر واحد منهم في ريبة. فلا يصح مطلقاً جعل اشتراك تلك المرأة في معركة أحد قاعدة تقاس عليها (من الناحية الشرعية) إباحة تجنيد المرأة في هذا العصر لتقاتل بجانب الرجل (كعنصر أساسي من عناصر الجيش) فالقياس في هذه الحالة قياس مع الفارق عناصر الجيش) فالقياس في هذه الحالة قياس مع الفارق هو قياس باطل قطعاً.

⁽١) الواقع أن القيام بالتمريض ونقل الماء واعداد الطعام واعداد عدة الحرب من النساء يجعلهن في عداد المجاهدين أيضاً ، فليس المجاهد هو الذي يقاتل فقط ، أنما الذين يؤمنون القضايا الادارية في الحرب مجاهدون أيضاً .. أن هيئة تأمين القضايا الادارية في الميدان لا تقل مطلقاً عن مباشرة القتال . (هكذا يقول اللواء خطاب) .

المرأة التي قاتلت يوم أحد

أما المرأة التي قاتلت (يوم أحد) وناضلت عن رسول الله - ساعة الانتكاسة - نضالاً بلغ حد البطولة فهي أم عمارة نسيبة المازنية (١) .

خرجت هذه المرأة الصالحة في باديء الأمر تحمل الماء على ظهرها مع زوجها وابنيها إلى المعركة ، ولنترك هذه السيدة الفاضلة لتروى لنا قصة قتالها في جانب النبي يوم أحد .

قالت أم سعد بنت سعد بن الربيع دخلت على أم عمارة فقلت لها أخبريني خبرك .

فقالت: خرجت أول النهار أنظر مايصنع الناس ومعى سقاء فيه ماء، فانتهيت إلي رسول الله وهو في أصحابه والريح للمسلمين. فلما انهزم المسلمون انحزت إلى رسول الله شخف فقمت أباشر القتال وأذب عنه بالسيف وأرمى عنه بالقوس حتى خلصت الجراحة إلى ، قالت (أي أم

⁽۱) هي ، أم عمارة نسيبة بنت كعب بن عمرو المازنية النجارية الانصارية صحابية جليلة القدر عظيمة الهمة ، من السابقين الأولين في الإسلام ، كانت إحدى ثلاث نساء شهدن بيعة العقبة ، كما شهدت بيعة الرضوان أيضاً ، وذكر الواقدى أن زوج أم عمارة (عربة بن عمرو) ساعة إبرام معاهدة العقبة قال يارسول الله هاتان امرأتان (أم عمارة وأم سبيع) حضرتا تبايعانك ، فقال صلى الله عليه وسلم قد بايعتهما على مابايعتكم عليه إنى لاأصافح النساء ، شهدت أما عمارة أحداً والحديبية وعمرة القضاء وحنيناً ، وحضرت حرب اليمامة ضد مسيلمة الكذاب مع ابنها حبيب الذي استشهد يومذاك وقطعت يدها في حرب اليمامة ، وكان الخليفة أبو بكر يكرمها أيام خلافته حيث كان يعودها ويسال عن حالها ، روت عن النبي أحاديث ، وروى عنها ابنها عباد بن تميم والحارث بن عبد الله بن كعب ، وعكرمة وليلي (مولاة لهم) كانت ورقي رضي الله عنها سنة ١٣ هـ .

سعد) فرأيت على عاتقها جرحاً أجوف له غور ، قلت لها من أصابك هذا ؟؟ قالت ابن قمئة أقمأه الله .. لما ولى الناس عن رسول الله أقبل يقول ، دلونى على محمد لانجوت إن نجا ، فاعترضت له أنا ومصعب بن عمير وأناس كانوا ممن ثبتوا مع رسول الله ﷺ ، فضربنى هذه الضربة ، ولقد ضربته على ذلك ضربات ، ولكن عدو الله كان عليه درعان »(١) .

متى يجب القتال على المرأة ؟

ولاشك أن حديث أم عمارة هذا يدل على اشتراكها فى القتال يوم أحد ، إنما اضطراريا ، فهى لما رأت أن رسول الله على ، أصبح فى خطر (لانهزام المسلمين عنه بعد غلطة الرماة) وأصبحت هى مهددة بالسبى لخلو المكان الذى كانت فيه ، من عسكر المسلمين ، صار لامناص لها من حمل السلاح ، للمشاركة فى الدفاع عن القائد الأعلى النبى الذى أحدق به الخطر بعد انكشاف الناس عنه واشتداد هجوم المشركين عليه ولحماية نفسها أيضا .

لاسيما أنها كانت موجودة ساعة الهزيمة في أخطر نقطة في المعركة، وهي النقطة القريبة من رسول الله تلك الذي صار هدفاً لموجات متتابعة من هجمات المشركين.

فأم عمارة (إذن) كانت في حالة ، أصبح معها حمل السلاح واجباً على من يقدر على حمله ، رجلاً كان أم أمرأة .

⁽۱) سیرة ابن هشام ج ۲ ص ۸۲ه

ثناء الرسول على أم عمارة

وقد أصيبت أم عمارة رضى الله عنها يوم أحد باثني عشر جرحاً ، وقد أثنى عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم مشيداً ببسالتها لأنها كانت من الثابتين معه ساعة الانتكاسة.

فقد روي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال في حق أم عمارة: (ما التفت يميناً وشمالاً يوم أُحد الا ورأيتها تقاتل دوني) ((١).

وفي السيرة الحلبية ، أن نسببة المازنية خرجت يوم أحدمع زوجها زيد بن عاصم (٢) وابنيها حبيب (٣) وعبدالله (٤) ، وأن الرسول عَلِيلِهُ قال لهم : « بارك الله فيكم أهل بيت . قالت أم عمارة .. ادع الله أن نرافقك في الحنة ، فقال .. اللهم اجعلهم رفقائي في الحنة » ، وعند ذلك قالت آم عمارة .. ما أباليما أصابني من أمرالدنيا (٥) في الحنة » مو تشتوك اهو أق غير نسيبة في القتال

أما غير نسيبة المازنية من نساء المسلمين فلم يثبت أن واحدة منهن قد اشتركت في القتال يوم أُحد .

⁽١٠) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٥.

 ⁽٣) هو زيد بن عاصم بن عمرو بن غم النجاري الانصاري ، ذكر ابن
 عبدالبر آنه بمن شهد بيمة العقبة وبدراً وأنه قتل يوم أحد رضي الله عنه .

 ⁽٣) هو حبيب بن زيد بن عاصم بن عمرو ، النجاري الانصاري ،
 ذكر ابن اسحاق أنه بمن شهد بيعة العقبة ، وقال ابن سمد شهد حبيب المذكور أحداً
 والخندق والمشاهد كلها ، وهو الذي أخذه مسيلمة الكذاب فقتله .

⁽٤) هو عبدالله بن زيد بن عاصم النجاري الا نصاري ، قيل انه شهد بدراً مع الرسول صلى الله عليه وسلم و به جزم الحاكم وشهد أحداً واشترك مع خالد بن الوليد في حرب اليمامة ، وشارك وحشياً في قتل مسيلمة الكذاب ، وكان عبدالله هذا شجاعاً ، كان من رواة الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ، روى عنه ٤٨ حديثاً

⁽٥) السيرة الحلبية ج٢ ص ٢٥.

غير أن المؤرخين ذكروا أن بعضاً من نساء المسلمين خرجن من المدينة بعد انسحاب المشركين الى مكان المعركة

فساهمن في اغاثة الجرحى واسعافهم ءوبالما غيره، ومن هوئلاء عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم وابنته فاطمة الزهراء فقد روى البخاري عن أنس (١) رضي الله عنه أنه قال: لقد رأيت عائشة (٢) وأم سليم (٣) ، وأبما لمشمرتان تنقزان القرب (قرب الماء).

⁽١) هو أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم النجاري الانصاري ، خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحد المكثر بن من الر واية عنه ، قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وأنس في العاشرة من عمره ، وجاءت به امه الى الرسول صلى الله عليه وسلم وقالت له هذا غلام مخدمك فقبله ، وقد خرج أنس مع النبي الى بدر ولم يشترك في القتال لأنه كان غلاماً صغيراً وانما خرج لحدمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد شهد (بعد ذلك) ثمان غزوات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد دعا النبي صلى الله عليه وسلم لانس فقال (اللهم أكثر ماله وولده وأدخله الحنة) عاش ١٠٣ سنة ، وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثاً . توفي بالبصرة سنة ٩٣ ه . وكان آخر من مات من الصحابة بالبصرة .

⁽٣) هي أم سليم بنت ملحان بن خالد الانصارية ، والدة أنس بن مالك خادم رسول الله ، أسلمت مع السابقين الى الاسلام ، وقد غضب زوجها (مالك بن النضر) لاسلامها فخرج الى الشام فمات بها ، ثم تزوجها بعد ذلك أبو طلحة وكان صداقها اسلامه ، وذلك انه خطبها وهو مشرك ، فقالت له لا أريد منك صداقاً غير الاسلام فأسلم ، وكانت أم سليم تغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد شهدت معه غزوة حنين ، وكان صلى الله عليه وسلم يعطف عليها كثيراً ، ويقول اني أرحمها ، قتل أخوها وأبوها معي .

على متونهما، تفرغان الماء في أفواه القوم ثم ترجعان فتملآنها ثم تجيئان فتفرغانه في أفواه القوم (1).

أما فاطمة الزهراء (٢) رضى الله عنها فقد ذكر الطبرانى أنه لما انصرف المشركون خرج النساء إلى الصحابة لتقديم العون لهم ، فكانت فاطمة فيمن خرج ، فلما لقيت النبى الله اعتنقته وجعلت تغسل جراحاته بالماء فيزداد الدم ، فلما رأت ذلك أخذت شيئاً من حصير فأحرقته بالنار وكمدته به حتى لصق بالجرح فاستمسك الدم (٢) .

نساء المدينة يقمن بالإسعاف

وكذلك ذكر بعض المؤرخين أن بعض نساء المسلمين كن يقمن بعملية الاسعاف ساعة احتدام المعركة ، ومن هؤلاء أم أيمن (٤) حاضنة رسول الله

فقد ذكر المؤرخون أن الطائفة المنهزمة من المسلمين لما أرادوا دخول المدينة (والرسول لم يزل يصارع في قلب المعركة) لقيتهم أم أيمن هذه

⁼ الشام فمات بها ، ثم تزوجها بعد ذلك أبو طلحة وكان صداقها إسلامه ، وذلك أنه خطبها وهو مشرك ، فقالت له لاأريد منك صداقاً غير الإسلام فأسلم ، وكانت أم سليم تغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد شهدت معه غزوة حنين ، وكان صلى الله عليه وسلم يعطف عليها كثيراً ، ويقول إنى أرجمها ، قتل أخوها وأبوها معى .

⁽١) البداية والنهاية ج ٤ ص ٢٧ .

⁽٢) تقدمت ترجمتها في كتابنا (غزوة بدر الكبرى) ،

⁽٣) سمط النجوم العوالي ج ٢ ص ٨٨ .

⁽٤) مى أم أيمن (مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم) واسمها بركة بنت ثعلبة بن عمرو ابن حصن ، صحابية جليلة ، كانت مملوكة لأم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان صلى الله عليه وسلم يقول (أم أيمن أمى بعد أمى) ولاغرابة فهى حاضنته صلى الله عليه وسلم مين تزوج خديجة ، وقد تزوج أم ايمن ، عبيد بن زيد الفزرجي فولدت له أيمن الذي صحب النبي صلى الله عليه وسلم حتى استشهد يوم خيير ، =

وجعلت تحثو التراب في وجوههم وتقول لبعضهم: هاك المغزل وهلم سيفك، توبيخاً لهم، وقد كانت أم أيمن هذه تقوم بإسعاف الجرحى والمعركة لاتزال مشتعلة حول الرسول ﷺ، حتى إنها رضى الله عنها تعرضت لنبال المشركين وهي تقوم بعملية الإسعاف.

فقد جاء فى الكامل لابن الأثير أن أم أيمن كانت تسقى الجرحى فى الجيش ، فرماها حبان (بكسر الحاء) بن العرقة بسهم فوقعت وتكشفت فأغرق عدو الله فى الضحك .

فشق ذلك على رسول الله ﷺ فدفع إلى سعد بن أبى وقاص سهماً لانصل له وقال: أرم به فرمى به سعد فوقع السهم فى نحر حبان المشرك فوقع مستلقياً حتى تكشف فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه (١) ثم قال: استقاد لها سعد أجاب الله دعوته (٢).

يفقد عينه في المعركة

وممن ثبت مع النبي الله ساعة انهزام الناس عنه ، قتادة بن

⁼ وذكر ابن سعد في طبقاته أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا نظر إلى أم أيمن يقول (هذه بقية أهل بيتي) وذكر ابن سعد بسنده عن عثمان بن القاسم ، أنه قال : لما هاجرت أم أيمن أمست بالنصر (وبون الروحاء) فعطشت وليس معها ماء وهي قائمة فدلي عليها من السماء دلو برشاء أبيض فأخنته فشربته حتى رويت فكانت تقول ما أصابني بعد ذلك عطش، ولايستبعد هذا أبداً ، فالله سبحانه يكرم من يشاء من عباده بما يشاء وهو القادر على كل شيء ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم (في حياته) يزور أم أيمن ، فلما – توفاه الله ، قال أبو بكر لعمر انطلق بنا نزور أم أيمن كما كان رسول الله عليه وسلم يزورها فلما دخلا عليها بكت : فقالا مايبكيك فما عند الله خير لرسول الله ، قالت أبكي أن وحي السماء انقطع فهيجتهما على البكاء ، فجعلت تبكي ويبكيان معها ، أخرج أصحاب الحديث لأم أيمن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة أحاديث ، توفيت رضي الله عنها في خلافة عثمان .

⁽١) النواجذ ، أقصى الأضراس وهي أربعة ،

⁽٢) السيرة الطبية ج ٢ ص ٢٢ .

النعمان (١) ، فقد ناضل عن رسول الله مع المناضلين حتى أصيبت عينه أصابها سهم من سهام المشركين حتى قفزت من محجرها ووقعت على وجنته.

قال ابن اسحاق: وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة أن رسول عَيْظُهُ رمى عن قوسه حتى الدقت سيتها (٢) فأخذها قتادة بن النعمان فكانت عنده وأصيبت يومئد عين قتادة بن النعمان حتى خرجت ووقعت علي وجنته فأخذها رسول الله عَيْلُكُ بيده وردها الى موضعها وقال: اللهم أكسه جمالاً فكانت أحسن عينيه وأحد هما نظراً.

الانسحاب المنظم

ضاعف المشركون من حملاتهم على مقر النبي صلى الله عَلَيْكُ بعد أن عرفوا مكانه بعد الانتكاسة ، وتلاحقت هجماتهم عليه بغية التخلص منه ، وقد كان خليقاً بالمشركين أن يسحقه المسلمين سحقاً كلياً عند انتقاض صفوفهم وانفراط عقد نظامهم ، وأن يقضوا على القائد الأعلى النبي على المائة الفراده بعد الهزام الناس عنه .

ولكن ثبات الرسول صلى الله عليه وسلم واستبسال القلة من خلصاء أصحابه الذين استماتوا في الدفاع عنه ساعة اضطراب صفوف المسلمين بعد غلطة الرماة ،كان له أكبر الأثر في إحباط الهجمات التي قام بها المشركون بغية الفتك بالذات النبوية ،كما كان له أكبر الأثر في إعادة تنظيم المسلمين الذين ما كادوا يسمعون بسلامة قائدهم الأعلى النبي صلى الله عليه وسلم ويعرفون مقره حتى سارعوا

⁽١) هو قتادة بن النعمان بن زيد بن عامر بن سواد بن ظفر الأوسي أخو ابي سعيد الحدري لأمه ، شهد بدراً ، صحابي جليل، كان من الرماة المشهورين شهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، شهد فتح مكة وكان معه يومه راية بني ظفر توفي سنة ٢٣ ه.

⁽٢) سيت القوس طرفها.

على التكتل حوله من جديد مما فوّت على المشركين أثمن فرصة كانت قد سنحت لهم .

الرسول يشرع في الانسحاب نحو الجبل

لقد كان هدف الرسول هذه المرة (وبعد أن تجمع الكثير من جنده حوله) الارتداد بجيشه الى مواقع حصينة في جبل أحد، لتجنيبهم خطر التطويق والابادة من جديد.

لا سيما وأن بقاءهم في المكان الذي دارت فيه المعركة يعرضهم الذلك، فهم وإن أبدوا بطولة نادرة في الاحتفاظ بمواقعهم حول نبيهم، وحمايته من هجمات المشركين السريعة الحاطفة، الا أنهم مهددون (مع نبيهم) بالتطويق من جديد، وخاصة إذا تجمعت حولهم كل القوى القرشية التي كان الكثير منها لم ينضم الى القوة التي كانت تهاجم الرسول عليه والذين تجمعوا حوله وهذا هو الذي جعل الرسول صلى الله عليه وسلم يسارع بالانسحاب نحو الجبل، بعد أن تجمع حوله من أصحابه قوة كانت كافية لحماية النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه أثناء هذا الانسحاب.

نجاح الانسحاب وإشاعة مقتل النبي

ومما ساعد في تسهيل انسحاب المسلمين الى مواقع حصينة في الجبل دونما خسارة تذكر هو أن كثيراً من المشركين صد قوا نبأ مصرع النبي الذي أعلنه ابن قمئة الذي قتل مصعب بن عمير فظنه الرسول صلى الله عليه وسلم فنادى لقد قتلت محمداً.

فكثير من هو لاء المشركين (ومنهم القائد العام أبو سفيان) ظنوا أن محمداً صلى الله عليه وسلم قد قتل، ولذلك كف الكثير منهم عن القتال ظناً منهم أن هزيمة المسلمين كانت ساحقة لا قومة لهم بعدها، فأخلد الكثير منهم الى الراحة وانشغل البعض بالتمثيل بقتلى المسلمين.

قال العصامى .. واشتغل المشركون بقتلى المسلمين يمثلون بهم ، ويقطعون الآذان والأنوف والفروج ويبقرون البطون وهم يظنون أنهم أصابوا رسول الله ﷺ (١) .

ولقد اغتنم الرسول ﷺ فرصة تصديق بعض المشركين إشاعة مقتله فسارع بالارتداد نحو الجبل بمن معه من الصحابة الذين سارعوا الى التجمع حوله .

وقد كان ﷺ حريصاً على أن لايعرف المشركون مكانه (حينذاك) ولاأدل على ذلك من أن كعب بن مالك (٢) ، لما عرفه بعد إشاعة مقتله صاح بأعلى صوته ، يامعشر المسلمين أبشروا هذا رسول الله ، فأشار إليه ﷺ بأن يسكت لئلا يزداد عدد الذين يعرفون مكانه من المشركين

وبالرغم من أن المشركين سمعوا صيحة كعب بن مالك فإن أكثرهم لم يصدقها ظناً منهم أنها صيحة إنما أريد بها شد عزائم المسلمين الذين ألقى البعض منهم سلاحه لإشاعة مقتل النبى .

انسحاب المسلمين ليس انسحاب المنهزم

واصل الرسول ﷺ انسحابه عبر الشعب نحو الجبل تحت حماية قوة منظمة من خلصاء أصحابه ، وكان هذا الانسحاب ليس بانسحاب المنهزم الذي لايلوى على شيء ولايقاتل ساعة الانسحاب .

بل كان انسحاب الرسول هذا انسحاباً منظماً جرى (فى حالة استعداد وتعبئة وانتظام) من الذين قاموا به وأشرفوا على تنفيذه .

فقد ظل الذين قاموا بهاذ الانسحاب المنظم (وعلى رأسهم الرسول القائد) يقاتلون بثبات وقوة أثناء قيامهم بهذا الانسحاب حتى وصلوا إلى المكان الذي حدده القائد الأعلى الرسول من الجبل للاعتصام به والتحصن فيه

⁽١) سمط النجوم العوالي ج٢ ص ٨٧ .

⁽Y) تقدمت ترجمته في أول هذا الكتاب ،

ضراوة القتال أثناء الانسحاب

ولقد اشتد المشركون في مطاردتهم وضاعفوا من هجومهم بغية الفتك بالرسول القائد على منذ ماشرع في الارتداد بجيشه نحو الجبل.

فكر أحد فرسان المشركين (وهو عثمان بن عبد الله بن المغيرة) وأركض فرسه نحو رسول الله ﷺ قاصداً الفتك به ، وهو يقول : لانجوت إن نجا ، (يعنى النبي) .

فوقف الرسول واستعد لمواجهته ، ولكن الفرس أثناء ركضها عثرت به فى بعض الحفر ، فسارع إليه أحد حرس الرسول الأقوياء (وهو الحارث بن الصمة) (١) لمنازلته ، وبعد مصادمة طويلة جرت بينهما بالسيف ضربه الحارث على رجله فأقعده ثم نفف عليه وأخذ سلاحه ثم التحق بالرسول ﷺ ، فقال النبى عليه الصلاة والسلام : الحمد لله الذى أحانه (أي أهلكه).

ثم تزايد هجوم المشركين لعرقلة انسحاب المسلمين وتسابق فرسان مكة لقتل النبى على وهو لما يزل في بطن الشعب ، وانقض أحد فرسان مكة (وهو عبيد الله بن جابر العامري) على الحارث بن الصمة فضربه بالسيف على عاتقه وأصابه بجرح بليغ مما أجبر المسلمين على إسعافه وحمله .

ولكن أبا دجانة البطل المشهور عطف على الفارس القرشى (عبيد الله العامرى) وضربه بسيفه ضربة أطارت رأسه وأراح المسلمين من شره،

الشقى الذي قتله الرسول بيده

ثم أقبل الشقى (أبيّ بن خلف (٢) الجمحى) يركض فرسه (في غطرسة جاهلية) نحو الرسول يريد الفتك به وهو يقول .. أين محمد ؟ (١) هو الحارث بن الصمة (بكسر الصاد وتشديد الميم) بن عمرو بن عتبك النجارى المذرجى الانصارى فارس شهير ويطل محارب شهم ، خرج مع الرسول في غزوة بدر ولكنه لم يشهدها ، لأنه كسر وهو بالروحاء ، فرده الرسول صلى الله عليه وسلم وضرب له بسهم فصار في عداد البدريين ، أخى الرسول صلى الله عليه وسلم بينه وبين صهيب ابن سنان ، استشهد رضى الله عنه في غزوة بئر معونة .

(٢) أبى بن خلف هذا هو أخو أمية بن خلف أحد زعماء مكة الذين قتلهم المسلمون يوم بدر ،
 وأبى هذا هو عم صفوان بن أمية رضى الله عنه .

لانجوت إن نجا ، فوقف له النبى الله ثم أرداه قتيلاً بحربة قذفه بها قبل أن يقترب منه ، فكان أبى ، الشقى هذا ، الانسان الوحيد الذى قتله الرسول الله بيده الكريمة .

قال ابن إسحاق .. فلما أسند رسول الله ﷺ في الشعب أدركه أبى بن خلف وهو يقول ، أين محمد لانجوت إن نجا .

فقال القوم (أى الحرس المحيطون بالرسول): يارسول الله أيعطف عليه رجل منا ؟؟ فقال رسول الله ﷺ: دعوه ، فلما دنا تناول ﷺ الحربة من الحارث بن الصمة فلما أخذها ﷺ انتفض بها انتفاضة تطايرنا عنه تطاير الشعراء (١) عن ظهر البعير إذ انتفض بها ثم استقبله فطعنه فى عنقه طعنة تدأداً منها عن فرسه (أى تقلب من شدة دفع الحربة وجعل يتدحرج) وقد مات رأس الكفر هذا من الطعنة النبوية التى أصابته .

وكان أبنى بن خلف الشقى هذا شديد العداوة لرسول الله الله الله وكان يؤذيه بمكة قبل الهجرة ويهدده بالقتل .

قال ابن إسحاق: وكان أبى بن خلف يلقى رسول الله الله بمكة فيقول .. يامحمد إن عندى العوذ ، فرساً أعلفه كل يوم فرقا (٢) من ذرة ، أقتلك عليه ، فيقول رسول الله الله ، بل أنا أقتلك إن شاء الله .

ولهذا فإن (أبى بن خلف) لما رجع إلى قومه وقد خدشه الرسول بالحربة خدشاً غير كبير ، قال .. قتلني والله محمد .. قالوا له ، ذهب والله

⁽١) الشعراء بكسر أوله ذباب له لدغ .

⁽٢) الفرق (بفتح الراء وإسكانها) مكيال يسع ستة عشر مناً ، وقيل اثنى عشر مناً .

فؤادك ، والله إنْ بك من بأس (أى مابك من بأس) قال .. إنه قد كان قال لى بمكة .. أنا أقتلك ، فهو الله لو بصق على لقتلنى ، فمات عدو الله بسرف (١) متأثراً بالجرح الذى أصابه الرسول ﷺ .

اعتصام المسلمين بالجبل

وهكذا نجح المسلمون في انسحابهم المنظم ، وقطعوا الشعب نحو هضاب جبل أحد بعد اشتباكات متعددة تغلبوا فيها على خيالة المشركين الذين قاموا بمحاولات يائسة لإعاقة هذا الانسحاب وقتل الرسول تله ، ثم وصل المسلمون إلى هضبة عالية من هضاب جبل أحد ، وجعلوا منها خط دفاع حصين تحدوا منه كل المحاولات التي قام بها المشركون اسحقهم أو تشتيتهم من جديد .

والفضل في نجاح هذا الانسحاب الذي به نجا من خطر الإبادة تسعون في المائة من قوات المسلمين الذين بعثرتهم النكسة التي تسبب فيها تمرد الرماة على قائدهم في الجبل .. الفضل يعود في نجاح هذا الانسحاب (في الدرجة الأولى) إلى الموقع الذي اختاره (الرسول القائد العظيم) معسكراً لجيشه ومقراً لقيادته قبل المعركة وهو فم الشعب من أحد الذي تكتنفه من الخلف هضاب هذا الجبل التي أصبحت (بعد النكسة) حصوناً منيعة اعتصم بها المسلمون وصدوا منها كل الهجمات اليائسة التي قام بها المشركون .

⁽۱) سرف (بالفتح ثم الكسر وآخره فاء) موضع على ستة أميال من مكة ، من طريق مرو ، ذكره في مراصد الأطلاع ج ص ۷۰۸ .



جانب من الصخرة العظيمة التي اعتصم بها الرسول صلى الله عليه وسلم بعد الانتكاسة ، وقد ظهر أسفل منها الطريق الذي سلكه الرسول في الشعب ساعة الانسحاب الى الجبل ، وقد أخذنا هذه الصورة من على قمة جبل أحد ، وقد ظهر على بعد حيث السهم مجرى وادى قناة الذي دارت فيه المعركة

كاد المسلمون يقتلون النبى صلى الله عليه وسلم

ويدل سير حوادث المعركة على أن بعض المسلمين الذين لم يعلموا بنجاة الرسول على من القتل ، قد سبقوا النبى إلى الهضبة التى قرر الاعتصام بها عندما انسحب من الميدان ، وهم لايعرفون مصيره بعد النكسة التى انعزل لها المسلمون بعضهم عن بعض .

وفى تلك الظروف العصيية حاول أحد هؤلاء المسلمين الذين اعتصموا

بالجبل قبل وصول النبى إليه .. حاول قتل النبى ﷺ وهو فى مقدمة أصحابه صاعداً نحو الجبل ، ظناً منه أن الرسول والصاعدين معه فى الجبل ، هم من الأعداء الذين جاء الطاردة المسلمين .

كاد يكون أشأم سهم في الدنيا

فقد وضع هذا الرجل المسلم سهماً في قوسه وصوبه نحو الرسول عليه ، وكاد السهم ينطلق إلى صدر الذات المحمدية الشريفة ، لولا أن الرسول عليه الحظ ذلك ، فصاح (وقد عرف أن المتهيىء للرمى من المسلمين) : أنا رسول الله .

فنزع الرجل السهم من قوسه وفرح ومن معه فى الصخرة بالرسول على ووصوله إليهم سالماً ، ويعلم الله كيف كانت حال هذا الرجل المسلم الذى كاد يقتل بسهمه سيد الأولين والآخرين ؟.

لاشك أن أسعد لحظة في حياته ، هي تلك اللحظة التي نزع فيها سهمه من وتر القوس الذي كاد يكون أشام قوس في الدنيا لو انطلق السهم منه نحو سيد البشر ﷺ .

واصل الرسول على صعوده فى الجبل حتى وصل إلى المكان الذى قرر التمركز فيه والاعتصام به ، وهو مكان حصين (يشبه الصخرة العظيمة) في الناحية الشرقية من الشعب .

تأثير الجراح على قوة الرسول

ويظهر أن الجراحة التي أصيب بها النبي الله أثناء صراعه مع المشركين بعد النكسة ، قد أثرت عليه وأن هذه الجراح قد سببت له ضعفاً في قوته الجسمية .

ودلیل ذلك أنه عندما أراد ارتقاء الصخرة لم یستطع إلا بعد أن جلس تحته طلحة بن عبید الله ، الذي نهض به حتى استوى علیها .

قال ابن اسحاق ، ونهض رسول الله ﷺ إلى الصخرة من الجبل ليعلوها – وكان قد بدّن – $\binom{1}{2}$ وظاهر بين درعين $\binom{1}{2}$ فلما ذهب لينهض لم يستطع فجلس تحته طلحة بن عبيد الله حتى استوى عليها $\binom{1}{2}$.

فكان ثواب طلحة على هذا العمل الجليل الجنة ، فقد روى ابن إسحاق أن النبى تلك قال (بعد أن حمله طلحة إلى الصخرة »: أوجب طلحة (أى وجبت له الجنة).

كما أن نهوض طلحة بالنبى كان بركة عليه ، إذ تسبب ذلك فى علاج إحدى رجلى طلحة من العرج الذى أصابها أثناء دفاعه عن النبى تلك بعد النكسة ، وذلك أن طلحة عندما حمل النبى تلك ، تكلف استقامة المشى لئلا يشق على النبى تلك فاستوت رجله العرجاء لهذا التكلف فشفى من العرج ، ويظهر أن سبب العرج الذى أصاب طلحة انفراط فى الورك ، وهذا

⁽١) بدن (بتشديد الدال) أي ضعف وأسن،

⁽٢) ظاهر بين درعين ، لبس درعاً فوق درع.

⁽٣) السيرة النبوية لابن هشام ج ٢ ص ٨٦ ،

الانفراط يسبب قصراً فى الرجل ، ولايزول هذا إلا بعد عودة ماانفرط إلى مكانه ، وهذا لايعود إلى مكانه إلا بعملية شد عنيفة تعيد العضو المفروط إلى مكانه ، ولكن تكلف استقامة المشى ناب عن هذه العملية فعادت الورك إلى حالتها الطبيعية .

تجمع المسلمين في الجبل

وبعد أن وصل الرسول الى المثابة المقصودة من الجبل أخذ المسلمون المشتتون هذا وهناك يتوافدون عليه ويتجمعون حوله ، وبهذا أخذت حالة المسلمين فى التحسن وأخذت قوتهم تتزايد من جديد ، بعد أن أصبحوا فى مركز حصين صدوا منه جميع المحاولات التى قام به مشركو مكة لتطويقهم أو (تشتيتهم من جديد) ، ذلك أن الرسول تحصن بالمسلمين فى شرف عال من الجبل يشبه الصخرة العظيمة الممتنعة ، فأصبح لذلك من الصعب وصول المشركين إليه ، بل صار مجرد اقتراب المشركين من مقر قيادة الرسول الجديدة فى الجبل يعرضهم لسهام المسلمين الذين أصبحوا (بعد انحسابهم) فى مكان يشرف (تماماً) على جيش المشركين الذي تجمع الكثير منه تحت المسلمين فى فم الشهب من أحد .

طلب الرسول للماء

وقد أصاب النبى على عطش شديد أثناء الانسحاب ، فطلب الماء ، فذهب على بن أبى طالب – وهم فى الشعب أثناء الانسحاب – إلى المهراس (١) فحلاً درقته ماء فجاء به إلى رسول الله على ليشرب منه فوجد

⁽١) المهراس .. قال أبو ذر ، قال أبو العباس ، ماء بأحد ، وقال غيره المهراس حجر ينقر ويجعل إلى جانب البئر ، ويصب فيه الماء لينتفع به الناس

له ريحاً فلم يشرب منه ، ولكنه غسل به عن وجهه الدم الذي سال عليه نتيجة الجراح التي أصابته ساعة هجوم المشركين عليه وهو منفرد ، وصب على رأسه وهو يقول: (اشتد غضب الله على من دمّى وجه نبيه (۱) وعندما لم يستسغ الرسول شرب الماء الذي جاء به على بن أبي طالب ، ذهب محمد ابن مسلمة الأنصاري (۲) إلى مكان آخر للماء فجاء بماء عذب فشرب منه النبى على ودعا لابن مسلمة بخير (۳) . ويظهر أن محمد بن مسلمة طلب الماء للرسول وجاءه به بعد أن استقر في مكانه من الجبل بعد الانسحاب

آخر هجوم يقوم به المشركون

وبعد أن تمركز المسلمون في هضاب جبل أحد حاول المشركون القيام بالهجوم عليهم عدة مرات ، ولكن جميع هذه المحاولات ذهبت أدراج الرياح ، فقد شن المسلمون (وهم في معتصمهم بالجبل) هجمات مضادة على المشركين ربوهم بها على أعقابهم مما جعلهم يفقدون الأمل في النيل من جديد .

وكانت آخر محاولة قام بها جيش مكة لضرب المسلمين في مواقعهم في الجبل هي تلك المحاولة التي قامت بها كتيبة من فرسان مكة . اقتحمت الجبل (ناحية الرسول) بقيادة القائد العام أبي سفيان وخالد بن الوليد بغية ضرب المسلمين في مقرهم الرئيسي حيث عسكر الرسول على المسلمين في مقرهم الرئيسي حيث عسكر الرسول

⁽۱) سیرة ابن مشام ج ۲ ص ۸۵ .

⁽Y) السيرة الطبية ج٢ ص ٣٠.

⁽٣) محمد بن مسلمة هذا تقدمت ترجمته فيما مضى من هذا الكتاب.

وفعلاً وصلت كتيبة الخيالة في هجومها اللي نقطة في الجبل لاتبعد كثيراً عن مقر قيادة الرسول الله ولكن المسلمين (بقيادة عمر ابن الخطاب) (١) شنوا على خيل أبى سفيان هجوها مضاداً فقاتلوهم حتى أجبروهم على الانحساب والهبوط إلى الوادى .

خسارة قريش في هجومها الفاشل الأخير

قال ابن الأثير في الكامل ، وصعد أبو سفيان ومعه جماعة من المشركين في الجبل (قال ابن إسحاق إنهم من الخيالة وفيهم خالد ابن الوليد) فقال رسول الله ﷺ: ليس لهم أن يعلونا ، فقاتلهم عمر ابن الخطاب وجماعة من المهاجرين حتى أهبطوهم .

وقد تكبد المشركون في هذا الهجوم الفاشل ثلاثة من القتلى كلهم صرعوا بنبال الرامي المشهور سعد بن أبي وقاص .

ففى مغازى الأموى: أن المشركين صعدوا الجبل ، فقال رسول الله لسعد: أجبنهم - يقول ارددهم - فقال كيف أجبنهم وحدى ؟

قال ذلك ثلاثاً – فأخذ سعد سهماً من كنانته فرمى به رجلاً فقتله ، قال ثم أخذت سهمى أعرفه فرميت به آخر فقتله ، ثم أخذته أعرفه فرميت به آخر فقتله ، فهبطوا من مكانهم (٢) .

⁽١) تقدمت ترجمته في كتابنا (غزوة بدر الكبرى).

⁽٢) زاد المعاد لابن القيم ج ٢ ص ٢٤٠ .

النبي يصلي قاعدا من تأثير الجراح

وقد أدى النبى ﷺ فريضة الصلاة يوم أحد وهو قاعد لأنه لم يتمكن من أداء الصلاة قائماً وذلك لشدة تأثير الجراح التي أصيب بها في المعركة.

وقد صلى الجيش خلفه كلهم قعوداً ، المجروح منهم وغير المجروح · إنهاء القتال

ويفشل المحاولة اليائسة الأخيرة التى قام بها أبو سفيان بنفسه الهجوم على المسلمين (بعد اعتصامهم بهضاب جبل أحد) يئست قريش من المسلمين ، وتأكد لدى قادتها أن المسلمين أمنع من أن ينالوا منهم شيئاً من جديد بعد أن أعادوا تنظيمهم والتفوا حول قائدهم الأعلى النبى تلك فى تلك المواقع الحصينة .

يضاف إلى هذا أن الإعياء والتعب قد بلغ من الجيش المكى مبلغاً عظيماً ، لاسيما أن هذا الجيش قد تلقى من جند الاسلام فى الصفحة الأولى من المعركة ضربات موجعة مزلزلة ، كان لها أبلغ الأثر فى إدخال الرعب والفزع إلى قلوب جند مكة الذين أباد المسلمون (فى لحظات خاطفة) جميع أفراد فصيلة لوائهم حتى مرغوه فى التراب ، ثم أنزلوا بجيش مكة (فى هجوم خاطف مذهل عارم) هزيمة كادت تكون ساحقة لولا غلطة الرماة غفر الله لهم .

وهكذا وبعد أن يئس قادة قريش من المسلمين ، قرر أبو سفيان إنهاء القتال ، وأعطى الأوامر إلى جنده بالاستعداد للرحيل ، وبهذا وضعت الحرب أوزارها ، وانتهت العمليات العسكرية في منطقة أحد .

تشويه جثة سيد الشهداء

وبعد أن قرر أبو سفيان إنهاء القتال أخذ المشركون في التهيؤ للرحيل وانصرفوا إلى ساحة المعركة يتفقدون قتلاهم ، كما انشغل فريق بإرواء ظمئهم الجاهلي وإشفاء حقدهم الوثني بالتمثيل بشهداء المسلمين وتشويه جثثهم تشويهاً فظيعاً .

حيث بقروا البطون وانتزعوا الأحشاء منها بأيديهم ، وجدعوا الانوف وقطعوا الآذان ، بل لقد قطعوا الأعضاء الحساسة التناسلية من بعد الشهداء (١) .

وكان سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه أكثر الشهداء تعرضاً لوحشية التشويه والتمثيل، وبربرية الانتقام.

لأنه رضى الله عنه كان عنده أكثر من ثأر لسادات قريش ، فقد قتل يوم بدر (بالاشتراك مع ابن أخيه على بن أبى طالب) سيدى قريش عتبه ابن ربيعة وشيبة والوليد بن عتبة – أخا هند بنت عتبة – وكلهم من بنى أمية ابن عبد شمس بن عبد مناف .

ولهذا كانت هند بنت عتبة من أشد الناس غيظاً وحنقاً على حمزة ابن عبد المطلب ، وكانت قد حضرت مع زوجها القائد العام أبى سفيان فيمن حضر من نساء قادة مكة لتحريض الجيش على قتال المسلمين .

⁽١) انظر سمط النجوم القوالي للعصامي ج ٢ ص ٨٧ .

وكانت قد علمت هذه المرأة العنيدة أن جبير بن مطعم (١) قد وعد عبده وحشياً العتق إن هو قتل حمزة ، فكانت كلما مرت بهذا العبد الحبشى تشجعه ليفى بوعده لسيده جبير ، وتوعده المكافأة السخية إن هو تمكن من قتل حمزة .

كبد حمزة تقضمها هند .

فلما انتهت المعركة جاء العبد وحشى إلي هند بنت عتبة (بعد اغتيال سيد الشهداء حمزة) وقال لها .

ماذا لي إن قتلت قاتل أبيك ؟؟.

فقالت سلبي ..

فأكد لها بأنه قد اغتال حمزة ،

فأعطته ثيابها وحليها ، ووعدته أنها إذا وصلت مكة ستدفع له مكافأة نقدية ذهبية كبيرة ، ثم قادها العبد القاتل المغتال ، إلى حيث صرع أسد الله وزسد رسوله ، فعمدت (في وحشية وقسوة)إلى بطن حمزة فبقرتها ثم انتزعت كبده وأخذت تتشفى بالنظر إليها والدم ينساب من بين أصابعها التي أرعشها الغيظ الجاهلي والحنق الوثني ، وكانت هند نذرت (في الجاهلية) إن قدرت على حمزة لتأكلن من كبده ، ولذلك قضمتها وأخذت تلوكها لتبتلعها ولكنها لم تستسغها فلفظتها (٢) .

ويقول بعض المؤرخين إن هندا انتزعت أحشاء الشهيد حمزة وجعلت

⁽١) تقدمت ترجمته في أول هذا الكتاب

⁽٢) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٧ .

منها إكليلاً وقطعت أذنيه وجدعت أنفه ثم جعلت ذلك كالسوار في يدها وقلائد في عنقها واستمرت كذلك حتى قدمت مكة $(^{(1)})$.

وهذا عمل يمثل أحط أنواع الوحشية والهمجية والقسوة ، ولايستبعد صوره من امرأة موتورة كانت تدين دين الجاهلية.

قال ابن إسحاق .. ووقعت هند بنت عتبة والنسوة اللاتي معها يمثلن بالقتلى من أصحاب رسول الله ﷺ يجدعن الآذان والانوف ، حتى اتخذت هند من آذان الرجال وأنفهم خدماً (أي خلاخيل).

وأعطت خدمها وقلائدها وقرطها وحشيأ غلام جبير بن مطعم وبقرت $^{(Y)}$ عن كبد حمزة فلاكتها فلم تستطع أن تستسيغها فلفظتها

هند تفتخر شعرآ

ولقد استفز هند ماحققته غلطة الرماة لزوجها القائد العام أبي سفيان من نصر تعبوي على المسلمين فارتقت صخرة قريبة من المسلمين وصرخت بأعلى صوتها تخطابهم شعراً متشفية قائلة :

> ن*دن ج*زيناكم بيـوم بـــدر ماکان من عتبة ^(۲) لے, من صبر شفیت نفسی وقضیت نذری فشكر وحشي على عمري

والحرب بعد الحرب ذات سعر ولاأخيى وعمله ويكري $^{(7)}$ شيفت وحشي غليل صدري حتى ترم أعظمي في قبري

⁽١) نفس المبدر،

⁽٢) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٩١ ، لفظتها : طرحتها ، لم تستسفها أي لم تقو نفسها على التلاعها .

⁽٢) عتبة بن ربيعة هو والد هند ، قتلة حمزة برازاً يوم بدر

فأجابتها (من جانب المسلمين) هند بنت أثاثة بن عباد بن المطلب^(١) شعراً وعلى الروى نفسه:

خزيت في بدر وبعد بدر يابنت وقاع عظيم الكفر صبّحك الله غداة الفجر ملهاً شميين الطوال الزهر بكل قطاع حسام يفرى حمزة ليثى وعلى صقرى إذ رام شيب (٢) وأبوك غدرى فخضباً منه ضواحى النحر

ونذرك السوء فشر نذر

ويحك اكتمها عنى

وبينما كان بعض الرجال من المشركين يمثلون بالشهداء ، كان القائد العام (أبو سفيان) يتجول في ميدان المعركة ومعه كبار قادة الجيش المكي، لمعرفة عدد القتلى من الفريقين والتعرف عليهم

وبينما هو يتجول كذلك إذ مر بجثمان سيد الشهداء (حمزة بن عبد المطلب) وكان أبو سفيان ـ كزوجه) موتوراً منه ، فوضع زج الرمح فى شدقه وأخذ يضربه وهو يقول ذق عقق (٢) .

وكان التمثيل بالقتلى وتشويه جثث الأعداء (حتى في الجاهلية) أمراً يعيبه العرب ويستهجنونه ، ولذلك فإن سيد الأحابيش (٤) (الحليس

⁽١) هى بنت أثاثة بن عياد بن المطلب بن عبد مناف ، شاعرة قرشية اشتهرت فى الجاهلية ، أسلمت بعد غزوة بدر ، ولها أخبار فى يوم خيبر ، وقد تزوجت أبا جندب ووادت له ابنته ريطة ، وهند هذه هى أخت مسطح الذى جاء ذكره فى حديث الإفك توفيت هند هذه سنة ١٠ هـ

⁽٢) هو شيبة بن ربيعة عم هند بنت عتبة .

⁽٢) عقق بضم أوله ، أي عاق ..

⁽٤) تقدم نكرهم فيما مضى

ابن زبان بن عبد مناة) $(^{(1)}$ لما رأي أبا سفيان يضع زج الرمح $(^{(1)}$ في شدق حمزة استنكر فعله ونادى غاضياً :

یابنی کنانة ، هذا سید قریش (یعنی أبا سفیان) یصنع بابن عمه $(^{\Upsilon})$ ماترون لحماً (أی میتاً لایقدر علی الانتصار) فخجل أبو سفیان وقال لسید الأحابیش (ویحك اكتمها عنی فإنها كانت زلة) .

⁽١) هو الطيس (بضم الحاء) بن زيان الحارثي ، ، لم نعثر في شيء من المراجع أنه أسلم ، والحليس هو الذي قال فيه النبي (يوم الحديبية) لما رآه ، هذا من قوم يعظمون البدن.

⁽٢) الزج (بضم أوله) الحديدة التي في أسفل الرمع يقابله السنان.

⁽٢) وذلك ان أبا سفيان يلتقي بحمزة في عبد مناف الذي هو جد بني أمية وبني هاشم.



القصل السادس

- * انتهاء المعركة انسحاب الجيش المكي
- * النبى يتفقد الضحايا مخلفات المعركة
 - * دفن الشهداء .

وبعد أن شفى المشركون غليلهم بالتمثيل بجثث شهداء الإسلام، وعرفوا مبلغ خسارة الفريقين من القتلى قرروا الانصراف فأصدر القائد أبو سفيان أوامره بذلك إلى الجيش فتجهز.

وقبل أن ينصرف أبو سفيان بجيش مكة من أحد صعد إلى جبل قريب من المسلمين وأشرف منه (ليفتخر على المسلمين ، ويبدى لهم اغتباطه بما أصابهم في المعركة).

فقد صرخ بأعلى صوته من علي الجبل (يخاطب نفسه فى زهو جاهلى) أنعمت فعال (بفتح تاء أنعمت) وهى كلمة يقولها الرجل منهم إذا أراد الافتخار بعمله .

ثم نادى يخاطب السلمين قائلاً:

الحرب سجال ، يوم بيوم ، يوم علينا ويوم لنا ، ويوم نساء ويوم نسر، ثم قال :

أعل هبل (أي أظهر دينك) .

و(هبل) صنم قريش الأكبر) ،

فلما قال أبو سفيان ذلك ، أمر النبى ﷺ عمر بن الخطاب بأن يجيبه قائلاً:

قم ياعمر فأجبه ، فقل .. الله أعلى وأجل ، لاسوى ، قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار ، فلما أجابه ابن الخطاب هكذا ، قال أبو سفيان :

العزى لنا ولاعزى لكم.

فأجابه المسلمون (حسب أمر النبي)،

الله مولانا ولامولى لكم .

أبوسفيان لايعلم حقيقة مصير الرسول

وكان أبو سفيان (حتى أن وضعت الحرب أوزارها) علي غير علم تام بحقيقة مصير النبى ﷺ وكبار هيئة أركان حربه بعد الانتكاسة ، وكان في شك من خبر مقتل النبي ﷺ الذي أشاعه ابن قمئة بين جند مكة .

ولهذا لما أشرف على الجبل (قبل انصرافه بقليل) نادى المسلمين بأعلى صوته (ليتأكد من الحقيقة):

أفيكم محمد ؟؟ فلم يجيبوه ، فنادى :

أفيكم ابن أبى قحافة (يعنى أبا بكر الصديق) ؟؟ فلم يجيبوه ، فنادى :

ولم يسال إلا عن هؤلاء الثلاثة لعلمه وعلم قومه ، أن قيام الإسلام بهم (١).

⁽١) زاد المعاج ج ٢ ص ٢٣٧ .

ولما لم يجبه أحد على نداءاته ، التفت إلى كبار قادة حيشه من المشركين المحيطين به وقال لهم (في غطرسة مؤكداً مقتل النبي وصاحبيه) أما هؤلاء فقد كفيتموه،

أبو سفيان يقابل ابن الخطاب

ولكن عمر بن الخطاب رضى الله عنه - عند سماع ماقاله أبو سفيان لم يملك نفسه أن قال:

ياعدوا الله ، إن الذين ذكرتهم أحياء ، وقد أبقى الله لك مايسوؤك (١) فلما سمع أبو سفيان صوت عمر طلب مقابلته وقال .. هلم إلى ياعمر .

ولما علم الرسول برغبة أبى سفيان فى مقابلة عمر ، قال له (ائته فانظر ماشأنه ؟ (٢).

فذهب إليه عمر (بالرغم من حالة الحرب القائمة بينهم) فلما التقيا ، قال أبو سفيان ، أنشدك الله ياعمر ، أقتلنا محمداً ؟؟.

قال عمر: اللهم لا ، وإنه ليسمع كلامك الآن.

فقال أبو سفيان لعمر أنت أصدق عندى من ابن قمئة وأبر . وكان ابن قمئة هو الذى زعم للمشركين بأنه قد قتل النبى ، وذلك أنه قتل مصعب بن عمير $\binom{7}{9}$ وكان أشبه برسول الله ، وخاصة إذا لبس السلاح .

⁽١) السيرة الطبية ج ٢ ص ٢٩ .

⁽٢) البداية والنهاية ج ٤ مس ٣٨ .

⁽٣) تقدمت ترجمته في كتابنا (غزوة بدر الكبرى) .

أبو سفيان يعتدر للمسلمين عن المثلة

وقد اعتذر أبو سفيان للمسلمين (كقائد مسئول) عما تعرضت له جثث شهدائهم من التشويه والمثلة على أيدى بعض المشركين ، وأبلغهم اعتذاره هذا وهو على رأس الجبل قائلاً:

أ ينكم ستجدون في قتلاكم مثلة $(^{(1)})$ ، ولم آمر بها ولم تسرني $^{(1)}$

ولما أراد أبو سفيان الانصراف بجيشه واعد المسلمين على التلاقى في بدر على أن يكون في العام التالي للسنة التي حدثت فيها معركة أحد، فوافقه المسلمون على ذلك ، وكان هذا التواعد آخر حديث يوجهه أبو سفيان إلى المسلمين من على رأس الجبل بعد معركة أحد.

الجيش المكى ينسحب

قال ابن إسحاق .. ولما انصرف أبو سفيان نادى ، إن موعدكم بدر للعام القابل ، فقال وسول الله تلك لرجل من أصحابه : قل : نعم هو بيننا وبينكم موعد .

وبعد هذا مباشرة هبط أبو سفيان من الجبل وانسحب بجيشه إلى مكة .

ويهذا اختتم آخر فصل من فصول معركة أحد الرهيبة الدامية التي امتحن الله فيها المسلمين وميزت شدائدها ونكباتها الطيب من الخبيث:

⁽١) السيرة الطبية ج ٢ ص ٣٧ ط ، الطبي ١٣٤١ هـ

﴿ ماكان الله ليذر المؤمنين على ماأنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب ﴾ (١) .

مراقبة تحركات العدو

وبعد أن تحرك جيش مكة وأخذ في الانسحاب من نقطة أحد انتدب الرسول على أبي طالب رضى الله عنه ليقوم بعملية الاستكشاف وأمره بأن يتعقب جيش مكة ويراقب حركاته وإلى أين يتجه .

أيتجه إلى المدينة (التي لاتبعد عن مكان المعركة أكثر من ميلين لمهاجمتها أم يتجه إلى مكة ؟

وقد أكد الرسول (كقائد خبير مطلع) لهيئة أركان حربه ، بأن المشركين ، إن ركبوا الخيل وجنبوا الإبل فهم يريدون مهاجمة المدينة وإن جنبوا الخيل وركبوا الجمال ، فهم عازمون على الانسحاب إلى مكة رأساً .

ثم أبلغ جيشه بأنه مصمم على منازلة الجيش المكى ، والحيلولة بينه وبين احتلال المدينة إن هو اعتزم ذلك .

غير أن على بن أبى طالب - بعد أن قام بعمليته الاستكشافية - رجع وأخبر الرسول تله أن المشركين جنبوا الخيل وركبوا الإبل ، واتجهوا إلى مكة .

قال ابن إسحاق .. ثم بعث رسول الله تله على ابن أبى طالب رضى الله عنه ، فقال « أخُرج فى آثار القوم فانظر ماذا يصنعون وما يريدون؟؟.

⁽۱) آل عمرا*ن* ۱۷۹،

فإن كانوا جنبوا الخيل وامتطوا الإبل ، فإنهم يريدون مكة ، وإن ركبوا الخيل وساقوا الإبل ، فإنهم يريدون المدينة ، والذي نفسى بيده ، لئن أرادوها لأسيرن إليهم فيها ، ثم لأناجزنهم) (١) .

قال على : فخرجت في آثارهم ، أنظر ماذا يصنعون فجنبوا الخيل وامتطوا الإبل ووجهوا إلى مكة .

لماذا لم يهاجم أبو سفيان المدينة ؟

كانت المدينة (عند انسحاب الجيش المكى من مكان المعركة) مفتوحة تماماً ، لأنها خالية من الجيش الإسلامي الذي لا زال (في تلك الساعة) في مكان المعركة ، فلم يكن بالمدينة سوى النساء والأطفال ومن لاقدرة لهم على القتال من العجزة ساعة انسحاب المشركين .

فكانت الفرصة مواتية لأن يهاجم أبو سفيان بجيشه المنتصر المدينة. لاحتلالها ، ولأخذ بعض الغنائم منها واقتياد بعض الأسرى حيث فاته ذلك في معركة أحد ..

ولاشك أن أبا سفيان وقادة جيشه قد فكروا في اغتنام هذه الفرصة ومهاجمة المدينة فيها لاسيما وأنها كانت مكشوفة تماماً وخالية من الجيش الإسلامي ، ولكن الذي حدث خلاف ذلك وهو أن جيش مكة قد سارع بالانسحاب من مكان المعركة صوب مكة رأساً ، دون أن يوانس في نفسه الشجاعة لاحتلال المدينة أو حتى مجرد التعرض لها مع أنها كانت على قيد خطوات منه ، فما هو السر في جعل قيادة الجيش المكي تجبن عن مهاجمة المدينة وتقرر الانسحاب رأساً إلي مكة ، مع سنوح تلك الفرصة الذهبية لها؟

⁽١) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ١٤ ط ، الطبي ١٣٧٥ ه

السبب الحقيقي

والحقيقة أن المشركين (من الناحية الواقعية) محقون كل الحق في عدم توريط جيشهم بالهجوم على المدينة وأن القائد العام أبا سفيان لم يرتكب أى خطأ من الناحية العسكرية ولم يجانب الصواب عندما صرف النظر عن مهاجمة المدينة ، كما يتراعى للبعض (من الوجهة العسكرية)

بل ان أبا سفيان بعمله هذا ، قد أثبت بأنه من القادة العسكريين البعيدين عن السطحية الذين لايستجيبون لداعى الغرور ، ولاتستفزهم نشوة الانتصارات العابرة ، ومن القادة الذين يقدرون نتائج الأعمال قبل القدوم عليها .

فأبو سفيان عند انسحابه من منطقة أحد يدرك تماماً أنه لايوجد فى (تلك اللحظة) ما يحول بينه وبين مهاجمة المدينة أو حتى احتلالها ، لأن جيشه فى تلك اللحظة كان يفصل بين المدينة وبين جيشها الذى كان لايزال فى مكان المعركة بأحد مشغولاً بدفن قتلاه وإسعاف جرحاه .

ولكن أبا سفيان (مع إدراكه لهذه الحقيقة) يعلم فى قرارة نفسه (كقائد مسئول) مافى مهاجمته المدينة من مغامرة قد تكون سبباً فى إهلاك جيش مكة أو تضييع قيمة النصر الاسمى الذى حصل عليه فى آخر المعركة بسبب عصيان الرماة لقائدهم.

ذلك أن قائد جيش مكة موقن (تماماً) بأن النصر الذي سجله المشركون على المسلمين في الصفحة الأخيرة من المعركة ، لم يكن نتيجة بسالة رجال الجيش المكى وصبرهم وثباتهم ، وإنما كان نتيجة غلطة تعبوية جات من جانب خصومهم .. غلطة لم يكن لهم (أى المشركين) أى يد فى إحداثها ، سببت هذه الغلطة الشنيعة (وهى غلطة الرماة) تخريباً خطيراً فى الخطة الحكيمة الدقيقة التى أدار المسلمون بموجبها دفة القتال .

مما أدى إلى ذلك التحول المفاجىء المذهل في سير القِتال الذي يسرللمشركين:

- ١ إيقاف سيل الهزيمة النازل بهم.
- ٢- التمكن من تكبيد المسلمين خسائر فادحة في الأرواح.

٣- إضاعة النصر الحاسم الذي سجله المسلمون في الصفحة الأولى
 من المعركة .

٤- جعل المشركين (ظاهرياً) في موقف الغالب المنتصر .

فأبو سفيان يعلم أن شيئاً من هذه الأمور الأربعة ماكان ليحدث لولا الغلطة الشنيعة التى ارتكبتها فصيلة الرماة التى انسحبت من مواقعها فى الجبل قبل الوقت المحدد .

فالذى منع أبا سفيان من مهاجمة المدينة (في تلك اللحظة) وجعله لم يغتر بالنصر التي حصل عليه جيشه في الساعات الأخيرة من المعركة، هو يقينه بأن عناصر تحقيق مثل هذا النصر لم تكن موجودة أصلاً في جيش مكة.

وذلك أن هذا النصر إنما جاء نتيجة غلطة ارتكبها بعض الجيش المكى الإسلامي ، ومثل هذه الغلطة غير مضمون تكرارها ليحصل الجيش المكي

على مثلها إذا ماغامر بالهجوم على المدنية ، ولاسيما أن حال هذا الجيش ليس بأحسن من حال جيش المدينة من ناحية الإنهاك والتعب .

إن شبح الهزيمة المرعبة التي انزلها الجيش المدنى (على صغره) بالجيش المكى (على ضخامته) لايزال ماثلاً أمام عين أبى سفيان القائد وهو يعلم علم اليقين أن الرعب والخوف من المسلمين لايزالان يملان قلوب جند المشركين بالرغم من النصر التعبوى المفاجىء غير المتوقع الذي أعطته لهم غلطة رماة المسلمين ، بعد تلك الهزيمة التي أنزلها المسلمون بهم والتي ماكانت تنتهى حتى مكة لولا غلطة الرماة غفر الله لهم .

ولهذا كان أبو سفيان على مايشبه اليقين بأنه لو غامر بمهاجمة المدينة فإن نتيجة هذه المغامرة لن تكون إلا الهزيمة الساحقة ، لان الجيش المدنى سيتصدى للمشركين وسيضربهم داخل المدينة ضربة قد تكون القاضية على سمعة قريش حتى النهاية .

وهكذا فإن أبا سفيان لم يصرف النظر عن مهاجمة المدينة فحسب بل انسحب بطريقة تشبه الفرار ، حيث اجتاز بجيشه الضخم الثقيل أكثر من أربعين ميلاً في يوم واحد وكأنه خاف (إن هو تباطأ في انسحابه ، أو عسكر في مكان قريب من المدينة) أن يجمع المسلمون هؤلاء اشتاتهم ويجبروه على خوض معركة قد يكون النصر فيها حليف هؤلاء المسلمين (الذين بالرغم من انتكاسهم في معركة أحد) قد أوجدوا في نفوس جند مكة عقد خوف مستعصية ، للضراوة المفزعة التي لمسوها منهم في المرحلة الأولى من المعركة ، عندما أبادوا فصيلة كاملة من حملة لواء المشركين ، ثم أنزلوا بهم الهزيمة الساحقة (وبطريقة مذهلة) في أول القتال .

وفعلاً ، فان ماكان قد قدره أبو سفيان وخشى منه قد حدث ، فيعد

أقل من خمس عشرة ساعة من انتهاء القتال في معركة أحد صدرت الأوامر النبوية إلى الجيش الإسلامي (الذي خاض المعركة خاصة) بأن يتحرك لمطاردة جيش مكة الغازى، كما سنفصل ذلك عند حديثنا عن حملة حمراء الأسد في هذا الكتاب إن شاء الله.

النبى يتفقد القتلى والجرحى

وبعد أن تأكد الرسول من إحجام المشركين عن مهاجمة المدينة ، انصرف إلى التحقيق في نتائج المعركة والتعرف على من استشهد من أصحابه .

فخرج وخرج المسلمون معه من معتصمهم في الجبل للنظر في شؤون الضحايا من الشهداء ، وإنقاذ من يمكن إنقاذه من الجرحي ، وتجهيز الذين قضوا نحبهم وإيداعهم مقرهم الأخير .

سعد بن الربيع

وعلى وجه الخصوص أمر النبى الله بالتحقيق في مصير البطل سعد بن الربيع (١) أحد قادة الأنصار المشهورين (أهو في الأحياء أم في الأموات؟؟؟).

فانتدب لهذه المهمة محمد بن مسلمة الأنصارى الذي انطلق إلى حيث احتدمت المعركة لمعرفة مصير سعد بن الربيع .

⁽۱) هو سعد بن الربيع بن عمرو بن أبى زهير الخزرجى الأنصارى ، كان من السابقين الى الإسلام ، شهد إبرام معاهدة العقبة قبل الهجرة بمنى ، وكان أحد الرؤساء الذين تولوا إبرامها عن قومهم ، أخى الرسول صلى الله عليه وسلم بينه وبين عبد الرحمن بن عوف عند=

وبینما هو یتجول فی إنحاء المعرکة إذا به یجد البطل سعد مضرجاً بدمائه ، تنزف جراحه بغزارة (وعلی آخر $\alpha_{(0)}^{(0)}$) .

فانحنى عليه وأخبره بأن الرسول الله بعثه خصيصاً لتفقد حاله ومعرفة مصيره فأبلغه سعد (بصوت لايكاد يسمع) بأنه لم يعد من أهل الدنيا للجراحة الميتة الى أصيب بها ثم لفظ أنفاسه الطاهرة .

هكذا تصنع العقائد الأبطال

والعظيم في الأمر أن آلام النزع لم تنس سعد بن الربيع الاهتمام برسول الله ﷺ والتفكير فيما قد يتعرض له من مكروه .

فإنه (وهو في تلك اللحظات التي يودع فيها الدنيا) لم يفكر في زوجه ولا في أولاده وإنا ظل فكره مشغولاً بمصير الرسول ، فقد أنساه حبه العظيم لنبيه كل شيء (حتى نفسه) وظل حتى فارق الدنيا ، وهو شديد الخوف على النبي عليه وشديد الحرص على أن لايمس بسوء .

ولا أدل على ذلك من أنه قبل أن تصعد روحه إلى باريها ، حمل محمد بن مسلمة إلى رسول الله ﷺ رسالة ملؤها المحبة والإخلاص والوفاء،

⁼ الهجرة ، شهد سعد معركة بدر مع النبى صلى الله عليه وسلم ، كان رضى الله عنه من كرام الصحابة الأوفياء ، أصيب يوم أحد باثنتى عشرة طعنة قاتلة ، وكان أبو بكر الصديق يحبه كثيراً ، روى الطبرانى أن أم سعد بن الربيع دخلت على أبى بكر أيام خلافته فألقى لها ثوبه حتى جلست عليه ، فدخل عمر فسأله ، فقال هذه ابنة من هو خير منى ومنك، قال : ومن هو ياخليفة رسول الله ؟ قال رجل قبض على عهد رسول الله تبوأ مقعدة من الجنة وبقيت أنا وأنت ..

كما حمله (أيضاً) رسالة إلى قومه الأنصار ضمنها التحذير من التهاون في واجب الذَّب عن رسول الله ﷺ وأبلغهم بأن الله لن يقبل لهم عذراً إذا ماتعرض نبيهم لمكروه وفيهم رجل على قيد الحياة ، وبعد أن أملى هاتين الرسالتين فاضت روحه الطاهرة إلى باريها ،

قال ابن إسحاق: وفرغ لقتلاهم ، فقال رسول الله ﷺ: من رجل ينظر لى مافعل سعد بن الربيع ، أفى الأحياء هو أم فى الأموات فقال رجل من الأنصار «قال السهيلى هو محمد بن مسلمة » أنا أنظر لك يارسول الله مافعل سعد .

فنظر فوجده جريحاً وبه رمق ، قال فقلت له إن رسول الله ، أمرنى أن أنظر أفي الأحياء أنت أم في الأموات ؟ .

قال: نعم فى الأموات ، فأبلغ رسول الله عنى السلام ، وقل له .. إن سعد بن الربيع يقول لك جزاك الله عنا خير ماجزى نبياً عن أمته ، وأبلغ قومك (يعنى الأنصار) عنى السلام ، وقل لهم ، إن سعد بن الربيع يقول لكم ، إنه لاعذر لكم عند الله إن خُلِص إلى نبيكم على ومنكم عين تطرف ، قال (محمد بن مسلمة) ثم لم أبرح حتى مات ، قال فجئت رسول الله في فأخبرته خبره (١)

والحقيقة أن جيشاً يكون رجاله على مستوى يقين وإيمان وبسالة سعد بن الربيع ، لايستبعد أن يصنعوا في المعارك مايشبه المعجزات ، ويسجلوا من الانتصارات مايعتبره الجاهلون بأقدار هؤلاء الرجال ، ضرباً من الأساطير التي لاتصدق .

⁽١) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٩٥ ط ، الطبي ١٣٧٥ هـ .

أغيظ موقف يقفه الرسول في حياته

وأثناء تفقد القتلى ، بحث رسول الله تله عن عمه حمزة بن عبد المطلب فوجده ببطن وادى قناة قد مثل به المشركون أشنع تمثيل ، حيث فتحت بطنه وانتزعت كبده من بين جنبيه للتشفى .

فكان منظراً مريعاً لم يكن أوجع منه لقلب رسول الله ﷺ (كما صرح هو بذلك).

فقد كان حمزة رضى الله عنه عم النبى و أخاه فى الرضاعة وكان فوق ذلك كله رجلا يعد بالآلاف فى المعارك ، وكان مثلاً عالياً للشهامة والنجدة والنبل ، وكان عضد رسول الله عندما يستعر لهيب الحرب ، فكان الإسلام (يوم مقتل حمزة) فى أمس الحاجة إلى أمثاله من القادة الشجعان ، لأن الأخطار العسكرية كانت تكتنف الدعوة الإسلامية الناشئة من كل جانب

فكان مصرع حمزة (بحق) يوم ذاك خسارة عسكرية فادحة بالنسبة للمسلمين ، ولم ينل رسول الله تقلق من الحزن مثل ماناله يوم أن وقف على جثمان عمه البطل الشهيد .

قال ابن إسحاق: وخرج رسول الله تقط فيما بلغنى يلتمس حمزة بن عبد المطلب فوجده ببطن الوادى قد بقر بطنه عن كبده ، ومثل به فجدع أنفه وأذناه .

فلما وقف رسول الله على عمه حمزة ورأى مابه من تشويه شنيع، قال: ان أصاب بمثلك أبداً ، ماوقفت موقفاً أغيظ إلى من هذا (١) .

ثم قال النبى الله على قريش فى موطن الأمثان بثلاثين رجلاً منهم - ولما رأى المسلمون مابرسول الله الله من حزن وغيظ على من فعل بعمه مافعل قالوا ، لئن أظفرنا الله بهم يوماً من الدهر (يعنى قريشاً) لنمثان بهم مثلة (٢) لم يمثلها أحد من العرب (٣) .

فأنزل الله في قوله هذا الذي توعد به قريشاً ، قوله تعالى :

﴿ وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ماعوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين ، واصبر وماصبرك إلا بالله ولاتحزن عليهم ولاتك في ضيق مما يمكرون ﴾(٤) .

وبعد نزول هذه الآية عدل رسول الله على عن عزمه الذي اعتزم به التمثيل بقتلي العدو ، ثم عفا وصبر ، بل نهى عن المثلة أيا كانت وفي أي كان .

⁽١) سُيرة ابن هشام ج٢ ص ٩٦ ط الطبي ١٣٧٥ هـ .

⁽٢) المثلة (بضم أوله وسكون ثانية) هنا تشويه جثث القتلى والعبث بها في تشف .

⁽٣) البداية والنهاية ج ٤ مس ٤٠ ،

⁽٤) النحل ١٢٧ ،

إني أخاف على عقلها

وخرجت صفية بنت عبد المطلب (٢) (عمة رسول الله وشقيقة حمزة الشهيد) تطلب أخاها ، وقد بلغها مانزل به ، وكان رسول الله علله علم حبها العظيم الشقيقها حمزة رضى الله عنه ، ولذلك خشى على عقلها أن يزول إن هي رأت مابجثة أخيها من التشوية الفظيع والمثلة الشنيعة ، فطلب من ابنها (الزبير بن العوام) أن يعمل على إرجاعها الى المدينة ، لئلا ترى ماحل بأخيها .

فالتقى بها ابنها الزبير ، وقال لها ... يا أمه .. إن رسول الله ، يا مُرك أن ترجعي .

فقالت .. ولم ؟؟ وقد بلغنى أنه مثل بأخى ؟ وذلك فى الله ، فما أرضانا بما كان من ذلك ، لأحتسبن ولأصبرن إن شاء الله تعالى ، فرجع الزبير فأخبره بما قالت صفية ، فقال خل سبيلها ، فاتجهت نحو النبى فلما رآها قال .. إنى أخاف على عقلها (٣) (لما يعلم من حبها الشديد لشقيقها حمزة)، فلما جاحه فلم فضع يده على صدرها (وهى عمته) ودعا لنا فاسترجعت ويكت.

وكان ابنها الزبير بن العوام يحاول الحيلولة بينها وبين رؤية أخيها ، رحمة بها ، لأنها قد كبرت وأسنت واكنها قالت ، لا أرجع حتى أنظر إليه ،

⁽۱) سيرة ابن هشام ج ۲ ص ٩٦ ،

⁽٢) تقدمت ترجمتها رضى الله عنها في أول هذا الكتاب ،

⁽٣) السيرة الطبية ج ٢ ص ٤٠ ط الطبي عام ١٣٤٩ هـ

فلما سمح لها النبى الله بالنظر إلى جثمان أخيها حمزة ، رأت منظراً مريعاً تتفتت له الأكباد ، رأت أخاها الشاب اليافع البطل معفراً بالتراب ، قد فتحت يد الحقد الوثنى بطنه وجدعت أنفه وأذنه ، ففاضت عيناه بالدموع ، فبكت وأبكت ، واستغفرت لأخيها (في هدوء المؤمن وثبات المسلم) ثم انصرفت ، وكان الله يبكى لبكائها .

قال ابن مسعود: مارأينا رسول الله تله باكياً أشد من بكائه على حمزة (رضى الله عنه) وضعه في القبلة ثم وقف على جنازته وانتحب حتى نشق (أي شهق) حتى بلغ به الغشى (١).

كيف دفن المسلمون قتلاهم ؟

ثم أمر الرسول ﷺ بدفن الشهداء ، وجاء فى السيرة النبوية لابن هشام (٢) أن النبى ﷺ أمر بحمزة بن عبد المطلب فسجى ببردة ، ثم صلى عليه فكبر عليه سبع تكبيرات ، ثم أتى بالقتلى فيضعون إلى حمزة ، فصلى عليه معهم حتى صلى عليه اثنتين وسبعين صلاة .

ولكن الصحيح الذي عليه أهل العلم من الفقهاء والمفسرين وأهل الحديث أن النبي الله لم يصل على شهيد معركة أبداً ، لا في أحد ولا في غيرها من المعارك ، وإنما كان يأمر بدفن الشهداء بثياب المعركة (دونما غسل أو صلاة) .

⁽١) السيرة الطبية ج٢ ص ٤٠

⁽٢) السيرة الطبية ج ٢ م ٩٧

دفن الشهداء دونما غسل أو صلاة

قال الإمام الشافعي رضى الله عنه ، جاءت الأخبار كأنها عيان (من وجوه متواترة) أن النبي الله عنه على قتلى أحد ، وماروى أنه صلى عليهم وكبر على حمزة سبعين تكبيره لم يصح ، وثبت في صحيح البخارى أن النبي الله أمر بدفن شهداء أحد بدمائهم ، ولم يصل عليهم ولم يغسلوا .

وقد أمر الرسول بأن يكفن الشهداء في ثياب المعركة (١) فكفنوا فيها بعد أن نزع ماعليهم من حديد وجلود،

وكفن حمزة بن عبد المطلب بنمرة كانت له ، فكانوا إذا مدوها على رأسه انكشفت رأسه ، فمدوها على رأسه وجعلوا على رجليه الحرمل تكميلاً لتكفينه (٢) ،

دفن أكثر من شهيد في قبر واحد .

وقد دفن مع حمزة بن عبد المطلب (في قبر واحد) عبد الله ابن $= -\infty$

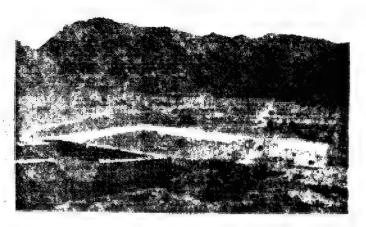
وعلي طريق الخصوص أمر الرسول ﷺ بأن يدفن عمرو

⁽١) البداية والنهاية ج ٤ مس ٤٢ .

⁽٢) السيرة الحلبية .

⁽٣) وذلك أن أم عبد الله بن جحش ، هى أميمة بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخت حمزة ، وكان الذى قتل عبد الله بن جحش يوم أحد أبو الحكم بن الأخنس ابن شريق (الذى قاد أبوه المعارضة الأولى لأبى جهل فى حرب بدر ، ورجع بقبيلة بنى زهرة إلى مكة من رابغ فلم يشهد أحد منهم معركة بدر) وقد قتل أبو الحكم هذا كافراً يوم أحد .

ابن الجموح ^(۱) وعبد الله بن عمرو بن حرام ^(۲) في قبر واحد وقال .. فإنهما كانا متصافيين في الدنيا فاجعلوهما في قبر واحد .



أخذنا هذه الصورة من على قمة جبل الرماة البارز منه جانب أسفل الصورة ، والجانب المشار إليه بالسهم هو الذي اعتصم به الرسول صلى الله عليه وسلم بعد الانتكاسة ، وقد ظهرت مقبرة الشهداء في فم الشعب ، ويقع وسطها (حيث الواقفون) قبر سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب وعبد الله بن جحش رضى الله عنه .

⁽۱) هو عمرو بن الجموح (بفتح أوله وضع ثانيه) بن زيد بن حرام السلمى الأنصارى سيد من سادات الانصار ، قال بن الكلبى : كان عمرو بن الجموح آخر الأنصار إسلاماً ، وكان شريفاً في قومه مشهوراً بالكرم ، وهو الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم لأحد الأنصار (بل سيدكم الأبيض الجعد عمرو بن الجموح) كان ابن الجموح أعرج شديد العرج ، وقد ذِكرنا طرفاً عن تاريخه في صلب هذا الكتاب

⁽Y) هو عبد الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة الأنصارى الخزرجى السلمى والدجابر بن عبد الله الصحابى المشهور ، كان عبد الله هذا من السابقين في الإسلام ، شهد بيعة العقبة وكان أحد النقباء الذين تولوا إبرامها مع النبى عن قومهم . شهد بدراً ، وهو الذي حاول نصح فرقة عبد الله بن أبى من المنافقين الذين تمردوا ورجعوا إلى المدينة والنبى صلى الله عليه وسلم لما يزل في طريقه إلى أحد ، وفي عبد الله بن عمرو هذا قال النبى صلى الله عليه وسلم لما قتل يوم أحد (مازالت الملائكة تظلله بأجنحتها) .

ودفن خارجة بن زيد (1) وسعد بن الربيع (1) في قبر واحد ، كما دفن النعمان بن مالك (1) وعبد بني الحسحاس (1) في قبر واحد .

وكان ﷺ يشهد عملية الدفن ، وكان يقول: احفروا وأوسعوا ، واجعلوا الرجلين والثلاثة في القبر الواحد) وكان يقول: (انظروا أكثر هؤلاء جمعاً للقرآن فاجعلوه أمام أصحابه في القبر).

النبى يأمر بإعادة القتلى من المدينة

وقد بلغ الرسول ﷺ أنا أناساً احتملوا قتلاهم الى المدينة لدفنهم فيها ، فأصدر أمره بإعادة هؤلاء القتلى وأمر بأن يدفنوا حيث قتلوا .

وأرسل الرسول ﷺ مندوباً حاصاً إلى المدينة ، فنادى (بأمر الرسول) ربوا القتلى إلى مضاجعهم ، فوجدوهم قد دفنوا جميعهم إلا واحداً لم يدفن ، فأعادوه فدفن في مكان المعركة .

⁽۱) هو خارجة بن زيد بن أبى زهير الانصارى الخزرجى ، صحابى جليل شهد بدراً ، وهو صهر أبى بكر الصديق ، تزوج أبو بكر أبنته ومات عنها وهى حامل ، يعتبر خارجة هذا فى عداد الأبطال المحاربين ، أخذته الرماح يوم أحد فجرح بضعة عشر جرحاً ، فمر به صفوان بن أمية فعرفه فأجهز عليه ثم قال الآن شفيت نفسى حين قتلت الأماثل من أصحاب محمد ، قتلت خارجة بن زيد وقتلت أوس بن أرقم وقتلت أبا نوفل .

⁽٢) تقدمت ترجمته ،

⁽٣) هو النعمان بن مالك بن ثعلبة الأنصارى الخزرجى صحابى جليل شهد بدراً ، وهو الذى قال لرسول الله .. والله لأدخلن الجنة ، فقال له (بم ؟) قال بإنى أشهد أن لاإله إلا الله وأنك رسول الله وإنى لا أفر من الزحف ، فقال صدقت

⁽٤) لم أقف على ترجمة له.

وروى الإمام أحمد أن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال: استشهد أبى بأحد فأرسلنى أخواتى إليه بناضح لهن فقلن ، اذهب فاحتمل أباك على هذا الجمل ، فادفنه فى مقبرة بنى سلمة ، فقال فجئته وأعوان لى فبلغ نبى الله وهو جالس بأحد ، فدعانى .. فقال ، والذى نفسى بيده لايدفن إلا مع إخوانه فدفن مع أصحابه بأحد .

وعن جابر أيضاً ، قال بينما أنا فى الناظرين ، إذ جات عمتى بأبى وخالى – عادلتهما على ناضح – فدخلت بهما المدينة لتدفنهما فى مقابرنا ، إذ لحق رجل ينادى .. ألا إن النبى تلك يأمركم أن ترجعوا بالقتلى فتدفنوها فى مصارعها حيث قتلت ، فرجعنا بهما فدفناهما حيث قتلا(١)

وبهذا استدل أهل العمل على تحريم نقل الميت ليدفن في المنطقة التي لم يمت فيها .

الأرض لاتأكل جسد الشهيد في الله

وقد شهد الرسول ﷺ بأن الشهداء يبعثون يوم القيامة على الحالة التي دفنوا عليها من غير تغيير.

قال ابن إسحاق ، لما أشرف رسول اللله على القتلى يوم أحد قال .. أنا شهيد على هؤلاء ، إنه مامن جريح في الله إلا والله يبعثه يوم القيامة يدمى جرحه .. اللون لون دم والريح ريح مسك (٢) .

⁽١) البداية والنهاية ج ٤ ص ٤٣ .

⁽۲) سیرة ابن هشام ج ۲ ص ۹۸ .

وقد حدث (عملياً) مايصدق حديث النبى الأعظم الذي لاينطق عن الهوى .

فقد روى أبو داود والنسائى والترمذى عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه أنه قال .. فبينا أنا فى خلافة معاوية (١) بن أبى سفيان ، إذ جائنى رجل فقال ياجابر بن عبد الله والله لقد أثار أباك عمّال معاوية فبدا فخرج طائفة منه ، فأتيته فوجدته على النحو الذى دفنته لم يتغير .

وروى البيهقى عن جابر أيضاً ، أنه قال لما أجرى معاوية العين عند قتلى أحد بعد أربعين سنة ، استصرخناهم إليهم ، فأتيناهم فأخرجناهم فأصابت المسحاة قدم حمزة (بن عبد المطلب) فانبعث دماً ، وفى رواية ابن إسحاق ، فأخرجناهم كأنما دفنوا بالأمس .

وفى رواية الواقدى عن جابر أيضاً .. فحفرنا عنهم فوجدت أبى فى قبره كأنما هو نائم على هيئته ووجدنا جاره فى قبره عمرو بن الجموح ويده على جرحه فأزيلت عنه فانبعث جرحه دماً ، ويقال إنه فاح من قبورهم مثل ريح المسك (رضى الله عنهم وأرضاهم) وذلك بعد ست وأربعين سنة من يوم دفنوا .

دعاء الرسول بعد المعركة

وبعد أن فرغ المسلمون من دفن قتلاهم ، واعتزم الرسول ، أ الرجوع بجيشه إلى المدينة ، وقف عليه الصلاة والسلام على فرسه بأصل جبل أحد ، وأمر المسلمين أن يصطفوا ، فاصطفوا من خلفه وعامتهم جرحى ، واصطف خلفهم النساء وهن أربع عشرة امرأة ثم قال ،

⁽١) تقدمت ترجمته في كتابنا (غزوة بدر الكبرى) .

استووا حتى أثنى على ربي ، فاستووا ، فقال .. اللهم لك الحمد لاقابض لما بسطت ولاباسط لما قبضت ولاهادى لمن أضللت ، ولامضل لمن هديت ، ولامعطى لما منعت ولامانع لما أعطيت ، ولامقرب لما باعدت ، ولامباعد لما قربت .

اللهم ابسط علينا من بركاتك ورحمتك وفضلك ورزقك ، اللهم إنى أسالك النعيم يوم العيلة والامن يوم الخوف ، اللهم إنى عائذ بك من شر ما عطيتنا ومن شر مامنعت منا ، اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه فى قلوبنا وكرّه إلينا الكفر والفسوق والعصيان واجعلنا من الراشدين ، اللهم توفنا مسلمين وأحينا مسلمين ، وألحقنا بالصالحين غير خزايا ولامفتونين ، اللهم قاتل الكفرة الذين يكذبون رسلك ويصدون عن سبيلك واجعل عليهم رجزك وعذابك ، اللهم قاتل الكفرة الذين أوتوا الكتاب ، إله الحق (١) .

الرسول يتحدث عن مقام الشهداء

وقد تحدث الرسول ﷺ عن مقام الشهداء الذين يسقطون صرعى في سبيل الله ، ودرجتهم العظيمة عند الله ، فقد روى عن ابن عباس رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال :

لما أصيب إخوانك بأحد جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر، ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها، وتأوى إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش، فلما وجدوا طيب مشربهم ومأكهلم وحسن مقيلهم قالوا ياليت إخواننا يعلمون ماصنع الله بنا لئلا يزهدوا في الجهاد ولاينكلوا عن الحرب، فقال الله عز وجل:

⁽١) رواه البخاري في الأدب المفرد وأحمد في مسنده .

أنا أبلغهم عنكم .. فأنزل الله تعالى على رسوله هذه الآية :

﴿ ولاتحسب الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون،
فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من
خلفهم ، ألا خوف عليهم ولاهم يحزنون ، يستبشرون بنعمة من الله وفضل
وأن الله لايضيع أجر المؤمنين ﴾ (١) .

مصير قتلى الوطنية المجردة

ذلك هو مصير شهداء الإسلام الذين قاتلوا لتكون كلمة الله هي العليا، أما غيرهم ممن يقتل خارج نطاق العقيدة الإسلامية وفي غير سبيل نصرتها ، فإن مصيره في الآخرة علي عكس مصير شهداء الإسلام حتى وإن قتل في جيش يقوده النبي على وخلف لواء يعقده الرسول .

فهذان رجلان من أهل المدينة قاتلا مع النبي يوم أحد وتحت رايته قتال الأبطال ، ولكنهما كان (بالرغم من ذلك) من أهل النار .

والسبب في ذلك انهما لم يقاتلا على عقيدة الإسلام ، وإنما كان قتالاً وطنياً قومياً فحسب ، فقد كان اشتراكهما في القتال حمية لقومهما ودفاعاً عن وطنهما المدينة لاغير .

هذان الرجلان ، إحداهما من عرب المدينة يقال له قزمان (بضم أوله وسكون ثانيه) فقد كان من شجعان المدينة المشهورين ، لما اعتزم المسلمون

⁽١) الآيات ١٦٩ – ١٧٠ – ١٧١ ، آل عمران .



ملاقاة المشركين في أحد خرج قزمان مع المسلمين، وقاتل معهم قتال الأبطال، فكان من أشد الناس على مشركي مكة، حتى إنه قتل وحده يوم أحد عشرة من المشركين، من بينهم خمسة من فرسان بني عبد الدار (حملة لواء الجيش المكي).

يهودي في صفوف المسلمين

أما الثاني فهو عربي الأصل يهودي الدين (من يهود بني ثعلبة) واسمه مخيريق.

كان ميخريق هذا يرى أنه من الواجب على اليهود القتال فى جانب النبى للدفاع عن المدينة تنفيذاً للمعاهدة المبرمة بين النبى وبين اليهود (١) والتى بموجبها يلزم اليهود بمقاتلة من دهم يثرب مع المسلمين .

فقد دعا مخيريق اليهود إلي حمل السلاح للقتال مع المسلمين يوم أحد ، واكنهم اعتذروا بأن ذلك اليوم هو يوم السبت وأنهم لايقاتلون فيه .

فلم يقبل منهم مخيريق هذا العذر وقال لهم: (لا سبت لكم اليوم) ثم حمل سلاحه وقاتل في جانب المسلمين حتى قتل ، كما سنفصل ذلك فيما يلى إن شاء الله .

⁽١) انظر بعض بنود هذه المعاهدة في الصفحات الأولى من هذا الكتاب

شجاعة قزمان المنافق

أما قزمان فقد ذكر ابن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة قال : كان عندنا رجل غريب لاندرى ممن هو يقال له قزمان ، وكان ذا بأس وقوة، وكان رسول الله ﷺ إذا ذكر له يقول : إنه من أهل النار .

فلما كان يوم أحد قاتل قزمان قتالاً شديداً ، ويقال إنه أول من رمى من جانب المسلمين بسهم في المعركة وكان يرمى النبال كأنها الرمال ، ثم فعل بالسيف الأفاعيل .

وذكر أنه (عند احتدام المعركة) كان يكت كتيت الجمل الفحل ولقد لقى المشركون منه الأهوال.

القومى غير الدينى

وذكر ابن الأثير في الكامل أن قزمان هذا قد جرح جراحات كثيرة في المعركة يوم أحد فحمل إلي داره بالمدينة وكان المسلمون يفدون عليه ويقولون ، أبشر قزمان ، فيقول لهم بم أبشر ؟؟ وأنا ماقاتلت إلا عن أحساب قومي (أي على شرفهم ومفاخرهم) ، وفي رواية أن قتادة رضي الله عنه قال لقزمان ، هنيئاً لك الشهادة يا أبا الغيداق ، فقال : إني والله ماقاتلت ياأبا عمرو على دين (١) ماقاتلت إلا على الحفاظ أن تسير الينا

⁽۱) وعقيدة قرمان هذا ، هي عقيدة القوميين العلمانيين غير الدينيين الذين يرون أنه من الرجعية والطائفية التزام الكفاح في سبيل الإسلام أو باسمه ، بل إنهم ليحاربون كل من يدعو إلى الإسلام ليتخذ المسلمون منه (في الوطن العربي) ديناً وبولة ، ويستنكرون (حتى محاربة المستعمرين باسم الإسلام ومع هذا يدعى البعض منهم أنه مسلم ، بل لايخجل (مع هذا) أن يشبه نفسه بصلاح الدين الأيوبي وأمثاله من قادة الأمة الإسلامية المجيدة ، =

قريش حتى تطأ أرضنا ، قالوا : ولما اشتدت على قزمان جراحه مات منتحراً ، حيث أخذ سهماً من كنانته فقطع به رواهشه (١) فنزف منه الدم حتى مات .

أشهد أنك رسول الله

ولما مات قزمان الشجاع على هذه الصورة جاء رجل إلي النبى الله على هذه الصورة جاء رجل إلي النبى الله وقال أشهد أنك رسول الله ، فقال وماذاك ؟؟ قال : الرجل الذي ذكرت آنفاً أنه من أصحاب النار فعل كذا وكذا (عند موته) وذكر قصة قزمان .

وقد حدثت مثل حادثة قزمان هذا حادثة لرجل آخر يوم خيبر ، قاتل في جانب المسلمين حتى قتل ، ولكن قتاله لم يكن على الإسلام وإنما كان قتالاً وطنياً قومياً مجرداً (كقتال قزمان المنافق) وعندها أمر رسول الله عنادى في الناس: « إنه لايدخل الجنة إلا نفس مسلمة وأن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر» ، روى هذه الحادثة أحمد في مسنده عن أبي هريرة .

وفى مثل هؤلاء القوميين غير الدينيين ، سئل رسول الله عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياء أى ذلك فى سبيل الله ، فقال من يقاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله (١).

⁼ فهل تظن أن مصير هؤلاء عند الله أحسن من مصير قزمان؟ .

⁽١) الرواهش عروق باطن الذراع ومنها الشريان ،

⁽٢) السيرة الطبية ٢ ص ٣٣ .

مخيريق خير يهود

أما اليهودى العربي الذي قاتل في جانب رسول الله صلى على على الله على الذي قتل فقد ذكر قصته ابن حزم في كتابه (جوامع السيرة) فقال:

وكان مخيريق (أحد يهود بنى تعلبة) (١) من اليهود فدعا مخيريق إلى نصر رسول الله الله وقال لهم ، والله إنكم لتعلمون أن نصر محمد عليكم حق واجب ، فقالوا له ، إن اليوم السبت ، فقال ، لاسبت لكم ثم أخذ سلاحه ولحق برسول الله تله فقاتل حتى قتل .

وقال ابن كثير (فى البداية والنهاية) إن النبى الله لم المعه مقتل مخيريق (فى جانب المسلمين) قال: مخيريق خير يهود ، وقد أوصى مخيريق هذا قائلاً:

إن أصبت (أى قتلت) فمالى لمحمد يصنع فيه ماشاء ، وذكر السهيلى أن رسول الله تلك جعل أموال مخيريق اليهودى (بعد قتله) (وكانت سبعة بساتين) أوقافاً بالمدينة لله ، ويقال إنهاأول أوقاف بالمدينة .

ومما يلاحظ وينبغى الوقوف عنده أن هذا العربى المنافق . (قزمان) واليهودى العربى (مخيريق) بالرغم من أنهما قاتلا ببسالة وشجاعة فى جانب المسلمين حتى قتلا ، فإن النبى الله لم يعتبرهما من الشهداء ولم يذكر أحد المؤرخين واحدا منهما فى عدد الشهداء الذين استشهدوا يوم أحد ، وفى هذه عبرة وموعظة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

⁽١) في الأنصار قبيلتان يقال لهما بنو ثعلبة ، أحداهما من الأوس وهم بنو ثعلبة ابن عمرو ابن عوف ، والأخرى من الخزرج يقال لهم بنو ثعلبة بن عمرو بن الخزرج ،

المفارقات العجبية

ومن عجائب المفارقات أن رجلاً من بنى عبد الاشهل يقال له الأصيرم، كان شديد النفور من الإسلام، وكان يعيب قومه على اتباع محمد، وظل مشركاً غير مقتنع برسالة النبى، حتى كان يوم أحد، إذ أدركته هداية الله فحمل سلاحه صبيحة ذلك اليوم العظيم واتجه إلى المعركة (دون أن يعلم أحد بحقيقة أمره) فقاتل في جانب النبى قتالاً مريراً حتى الثبتة الجراحة فمات ودخل الجنة دون أن يصلى أو يصوم.

وذكر ابن برهان الدين في السيرة الحلبية أن الأصيرم (وأسمه عمر ابن ثابت بن وقش) كان يأبي الإسلام على قومه بنى عبد الأشهل ، فلما كان يوم خرج النبي عليه إلى أحد جاء إلى المدينة فسأل عن قومه فقيل له بأحد ، فبدا له في الإسلام (أي رغب فيه فأسلم) ثم أخذ سيفه ورمحه ولأمته واتجه نحو أحد .

وذكر ابن كثير في تاريخه أن الصيرم كان يأبي الإسلام على قومه حتى يوم أحد حيث بدا له فأسلم ثم أخذ سيفه فغدا حتى دخل في عُرض الناس فقاتل حتى أثبتته الجراحة ، قال فبينما رجال من بنى عبد الأشهل يلتمسون قتلاهم في المعركة إذا هم به ، فقالوا والله إن هذا للأصيرم ماجاء به ؟؟ لقد تركناه وإنه لمنكر هذا الحديث (يعنى الإسلام) فسألوه ، فقالوا ماجاء بك ياعمرو ؟؟ أحدب على قومك أو رغبة في الإسلام ؟ فقال بل رغبة في الإسلام آمنت بالله ورسوله وأسلمت ثم أخذت سيفي وغدوت مع رسول الله شخ فقاتلت حتى أصابني ماأصابني ، فلم يلبث أن مات في أيديهم ، فذكروه لرسول الله شخ فقال (إنه لمن أهل الجنة)، فكان أبو هريرة

يقول (في حق الأصيرم هذا) حدثوني عن رجل دخل الجنة ولم يصل.

وعلى هذين النقيضين (الأصيرم وقزمان) ينطبق قول النبى ﷺ، إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار ، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة .

فقزمان كان (فيما يبدو للناس مسلماً) حيث قاتل في جانب النبى يوم أحد قتال الأبطال فكان الناس يظنونه من أهل الجنة مات شهيداً على عقيدة الإسلام وفي سبيلها ، بينما هو في الحقيقة عكس ذلك لم يقاتل على دين وإنما قاتل حمية ودفاعاً عن أحساب قومه فحسب ، فظهرت حقيقته عندما أشرف على الموت ، إذ اعترف بأنه لم يقاتل من أجل الإسلام وإنما قاتل قتالاً وطنياً مجرداً فاستحق بذلك النار لأنه قاتل على غير عقيدة دينية .

وهذا هو (دائماً وأبداً) مصير كل قتيل من المنتسبين إلى الإسلام يُخرج أثناء قتاله (من حسابه) عقيدة الإسلام فيرفض القتال باسمها وتحت لوائها ، ولايتحرج من التشنيع على الذين يدعون إلى أنه من الضرورى ربط كل كفاح أو جهاد في الوطن الإسلامي بعقيدة الإسلام .. نعم إن كل منتسب إلى الإسلام هذا شأنه فإن مصيره إلى النارحتي وإن قتل بسلاح أعداء الإسلام ، لأنه لا فرق بينه وبين هؤلاء الأعداء مادام أنه على هذه الدرجة من رفض عقيدة الإسلام ومحاربة الداعين إليها ومقاومة المنادين بالجهاد في سبيلها وتحت رايتها .

أما الأصيرم، فقد كان على العكس – فيما يبدوا للناس – مشركاً، فقاتل في جانب النبى دون أن يعلم أحد حقيقة أمرة حتى ساعة وفاته، فكان الناس يظنونه مشركاً، قاتل مع أهل المدينة دفاعاً عن أحساب قومه فحسب، بينما هو في الحقيقة مسلم قاتل على الإسلام وفي سبيله، وظهرت حقيقته وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة، فاستحق بذلك الجنة لأنه قاتل حتى قتل، على عقيدة دينية يرضاها الله ورسوله.

وهكذا فإنه كثير مايكون ظاهر الامر خلافاً لباطنه ، نسأل الله تعالى أن يختم لنا جميعاً بالحسنى وأن يجعل خير أيامنا يوم لقائه إنه على كل شيء قدير .

القصل السابع

- * عودة الجيش الإسلامي من أحد .
 - * حالة الطواريء في المدينة .
 - * المطاردة غداة المعركة .
 - * حملة حمراء الأسد .
 - * نكول المشركين عن الحرب .

عودة الجيش الإسلامي إلى المدينة

وبعد أن فرغ المسلمون من دفن قتلاهم فى منطقة أحد ، أمر الرسول على المسلمون جرحاهم ، ثم تحرك نحو المدينة فاحتمل المسلمون جرحاهم ، ثم تحرك الجيش النبوى يقدمه الرسول على بينما أحاطه من كل جانب كبار قادة المهاجرين والأنصار .

وفى طريق عودة النبى الله المعركة إلى المدينة حدثت حادثة تجلى فيها حب المسلمين الصادق لرسول الله الله الحب الذي يقصر يونه حب الزوج والابن والأب والأخ.

فقد خرج الناس من المدينة للاستفسار عن نبيهم ونويهم المشتركين في المعركة .. وقد كانت من بينهم امرأة من بني دينار (١) قتل يوم (أحد) أبوها وزوجها وأخوها وابنها ، فلما نعوا لها لم تكترث كثيراً ، فقد أنساها قلقها على حياة الرسول على كل أحد ، ولهذا قالت بعد أن نُعى لها أبوها وابنها وأخوها وزوجها (في لهفة) مافعل رسول الله؟

⁽١) لم أعثر على اسمها في شيء من المراجع التي تحت يدى

قالواخيراً ياأم فلان هو بحمد الله كما تحبين ، قالت (ليزول ماعلق بقلبها من قلق عليه نهائياً): أرونيه حتى أنظر إليه ، فلما رأته سالماً قالت (مشيرة إلى مصيبتها بفقد أبيها وزوجها وابنها وأخيها): « كل مصيبة بعدكجل»(١).

وفى رواية أن الدينارية هذه جات إلى مصارع القوم فى المعركة فمرت بأبيها وابنها وأخيها وزوجها صرعى ، وصارت كلما سألت عن واحد وقالت من هذا قيل لها:

هذا أبوك وابنك وزوجك وأخوك، فلم تكترث ، بل صارت تقول (والقلق يتناولها): مافعل رسول الله ؟؟.

فيقولون ، أمامك حتى جاحه وأخذت بناحية ثوبه ثم جعلت تقول : $\dot{}$, \dot

إن زوج المرأة لبمكان

وفى طريق عودة الجيش إلى المدينة التقى النبى ﷺ ببنت عمته (حمنة بنت جحش) (٢) فقال لها (معزياً في مصابها) احتسبي .

فقالت من يارسول الله ؟؟.

⁽١) تريد صغيرة ، قال ابن هشام ، الجلل يكون من القليل ومن الكثير .

⁽٢) السيرة الطبية ج٢ ص ٤٤ .

⁽٣) هي حمنة بنت جحش الأسدية ، كانت زوج مصعب بن عمير العبدري (حامل لواء المسلمين يوم أحد) فلما استشهد تزوجها طلحة بن عبيد الله ، أمها وأم أختها زينب زوجة الرسول صلى الله عليه وسلم) أميمة بنت عبد المطلب ، كانت حمنة من المبايعات ، وكانت (كما قال في الإصابة تسقى العطشي وتحمل الجرحي وتداويهم ، قال ابن سعد أطعمها رسول الله صلى =

فقال ، خالك حمزة ،

قالت ، إنا لله وإنا إليه راجعون ، غفر الله له، هنيئاً له الشهادة .

فقال لها ... احتسبي .

فقالت من ، بارسول الله ؟؟.

قال أخاك عبد الله بن جحش ^(١) .

قالت إنا لله وإنا إليه راجعون ، غفر الله له ، هنيئاً له الشهادة ، ثم قال لها احتسبى .

فقالت من يارسول الله ؟؟.

فقال لها زوجك مصعب بن عمير .

فقالت . . واحزناه ، وصاحت وواوات ،

فقال رسول الله ﷺ .. إن زوج المرأة لبمكان ما هو الأحد ، لما رأى من تثبتها على أخيها وخالها ، وصباحها على زوجها ،

ثم قال لها (بعد أن توات) .. لم قلت هذا ؟.

قالت تذكرت يتم بنيه ، فراعنى ، فدعا لها النبى ﷺ ولولدها أن يحسن عليهم الخلف ، فتزوجت طلحة بن عبيد الله رضى الله عنه – وكان

⁼ الله طيه وسلم من خيبر ثلاثين وسقاً ، وهي والدة محمد بن أبي طلحة العابد المشهور بالسجاد ، روت حديثاً واحداً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

⁽١) تقدمت ترجمته في كتابنا (غزوة بدر الكبرى).

من كبار أغنياء الصحابة – فكان أوصل الناس لولدها وأبرهم بهم.

أم سعد بن معاذ

وقبل أن يدخل الرسول ﷺ المدينة ، جاءت أم سعد بن معاذ (سيد الأنصار) تعدو نحو رسول الله ﷺ وهو على فرسه وسعد آخذ بلجامها .

فقال سعد يارسول الله .. أمى .. فقال مرحباً بها ، فوقف لها ، فلما دنت من رسول الله ﷺ عزّاها بابنها عمرين معاذ^(١) .

ثم دعا رسول الله ﷺ لأهل من قتل بأحد ، وقال لأم سعد : يأم سعد أبشرى وبشرى أهلهم أن قتلاهم ترافقوا في الجنة جميعاً ، وقد شفعوا في أهلهم جميعاً .

قالت رضينا يارسول الله .. ومن يبكى عليهم بعد هذا ؟؟.. ثم قالت.. يارسول الله ، ادع لمن خلفوا منهم ، فقال ﷺ : « اللهم أذهب حزن قلوبهم واجبر مصيبتهم وأحسن الخلف على من خلفوا » (٢) .

جيش النبى يدخل المدينة

وفي مساء ذلك اليوم ، يوم معركة أحد ، وهو اليوم الخامس عشر من

⁽۱) هو عمر بن معاذ بن النعمان بن امرىء القيس الأوسى الأنصارى - أخو سعد بن معاذ - صحابى جليل ، شهد بدراً ، قتله يوم أحد ضرار بن الخطاب ، وقال ضرار (حين طعنه فأنفذه) لاتعدمن رجلا ، يزوجك من الحور العين ، قالها ضرار (استهزاء) وذلك قبل أن يسلم، استشهد عمرو وهو في شرخ الشباب ، ابن اثنتين وثلاثين سنة رضى الله عنه .

^{´ (}٢) السير الطبية ج ٢ مس ٤٧

شهر شوال عام ثلاثة من الهجرة ، دخل الرسول الله المدينة عائداً بجيشه من أحد . تحيط به هيئة أركانه وعامة جيشه.

ويظهر أن ألم الجراح التى أصيب بها الرسول الله فى معركة أحد قد اشتد عليه بعد وصوله إلى المدينة يدل على ذلك أن الرسول ، عندما وصل إلى بيته ، سارع إليه السعدان (سعد بن معاذ وسعد بن عبادة) فاحتملاه ثم أنزلاه من على فرسه ، ثم سار متكئاً عليهما حتى دخل بيته (۱).

غسل السيوف من الدم

ولما انتهي رسول الله إلى بيته تلك ناول سيفه ابنته فاطمة فقال: (اغسلى عن هذا دمه يابنية فو الله لقد صدقنى في هذا اليوم (٢).

وكذلك جاء على بن أبى طالب رضى الله عنه بسيفه قد انحنى من شدة الجلاد يوم أحد فأعطاه لزوجته فاطمة الزهراء قائلاً ، هاك السيف حميداً ، فإنه قد شفانى ، فقال رسول الله تلك .

لئن كنت قد أُجدت الضرب بسيفك فقد أجاده سهل بن حنيف وأبو دجانة وعاصم بن ثابت (٣) والحارث بن الصمة ،

وفيما حدث للمسلمين من امتحان يوم أحد ، قال النبي لعلى بن أبي

⁽١) السيرة الطبية أيضاً ج ٢ ص ٤٧ .

 ⁽۲) البداية والنهاية ج ٤ ص ٤٧ .

⁽٣) تقدمت ترجمته في كتابنا (غزوة بدر الكبرى).

طالب: لايصيب المشركون منا مثلها حتى يفتح الله علينا ، وفعلاً فبعد معركة أحد لم تنتكس للنبي راية حتى لقى ربه .

كيف تلقت المدينة نبأ الكارثة ؟

قبل سنة تماماً من معركة أحد كانت مكة تخيم عليها سحابة من الحزن العميق ، فقد تلقت على أيدى المسلمين (في معركة بدر) ضربة موجعة مذهلة مزلزلة ، حيث فقدت يوم ذاك سبعين قتيلاً فيهم الكثير من قادتها وأشرافها كما أصاب الذل والهوان سبعين محارباً من أبناء مكة وقعوا في أسر المسلمين يوم بدر ، فكان (يوم ذاك) أول فاجعة من نوعها تصاب بها مكة في تاريخها .

ويشاء الله أن يمتحن المسلمين بعد سنة من هزيمة المشركين في بدر، وكان الامتحان والاختبار هو ماأصابهم في معركة أحد .

ومن عجائب صنع الله أن عدد القتلى الذين خسرهم المسلمون في معركة أحد هو نفس العدد الذي خسره المشركون (قبل سنة في معركة بدر) إلا أنه لم يقع أحد من المسلمين في أسر المشركين يوم أحد ، بينما وقع سبعون أسيراً من أهل مكة في أيدي المسلمين يوم بدر ، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذل بقوله : ﴿ أو لما أصابتكم مصيبة ﴾ يعنى سبعين قتيلاً في أحد ﴿ قد أصبتم مثليها ﴾ يعنى قتل سبعين مشركاً وأسر سبعين في بدر ﴿ قلتم أنّى هذا ﴾ (١)

⁽١) أية ١٦٥ أل عمران .

وقد كانت كارثة المدينة كارثة كبيرة موجعة (يونما شك) . إلا أن الفرق كان شاسعاً بين مكة والمدينة في تلقى كل منهما خبر كارثته .

فإن مشركى مكة إذا كانوا قد تلقوا نبأ كارثتهم فى بدر بشىء من الانهيار والاضطراب والهلع ، فإن المدينة قد تلقت نبأ كارثتها فى أحد بصبر وإيمان وثبات وشجاعة منقطعة النظير .

فلم يظهر على احد من أهلها أى أثر للهلع أو الاضطراب والانهيار والتخاذل ، لما أصاب جيشها في أحد .

ولا أدل على ذلك من أن أمرأة مسلمة فقدت ابنها وزوجها وأخاها وأباها في معركة أحد فلم تذهل ولم يخرجها وقع المصيبة العظيمة عن حدود الاعتدال ، وهي المرأة الدينارية التي ذهبت إلي مكان المعركة فرأت ابنها وزوجها وأخاها وأباها قتلى مضرجين بدمائهم فلم تكترث (فضلاً عن أن تفقد توازنها) وإنما ظلت تسأل عن مصير إنسان أحب إليها من هؤلاء الأربعة جميعاً ، وهو محمد الرسول الله الذي لما رأته سالماً أعلنت أن كل مصيبة مهما عظمت تهون بجانب سلامته .

إنه الإيمان (إذن) ولاشيء أعظم من الإيمان ..

منع النياحة على القتلي

غير أن أهل المدينة (كما هي عادة العرب قبل الإسلام) ناحوا على قتلاهم ، فارتجت المدينة بأصوات الباكيات يندبن الشهادة ، ولكن الرسول على نهى في تلك الليلة عن النياحة على الموتى ، فصارت النياحة محرمة في الإسلام تحريماً قاطعا إلى الأبد .

حالة الطواريء في المدينة

ولما كانت تلك الليلة (التي عاد فيها الجيش الإسلامي من أحد) أشبه بحالة الطوارىء، فقد باتت المدينة متيقظة ساهرة، على رجالها السلاح يحرسون مداخلها لاحتمال أن يحمل زهو الانتصار أبا سفيان على العودة لمهاجمتها.

وأنشأ الأوس والخزرج (من أنصار رسول الله المن وجوههم وأبطالهم الأسداء مفرزة ، وأوكلوا إليه القيام بحراسة الرسول الله ، فبات رجال تلك المفرزة واقفين (في كامل سلاحهم) ، على باب النبي شخ خوفاً عليه من كرة العدو ، الذي ليس من المستبعد أن يقوم بهجوم مفاجىء على المدينة لاسيما في تلك الليلة التي فيها عامة الجيش الإسلامي الذي شهد معركة أحد مثقلا بالجراح قد أنهكه التعب .

⁽١) البداية والنهاية ج ٤ ص ٤٨ وقد وردت أحاديث أخرى صحيحة كثيرة تنهى عن البكاء والنوح على الأموات .

حملة حمراء الأسد

لقد كان للنجاح المفاجىء الذى حصل عليه الجيش المكى فى معركة أحد ، أثر فى زعزعة سلطان المسلمين وإضعاف هيبتهم فى نفوس خصومهم المتربصين بهم (داخل المدينة وخارجها) فقد أخذ البعض من هؤلاء يحدثون أنفسهم ويفكرون فى القيام ضد المسلمين ببعض الاضطرابات والقلاقل ، بل صار البعض منهم (وخاصة اليهود والمنافقين) يتفوهون مساء يوم المعركة مباشرة ، بما أشعر المسلمين بأن ما أصابهم فى أحد من نكسات قد أوهم هؤلاء الأعداء الألداء المتربصين بأن ما أصابهم أمابهم فى هذه المعركة قد أوهن من روحهم المعنوية وأضعف من قوتهم المعسكرية ، وأنهم (لذلك) لم يعودا قادرين كما كانوا على الاحتفاظ بسلطانهم وفرض هيبتهم على من يريد بهم سوء ، ولهذا شعر قادة الجيش بألاسلامى بأن هؤلاء الأعداء (سواء كانوا فى الداخل أم الخارج) سيظلون على ظنهم مالم يثبت لهم المسلمون (عملياً) خطأهذا الظن وفساده

نصر مزیف

كذلك النصر الذى أحرزه جيش مكة فى معركة أحد ، لم يعرف إلا النزر اليسير من سكان الجزيرة بأنه نصر مزيف لم يأت نتيجة بسالة الجيش المكى وبطولته ، وإنما نتيجة غلطة شنيعة ارتكبها المسلمون أنفسهم (فى تنفيذ الخطة الحربية للمعركة) أعطت هذه الغلطة جند مكة نصراً تعبوياً أعادهم هذا النصر المفاجىء (وهم يركضون فى دروب الهزيمة) إلى ساحة القتال ، ليعوبوا إلى مكة وهم فى هيئة الجيش الظافر المنتصر ، الذى لم يكن (فى حقيقته) كذلك ...

لهذا كان لابد من إقامة الدليل (عملياً) لسكان الجزيرة العربية (أولا) بأن النصر الذي أحرزه جيش أبى سفيان في ملحمة أحد ، لم يكن إلا نصراً مزيفاً ، وإن الجيش الذي أشيع بأنه قد أحرزه عن بطولة ، هو أضعف من أن يثبت للمسلمين في معركة جديدة ، وأن قادة هذا الجيش (وعلى رأسهم أبو سفيان) لايمكن أن يقبلوا التحدى ويوافقوا على خوض معركة جديدة ضد المسلمين (في هذا الظرف بالذات) وإن هذا الجيش من الانهيار والخوف والهلع بحيث لايقوى على الدخول في معركة (حتى مع جيش أحد الذي يقال إنه قد هزمه هناك وتغلب عليه) ، وذلك للحفاظ على انتصارهم العفوى الذي لم يكونوا يطمون به .

كما أنه كان لابد للمسلمين (في هذا الظرف الحرج) من أن يثبتوا (عمليا أيضاً) لخصومهم من اليهود والمنافقين والاعراب، المجاورين للمدنية بأنهم مخطئون في ظنهم بأنهم غلبوا على أمرهم، وأن ماحدث للمسلمين في معركة أحد لم يكن له أي أثر على معنوياتهم.

وإن لديهم من القوة مايجعل كلمتهم (كما كانت) هى العليا ويمكنهم من سحق أية حركة يفكر أحد من هؤلاء الخصوم فى القيام بها ضد المسلمين.

جيش المدينة يطارد جيش مكة

وكان لابد لتحقيق هذين الهدفين من عمل عسكرى جرىء سريع .

لذلك اتخذ القائد الأعلى للمسلمين الله قراراً في غاية في الجرأة

والسرعة والاقدام ، قراراً قد يعتبره بعض العسكريين اليوم مغامرة عسكرية خطيرة أو عملاً انتحارياً خطيراً .

فالبرغم من أن الجيش الإسلامي الذي خاض معركة أحد (لاتزال جراحة تنضع دماً) فقد صدرت أوامر القائد الأعلى الرسول بي بأن يتحرك (وعلى جناح السرعة) لمطاردة جيش مكة الذي يقال إنه المنتصر ومتى صدرت هذه الأوامر إل الجيش الاسلامي؟؟.

لقد صدرت إليه هذه الاوامر النبوية بعد مرور أقل من خمس عشرة ساعة على انتهاء المعركة الرهيبة الى خاضها هذ االجيش في أحد ، والتي ناله فيها ماناله من اندحار تعبوى .

وحرصاً من النبى القائد المحنك الحكيم ، على إظهار المسلمين (أمام أعدائهم المتربصين بهم والظانين بهم ظن الضعف والانهيار) بمظهر القوة والنجدة والتماسك والثبات ، وعدم الأكتراث بما أصابهم في معركة أحد .. أمر بأن لا يشترك في حملة مطاردة الجيش المكي إلا الجند الذين خاضوا معركة أحد فقط .

قال ابن إسحاق: فلما كان الغد من يوم أحد (است عشرة ليلة من شوال) أذن مؤذن رسول الله عليه الصلاة والسلام في الناس بطلب العدو، فأذن مؤذنه أن لايخرجن معنا أحد، إلا أحد حضرنا يومنا بالأمس (١).

⁽۱) سیرة ابن هشام ج۲ ص ۱۰۱ .

جابرين عبد الله

ولم يسمح الرسول الله لأحد (من غير عسكر أحد) بالاشتراك في حملة لواء الأسد إلا لرجل واحد هو جابر بن عبد الله (۱) ، الذي قدم إلتماساً خاصاً إلى القائد الأعلى الرسول ليسمح له في هذه الحملة وكان من الأسباب الوجيهة التي تذرع بها هذا الشاب ليسمح له الرسول بالاشتراك في الحملة ، هو أنه كان قد فاته شرف الاشتراك في معركة أحد مع حرصه الشديد على ذلك ، لأن أباه عبد الله بن عمرو بن حرام (۲) لم يسمح له بالاشتراك فيها وأمره بالبقاء في المدينة إلى جانب أخواته السبع اللاتي لم يبق بينهن رجل سواه

فقد روى ابن إسحاق ، أن جابر بن عبد الله رضى الله عنه جاء إلى النبى ﷺ فقال :

يارسول الله ، إن أبى كان قد خلفنى على أخوات لى سبع ، وقال يابنى ، أنه لاينبغى لى ولا لك أن تترك هؤلاء النسوة ، لارجل فيهن ولست

⁽۱) هو جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام المفررجي الأنصاري من مشاهير الصحابة ، غزا (في سبيل الله تسع عشرة غزوة) لم يشهد جابر بدراً ، ويظهر أن أباه قد طلب منه ذلك كما طلب منه في احد ليبقى مع اخواته السبع ، كان جابر من المكثرين في رواية الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن أوعية العلم ، فكان له حلقة في المسجد النبوي يؤخذ فيها عنه العلم ، وكان آخر من مات من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة (على مارواه ابن حجر في الإصابة) مات رضي الله عنه سنة ٧٤ هـ وذكر البخاري في تاريخه ، أن الحجاج شهد جنازته ، روى له أصحاب الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ١٥٤٠ حديثاً ذكر ذلك ابن حرم ، في كتابه جوامع السيرة .

⁽٢) قتل شهيداً في أحد

بالذى أوثرك بالجهاد مع رسول الله على نفسى ، فتخلف على أخواتك ، فتخلف على أخواتك ، فتخلف عليهن . فائذن لى يارسول الله معك ، فأذن له ، واستأذن رأس النفاق (عبد الله بن أبي) رسول الله تلك في الخروج مع فلم يأذن له (١) . الحملة تتحرك

تحركت قوة المدينة المطاردة وغادرت المدينة بعد صلاة الفجر (بقيادة النبى) المنبى المدينة ابن أم مكتوم (٢).

ركب الرسول ﷺ فرسه المسمى (بالسكب) وقد تدجج بسلاحه وتقدم يقود الجيش في اتجاه الجنوب مسرعاً لمطاردة أبى سفيان .

وقد أعطى لواء هذه الحملة إلى على بن أبي طالب رضى الله عنه ، وهو اللواء الذي قاتل المسلمون في ظله يوم أحد ، والذي بقى معقوداً لم يحل من ساريته حتى رجع المسلمون من هذه الحملة ظافرين

كبت المنافقين واليهود

ولقد استولى الدهش والذهول على اليهود والمنافقين (فعلاً) عندما

⁽١) السيرة الطبية ج ٢ ص ٤٩ ٥٠ .

⁽Y) هو عمرو بن أم مكتوم ، ويقال اسمه عبد الله ، وعمرو أكثر ، وهو ابن قيس بن زائدة ابن الأصم وهو قرشى ومن قبيلة بنى عامر بن لؤى ، وأمه عاتكة بنت عبد الله المخزومية ، وهو ابن خال خديجة أم المؤمنين ، كان ابن أم مكتوم من المهاجرين الأولين قدم المدينة قبل أن يهاجر النبى صلى الله عليه وسلم ، وكان رسول الله جملى الله عليه وسلم يستخلفه على المدينة في عامة غزواته يصلى بالناس ، ذكر الزبير بن بكار أن ابن أم مكتوم كان يحمل اللواء في معركة القادسية ، وأنه استشهد فيها ، وفي ابن أم مكتوم أنزل الله تعالى (معاتباً نبيه) قول جل ==

رأوا هذا الجيش الصغير (الذي ظنوه قد هزم وتحطم) يتسابق أفراده (في عزم وتصميم وثبات) إلى حمل السلاح ، لمطاردة العدو الذي يظنون أنه قد انتصر على المسلمين وأخضد شوكتهم.

ولقد هالهم أكثر وأدار رؤسهم وأثبت لهم خطأ ظنهم الفاسد ، أن رأوا الجرحى من الجيش الإسلامى يتسابقون ، هم أيضاً إلى حمل السلاح للاشتراك في الحملة استجابة لنداء الرسول القائد على ، حيث لم يتخلف من هؤلاء الجرحى عن الخروج مع رسول الله في هذه الحملة ، ولا رجل واحد ، حتى الذين كانت جراحهم غائرة مثقلة ، تحاملوا على أنفسهم وخرجوا مع رسول الله على أنفسهم

ومن هؤلاء رجلان من بنى عبد الأشهل جرحاً جراحات بليغة فى معركة أحد ، فقد روى عن أحدهما أنه قال :

وعلا ﴿ عبسي وتولى أن جاءه الأعمى ﴾ (الآية) كما هو مفصل في تفسير سورة (عبس)

⁽١) وهذان الجريحان هما عبد الله ورافع ابنا سهيل بن رافع ،

⁽۲) سیرة ابن هشام ج ۲ ص ۱۰۱ ،

وقد كان من كبار الصحابة الذين اشتركوا في حملة حمراء الأسد، مع الجراح البليغة التي أصيبوا بها في معركة أحد:

- ١ طلحة بن عبيد الله ، به أكثر من ستين جرحاً .
 - ٢ الحارث بن الميمة ، به عشر جراحات ،
 - ٣ عبد الرحمن بن عوف ، به عشرون جرحاً .
 - ٤ كعب بن مالك ، به أكثر من عشر جراحات ،
 - ه أسيد بن حضير ، به تسم جراحات .
- ، عقبة بن $(^{(1)}$ عامر ، به (أيضاً) تسع جراحات $^{(1)}$

كما أن عامة الجيش كانوا من الجرحى ، حتى أن قبيلة بنى سلمة وحدها جرح من رجالها أربعون ، مما جعل النبى تلك يقول فى هذه القبيلة، لما رأى جرحاها :(اللهم ارحم بنى سلمة) (٢) .

تحركت القوة المطاردة من المدينة (كما قلنا) بعد صلاة الفجر (بقيادة الرسول) وهو (أيضا) ممن أثخنتهم الجراح في معركة أحد، وسارت هذه القوة مسرعة في طلب أبي سفيان حتى أدركها المساء في مكان يقال له (حمراء الأسد) (٢)، وكان دليل الجيش الإسلامي في هذه الحملة ثابت بن الضحاك (٤)، وقد عسكر الرسول ﷺ، بجيشه في حمراء الأسد.

⁽١) هو عقبة بن عامر بن نابى السلمى الأنصارى صحابى جليل ، شهد إبرام بيعة العقبة وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدراً وأحداً والخندق وسائر المشاهد ، وكان يعلم نفسه بعصابة خضراء في مغفره في الحرب ، قتل شهيداً في اليمامة .

⁽٢) السيرة الطبية ج ٢ ص ٥٠ .

⁽٣) حمراء الأسد موضع على بعد ثمانية أميال من المدينة .

⁽٤) هو ثابت بن الضحاك بن خليفة الاوسى الانصاري صحابي جليل شهد بدراً ومن الذين=

مؤتمر الروحاء

وكان أبو سفيان قد توقف بجيشه وعسكر به فى الروحاء (١) وهو مكان لايبعد كثيراً عن حمراء الأسد ، ويظهر أن بعض القادة فى جيش مكة وجهوا اللوم إلى القائد العام أبى سفيان بن حرب ، لعدم هجومه على المدينة ساعة انسحابه من أحد ، ومسارعته بالانسحاب من الميدان قبل أن يقضى على جيش المدينة ويستأصل شأفته ، وطلبوا منه (فى إلحاح) بأن يسارع بالعودة لمهاجمة المسلمين فى المدينة ، حتى إن بعضهم قال رموجها) اللوم لأبى سفيان .

لامحمداً قتلتم ولا الكواعب أردفتم (يعنى السبايا) بئس ماصنعتم ، إنكم قتلتموهم حتى لم يبق إلا الشريد تركتموه، ارجعوا فاستأصلوهم قبل أن يجدوا قوة وشوكة (٢).

هذا الكلام وجهه البعض إلى أبى سفيان فى المؤتمر الذى عقده قادة جيش مكة فى فج الروحاء لمناقشة اقتراح بعض القادة الذين دعوا إلى أن يعود جيش مكة من الروحاء لمهاجمة المدينة .

وبالرغم من أن أكثر القادة في الجيش المكي كانوا يحبنون هذا الرأى فإن الزعيم (صفوان بن أمية الجمحى) (7) .

⁼ بايعوا تحت الشجرة ، كان رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق ، روى له أصحاب الحديث ١٤ حديثاً ، توفى سنة ٤٥ هـ .

⁽١) الروحاء فج واسع يقع على بعد ثلاثين ميلا من المدينة .

^{· (}٢) السيرة الطبية ج ٢ ص ٤٩ .

⁽٣) صفوان هذا أسلم وصار من خيار الصحابة وقد تقدمت ترجمته في كتابنا (غزوة بدر الكبري).

قد خالفهم فى هذا الرأى ونصحهم بأن يمضوا فى انسحابهم وأن لا يفكروا فى العودة بجيشهم لمقاتلة الجيش المدنى ، لانه يخشى عليهم أن يصابوا بنكسة كبيرة ، حيث قال لهم :

ياقوم لاتفعلوا ، فإنى أخاف أن يجمع عليكم من تخلف عن الخروج (يعنى المسلمين الذين لم يشهدوا أحدً) فارجعوا ، والدولة لكم فإنى لا آمن إن رجعتم أن تكون الدولة عليكم .

ويظهر أن القائد العام أبا سفيان كان يشاطر صفوان بن أمية رأيه، إلا أنه مال أخيراً إلى رأى القادة الذين أصروا على العودة بالجيش لمهاجمته المسلمين في المدينة.

المفاجأة المذهلة

وبينما قادة الجيش المكى يتداولون الرأى فى مؤتمرهم بالروحاء ، إذا باستخباراتهم العسكرية تنقل إليهم خبر خروج الجيش المدنى لمطاردتهم (بقايادة النبى) تقل وأن هذا الجيش قد عسكر بالقرب منهم فى حمراء الأسد فى تحد سافر.

فأسقط فى أيديهم وخارت عزائمهم وامتلأت نفوسهم رعباً من المسلمين ، وتأكد لديهم أنهم أجبن من أن يخوضوا المعركة مع المسلمين فى العراء ، فضلاً عن أن يهاجموهم فى المدينة .

فاستصوبوا رأى (صفوان بن أمية) .

وبدلاً من أن يرسموا الخطط لمهاجمة المسلمين (كما تقرر فى المؤتمر) أخنوا يفكرون فى الطريقة التى بها ينسحبون من الروحاء (مع محافظتهم على قيمة النصر الاسمى الذى حصلوا عليه فى معركة أحد) هذه القيمة التى ستضيع فى نظر سكان الجزيرة العربية إذا ماعلموا أن جيش مكة قد نكل عن الحرب التى خرج ليخوضها معه جيش المدينة الذى عسكر فى تحد على مقربة منهم .

فقد وقع في روع قادة الجيش المكي أن النبي عَن قد جاء من المدينة بمدد جديد لمقاتلتهم ، فخافوا من المسلمين خوفاً شديداً .

حليف مشرك بخلص للمسلمين

وزاد أبا سفيان رعباً وفزعاً من المسلمين حرب أعصاب دعائية عنيفة شنّها عليه وعلى جنده أحد حلفاء المسلمين من مشركى خزاعة وهو معبد بن أبى معبد الخزاعى (١) .

⁽١) هو معبد بن أبي معبد الخزاعي ، أسلم وحسن إسلامه ولم أطلع (في شيء من التراجم) على تاريخ وفاته رضي الله عنه .

⁽٢) الاستيعاب لابن عبد البرص ٤٣٤ من ج٣ من الاصابة لابن حجر .

وفعلاً ، تعمد معبد أن يمر (في طريقه) بجيش أبي سفيان المعسكر في الروحاء .

ويحك ماتقول

فلما وصل معبد إلى الروحاء أسرع أبو سفيان إليه قائلاً:

ماوراك يامعيد ؟؟؟.

قال ... محمد قد خرج فى أصحابه يطلبكم فى جمع لم أر مثله قط يتحرقون عليكم تحرقاً قد اجتمع معه من كان تخلف عنه بالأمس من الأوس والخزرج وتعاهدوا على أن لايرجعوا حتى يلقوكم فيثأروا ، وغضبوا لقومهم غضباً شديداً ، ندموا على مافعلوا .. فيهم من الحنق شيء لم أر مثله قط .

فقال أبو سفيان (في انزعاج وفزع)

ويلك ماتقول ؟؟

قال معبد والله ماأرى أن ترحل حتى ترى نواصى الخيل إ

فقال أبو سفيان .. والله لقد أجمعنا الكرة عليهم لنستأصل بقيتهم قال معبد .. فإنى أنهاكم عن ذلك (١) .

⁽١) السيرة الطبية ج٢ ص ٥١ .

حراجة موقف جيش مكة

فكان لهذا العمل الدعائى المركز ، الذى قام به معبد (لمصلحة المسلمين) أكبر الأثر فى تهديم عزائم قادة الجيش المكى وإشاعة الذعر والفزع فى نفوس الجيش القرشى ، فقد أدخل هذا النبأ الذى نقله معبد الخزاعى فى روع المشركين أن النبى قد جاء بمدد جديد ، وأنه لو لم يكن كذلك لما أقدم على هذه الحركة السريعة وبهذا التحدى السافر المكشوف .

ولهذا قرر قادة جيش المشركين مواصلة الانسحاب إلى مكة وتحاشى الاصطدام بالمسلمين ، في هذا الظرف ، ولكن خروج المسلمين على هذا الشكل من التحدى أوقع قائد عام المشركين (أبا سفيان) في مركز حرج ، فانسحابه إلى مكة (وقد علم العرب بخروج النبي لمطاردته) يكشف لسكان الجزيرة أن أبا سفيان لم يكن حقاً منتصراً في معركة أحد .

إذ أنه لو كان كذلك لما نكل عن الحرب وجبن عن ملاقاة جيش المسملين الذين خرج في طلبه ، وعسكر (في تحد مكشوف) على مقربة من جيش مكة الذي يظنه الناس قد انتصر وحطم الجيش الإسلامي في أحد . فكان منطق الاحداث (لاسيما في ذلك الظرف الذي ظهر فيه الجيش المكي أمام العرب بمظهر الغالب المنتصر) يقضى على أبي سفيان أن يخوض المعركة (من جديد) ضد جيش محمد على ألذي خرج يطلب حربه في عزم وتصميم .

وهذا أقل مايفرض منطق الاحداث (في ذلك الظرف) على أبى سفيان أن يفعله ، لأن الواعين من الخبراء المحاربين قد تسالحوا (في استغراب) كيف لم يهاجم أبو سفيان المدينة عند انسحابه من أحد بجيشه

المنتصر ، مع أن المدينة كانت مفتوحة تماماً وليس بها من حملة السلاح القادرين على القتال من المسلمين أحد؟؟.

فكيف بهؤلاء (إذن) اذا علموا أن أبا سفيان قد نكل عن الحرب وفر أمام الجيش الإسلامي الذي زعم للعرب وطيّر الأخبار بينهم بأنه قد حطمه وأخضد شوكته وانتصر عليه ؟ .

أبو سفيان ينحنى للعاصفة

هكذا كان منطق الأحداث يقضى على أبى سفيان أن يقبل التحدى ويخوض المعركة (من جديد) مع الجيش المدنى الذى خرج دون تردد ولا إبطاء يطلبه ويتحداه أن يخوض الحرب ضده .

ولكن أبا سفيان (كقائد محارب خبير) كان يعرف أكثر من غيره أن الانتصار التعبوى لجيشه في معركة أحد (إن جاز تسميته انتصاراً) إنما جاء نتيجة غلطة ، والغلطات لاتتكرر .

وكان (لذلك) يهاب ملاقاة المسلمين (وخاصة فى ذلك الظرف) لأنه يخشى إن اصطدم معهم (فى الروحاء أو حمراء الأسد) أن ينزلوا بجيشه هزيمة لاتنجية منها غلطة مثل غلطة الرماة التى سحبت رؤوس جنده (يوم أحد) من تحت مطارق هزيمة كادت تكون ساحقة .. فيضيع عليه النصر الذى حصل عليه بسبب غلطة الرماة (غفر الله لهم).

ولاشك أن أبا سفيان كان لديه مايشبه اليقين بأن جيش مكة لو اصطدم ضد الجيش النبوى (المطارد الحانق المغيظ المتوثب) سيكون نصيبه (من هذا الاصطدام) هزيمة قد تكون أفظع وأشد أثراً من هزيمته في معركة بدر الشهيرة .

لذلك قرر (بالاتفاق مع زعماء الجيش المكى) النكول عن الحرب وتحاشى الاصطدام ضد الجيش النبوى المطارد .

مناورة أبى سفيان لتغطية انسحابه

ولكن أبا سفيان (قبل تنفيذ هذا الانسحاب) لجأ إلى حيلة لعله يستر بها فضيحة مااعتزم عليه من الفرار ، أمام الجيش النبوى الذى خرج لمطاردته .

فقرر أن يقوم بمناورة دعائية لإرهاب الجيش المدنى بإيهامه بأنه عازم على مهاجمته وإبادته (فى حمراء الأسد) لعله أن يخاف ويعود إدراجه إلى المدينة ، قبل أن يتحرك الجيش المكى من مكانه (بالروحاء) فى اتجاه مكة . وبذا يُفهم أبو سفيان العرب الذين علموا (فى ذهول واستغراب خروج المسلمين لمطاردة جيش مكة الذى شاع أنه هزم الجيش الإسلامى وحطمه فى معركة أحد) أنه (أى أبا سفيان) قد أرهب الجيش النبوى وأجبره على الارتداد إلى المدينة ، وبهذا تبقى للجيش المكى صبغة الجيش المنتصر .

رسالة التهديد

ولهذا حمل أبو سفيان ركاباً من بنى عبد القيس (١) (كان متوجهاً الى المدينة) حمله رسالة تهديد إلى النبى مضمونها أن أبا سفيان قد عقد

⁽١) بنو عبد القيس ، بطن من أسد من ربيعة من العننانية ، كانت ديارهم بتهامة ثم خرجوا الى البحرين.

العزم على مهاجمة المسلمين في حمراء ، وأجمع السير إلى محمد وأصحابه (1) .

وفعلاً ، أبلغ ركب عبد القيس رسالة أبى سفيان التهديدية إلى النبى عبد التيس رسالة أبى سفيان التهديد ، فلم يتضعضع عزمه بل ظل مكانه (في حمراء الأسد) معسكراً بجيشه ثلاثة أيام يوقد النيران طيلة لياليها ، ليدل قريشاً (في تحد) على مكانه وأنه على عزمه مستعد لخوض المعركة الفاصلة ضدهم ، ولما لم تقد هذه المناورة القرشية في زعزعة عزائم المسلمين ، وتأكد لدى أبى سفيان ثبات الجيش الإسلامي وإصراره على اللقاء ، انحنى للعاصفة (كما يقولون) وولى الأدبار ، مفضلاً عار الانسحاب (أمام تحدى المسلمين) على الدخول بجيشه في مغامرة عسكرية قد تكون سبباً في القضاء على سمعة قريش إلى الأبد ، فتراجع الى مكة بينما كان النبي على المكى هارباً به من الروحاء ، بالرغم من أن هذا الجيش يبلغ عدده أكثر من أربعة أضعاف الجيش المدين الإسلامي الذي خرج لمطاردته من المدينة .

عودة الجيش الإسلامي إلى المدينة

وبعد انسحاب أبى سفيان بعسكره من الروحاء إلى مكة ، عاد النبى للجيشه الباسل إلى المدينة مرفوع الرأس وقد سجل بهذه الحركة العسكرية الجريئة السريعة نصراً سياسياً وعسكرياً باهراً.

⁽١) السيرة الطبية ج٢ من ١٥ .

فقد كانت حملة حمراء الأسد الناجحة هذه سبباً في استعادة هيبة المسلمين ومكانتهم في النفوس ، حيث أثبتوا بهذه الحملة الجريئة المتربصين (من المنافقين واليهود والأعراب) فساد ظنهم وخطأ تفكيرهم ، وأن المسلمين أعظم وأشد وأقوى مما كانوا يظنون .

كما أثبت الرسول القائد العظيم ، بهذه الحركة السريعة للعرب أجمعين أن أبا سفيان لم يكن منتصراً انتصارحقيقيا في معركة أحد ، وأن نصره لم يكن إلا نصراً مزيفاً ، جاء نتيجة غلطة فحسب .

وقد أقر كبار القادة العسكريين (في السابق والحاضر) بأن حركة المطاردة التي قام بها النبي إلى حمراء الأسد ، كانت مناورة عسكرية رائعة حيث حفظ بها النبي على سمعة جيشه واستعاد بها هيبتهم ومكانتهم التي كادوا يفقدونها على أثر ماأصابهم في معركة أحد .

القصل الثامن

- * إحصاء دقيق عن خسائر الفريقين.
- * القرآن يتحدث عن مراحل المعركة .

قتلى الفريقين في المعركة

لقد بلغت خسارة المسلمين في هذه المعركة (على ماحققه البخاري) سبعين قتيلاً.

وهذا يعنى أن المسلمين فقدوا في هذه المعركة عشرة في المائة من قواتهم .

وقد كانت الأغلبية الساحقة من شهداء الصحابة في معركة أحد من الأنصار رضى الله عنهم ، فقد قتل منهم في هذه المعركة أربعة وستون رجلاً ، أكثرهم (بالطبع) من الخزرج الذين يؤلفون الأغلبية دائماً .

أما شهداء اللهاجرين في هذه المعركة فقد كانوا أربعة فقط ، وهم :

عدد شهداء المهاجرين وأسماؤهم

۱- من بنى هاشم بن عبد مناف .. حمزة بن عبد المطلب ، قتله وحشى الحبشى مولى جبير بن مطعم .

۲ - من بنى عبد شمس بن عبد مناف .. عبد الله بن جحش (حلیف لهم) وهو من بنى أسد بن خزیمة .

 $\Upsilon = \alpha i$ عبد الدار ابن قصى .. مصعب بن عمير $(^1)$ قتله ابن قمئة الليثى .

· ٤ - من بني مخزوم .. شماس بن عثمان (٢) .

عدد شهداء الأنصار وأسماؤهم

أما شهداء الأنصار فهم (كماقلنا) أربعة وستون ، وهم

أ - من بني عبد الأشهل (وهم بطن من الأوس) أربعة عشر رجلاً وهم:

- -1 عمرو بن معاذ بن النعمان (7)
- Y الحارث بن أنس بن راقع $(^{2})$.
- ٣ عمارة بن زيد بن السكن (٥) .
 - $(^{3})$ سلمة بن ثابت بن وقيش

⁽١) تقدمت ترجمته في كتابنا (غزوة بدر الكبرى).

⁽Y) هو شماس بن عثمان الشريد بن هرمى ، كان من المهاجرين الاولين ، شهد بدراً مع رسول الله عليه وسلم ، كان كما قال (الزبير بن بكار) أحسن الناس وجهاً ، جرح عثمان هذا جراحات بليغة فنقل إلى المدينة فمات بها بعد يهم واحد من المعركة فدفن بالبقيع .

⁽٣) هو عمرو بن معاذ بن النعمان ، أخو الصحابي الشهير – سعد بن معاذ – سيد الأوس -، شهد بدراً ، وقد قتله يوم أحد ضرار بن الخطاب أخو عمر بن الخطاب .

⁽٤) قال عبدان المروزي سمعت أحمد بن سيار يقول ، الحارث بن رافع من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم استشهد بأحد لايعرف له حديث .

⁽ه) هو عمارة بن زياد بن السكن ، بطل قتل بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يدافع عنه أثناء الانسماب إلى الجبل

⁽٦) سلمة هذا شهد بدراً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

- ه عمرو بن ثابت بن وقش ^(١) .
- ٦ أبو هما ثابت بن وقش (٢) .
 - ۷ حسیل بن جابر ^(۲) .
 - $\lambda = -\Delta$ مىيفى بن قيظى λ
 - ۹ حباب بن قبظی ^(ه) .
 - ۱۰ عباد بن سبهل ^(۱) .
- ۱۱ الحارث بن أوس بن معاذ ^(۷) .
 - $^{(A)}$ رفاعة بن وقش $^{(A)}$.
 - ١٢ إياس بن أوس بن عتيك (٩) .

⁽١) عمرو بن ثابت هذا هو المسلم الوحيد الذى يدخل الجنة ولم يصل قط وذلك أنه كان يأبى الإسلام حتى كان يوم أحد أسلم وحمل سلاحه والتحق بالمسلمين فقتل شهيداً في أول المعركة، وعمرو هذا ، هو المسمى (بالأصيرم) وقد ذكرنا قصته مطولة في صلب الكتاب .

⁽Y) ثابت هذا كان شيخاً كبيراً أعفاه الرسول من القتال ، واكنه لما رأى لهيب المعركة حمل سلاحه وقاتل حتى قتل وقد ذكرنا قصته في صلب الكتاب .

⁽٣) حسيل بن جابر هذا هر والد حنيفة الصحابي الشهير ، وهو الذي قتله المسلمون خطأ ساعة الانتكاسة كما ذكرنا ذلك في صلب الكتاب .

⁽٤) هو صيفي بن قيظي ، أمه الصفية بنت التيهان ، قتله ضرار بن الخطاب .

⁽ه) حباب هذا أخر صيفي ، شهد بدراً مع رسول الله ،

⁽٦) هو عباد بن سهل بن مخرمة ، قتله صفوان بن أمية الجمحى .

⁽٧) هو الحارث بن أوس بن معاذ بن النعسان ، ابن أخى سعد بن معاذ – سيد الأوس – شهد الحارث بدراً ، واستشهد يوم أحد وهو ابن ثمان وعشرين سنة .

⁽٨) رفاعة هذا أخو ثابت بن وقش ، قتله خالد بن الوليد .

⁽٩) زعم البعض أن إياس هذا استشهد يوم الخندق والصحيح خلاف ذلك .

۱۶ – عبيد بن التيهان ^(۱) .

ب - ومن بني ظفر (وهو بطن من الأوس) ، رجل واحد وهو:

۱ - يزيد بن خاطب بن أمية ^(۲)

ج - ومن بني ضبيعة (وهم بطن الأوس) رجلان وهما:

، أبو سفيان بن الحارث بن قيس بن زيد $(^{(7)})$

 $(^{1})$ – حنظلة بن أبى عامر (غسيل الملائكة)

د - ومن بني عبيد (بضم العين) (وهم بطن من الأوس) رجل واحد وهو:

۱ – أنيس بن قتادة ^(٥) .

هـ - ومن بني ثعلبة بن عمروبن عوف (بطن من الأوس رحلان ، وهما:

⁽١) كان عبيد هذا من الذين شهدوا بيعة العقبة وشهد بدراً ،

⁽٢) لم أطلع على تفصيل يذكر في ترجمته ،

⁽٣) أبو سفيان هذا شهد بدراً ، كان يقال له أبو البنات ، ولما انهزم المسلمون يوم احد قال اللهم إنى لاأريد أن أرجع إلى بناتى ولكن أريد أن أقتل في سبيلك فقتل فأثنى عليه النبى صلى الله عليه وسلم .

⁽٤) تقدمت ترجمته فيما مضى

⁽ه) شهد أنيس هذا بدراً ، كان زوج خنساء بنت خذام فلما استشهد بأحد زوجها، أبوها رجلا من مزينة فكرهته فجاءت إلى رسول الله فرد نكاحه وزوجها أبا لبابة .

⁽٦) قال أبو حاتم ، أسمه عامر بن عبد عمرو بن عمير بن ثابت ، شهد أبو حية بدراً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ذكره ابن إسحاق .

٢ - عبد الله بن جبير ، وهو أمير فصيلة الرماة الذين وضعهم الرسول في الجبل لحماية مؤخرة المسلمين (١) .

و - ومن بني السلم (بفتح السين مع التشديد وسكون اللام)
 (بطن من الأوس) رجل واحد:

- خيثمة ، أبو سعد بن خيثمة (Y) .

ز - ومن بني العجلان (بطن من الخزرج) رجل واحد:

- عبد الله بن سلمة البلوى $(^{7})$.

ح - ومن بني معاوية بن مالك بن عوف (بطن من الأوس) . رجل واحد :

۱ - سبيع بن حاطب (٤)

ط - ومن بني النجار بن ثعلبة (بطن من الخزرج) أثنا عشر شهيداً:

را - عمرو بن قيس (ه) .

 $\Upsilon = V$ ابنه قیس بن عمری (Υ)

⁽١) تقدمت ترجمته فيما مضى من هذا الكتاب

⁽٢) مو حيثمة بن الحارث بن مالك بن كعب ، قتله هيبرة بن أبي وهب المخزومي القرشي .

⁽٣) هو عبد الله بن سلمة بن مالك بن الحارث البلوى الزنصارى (بالحلف) شهد بدراً وكان شجاعاً مقداماً ، ولما قتل استأننت أمه رسول الله صلى الله عليه وسلم نقل جئته لتأنس به فأذن لها فنقلته إلى المدينة (على مارواه الطبرى) .

⁽٤) هو سبيع بن حاطب بن قيس بن هيشة ، شهد دراً .

⁽٥) هو عمرو بن قيس بن زيد بن سواد ذكره الواقدي فيمن شهد بدراً.

⁽٦) وهو ابن عمرو بن قيس بن زيد بن سواد اختلف في شهوده بدراً .

- ۳ ثابت بن عمرو بن زید (۱) .
 - ٤ عامر بن مخلد ^(٢) .
- ه أبو هبيرة بن الحارث بن علقمة $(^{\Upsilon})$.
- $^{(2)}$ عمرو بن مطرّف بن علقمة بن عمرو
 - V = 1وس بن ثابت بن المنذر V
- λ أنس بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام $^{(7)}$.
 - ۹ قىس ىن مخلد (۲) .
 - ۱۰ کیسان (عبد لهم) ^(۸) .
 - ۱۱ سليم بن الحارث ^(۹).
 - ۱۲ نعمان بن عبد عمری (۱۰) .

⁽۱) هو ثابت بن عمرو بن زيد بن عدى بن سواد ، شهد بدراً ، وقيل إنه ليس من بنى النجار وإنما هو نجارى (بالحلف) وإنه من قبيلة أشجع .

⁽٢) هو عامر بن مخك بن الحرث ذكره موسى بن عقبة فيمن شهد بدراً .

⁽٣) هو أبو هبيرة بن المارث بن علقمة بن عمرو بن كعب ، قتله خالد بن الوليد بعد أن ذبح أحد المشركين كما تنبح الشاة وكان هبيرة شجاعاً يشبه السبع في المعارك .

⁽٤) هو عمرو بن مطرف بن عمرو من بني مبثول ،

⁽ه) هو أوس بن ثابت أخو حسان بن ثابت الشاعر المشهور ، كان أوس ممن شهد بيعة العقبة . وشهد بدراً ،

⁽٦) تقدمت ترجمته فيما مضى .

⁽Y) هو قيس بن مخلد بن ثعلبة بن صخر بن ثعلبة شهد بدراً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم.

⁽٨) كيسان ، قال في الإصابة : من بنى مازن بن النجار ، استشهد يوم أحد ، وقال أبو عمر، كيسان الانصارى مولى لبنى عدى بن النجار وذكر فيمن قتل بأحد شهيداً ، وقد قيل إنه من بنى مازن بن النجار ، وقيل مولاهم ، قال ويحتمل أن يكون اثنين .

⁽٩) هو سليم بن الحارث بن ثعلبة بن كعب النجارى الأنصارى ذكره ابن إسحاق في البدريين

⁽۱۰) هو نعمان بن عبد عمرو بن مسعود بن كعب الأشهلي النجاري الأنصاري الخزرجي كان فيمن شهد بدراً .

ي - ومن بني الحارث (بطن من الخزرج) ثلاثة نفر ، هم :

۱ – ځارچة بن زید بن أبي زهیر ^(۱) ،

Y سعد بن الربيع بن عمرو بن أبى زهير Y

(دفن الاثنان في قبر واحد).

 $^{(7)}$. أوس بن الأرقم بن زيد

ك - ومن بني الابجر (بطن من الخزرج) ثلاثة نفر ، وهم :

۱ - مالك بن سنان بن عبيد ^(٤) .

۲ – سعید بن سوید بن قیس ^(ه) .

 $^{(1)}$ عتبة بن ربيع بن نافع

ل - ومن بي ساعدة (بطن من الخزرج) رجلان وهم:

 $^{(\vee)}$ مالك $^{(\vee)}$.

 $^{(\Lambda)}$ - ثقف بن فروة بن البدى

⁽١) تقدمت ترجمته في هذا الكتاب.

⁽٢) تقدمت ترجمته أيضاً ،

⁽٣) قال ابن عبد البر (في الاستيعاب) أوس بن الأرقم بن زيد بن قيس بن النعمان الأنصاري من بني الحرث بن الخزرج قتل يوم أحد شهيداً .

⁽٤) هو مالك بن سنان بن عبيد بن ثعلبة الخدرى (والد أبى سعيد الخدرى) الصحابى الشهير ، ومالك هذا هو الذى استقبل الرسول صلى الله عليه وسلم لما جرح فى المعركة (فى وجهه) فامتص الدم عنه ، وكان ممن ثبت يوم أحد .

⁽ ه) هو سعيد بن سويد بن قيس بن عامر بن عباد بن الأبجر ، أخو سمرة بن جندب لأمه.

⁽٦) لم أجد له من الترجمة أكثر من أنه استشهد بأحد رضى الله عنه ،

⁽٧) هو ثعلبة بن سعد بن مالك بن خالد بن حارثة ، شهد بدراً ، ذكر ذلك الطبراني

⁽ ٨) ثقف هذا يقال له (الاخرش) ولم أجد له في التراجم أكثر من نكر استشهاده بأحد رضي الله عنه .

م - ومن بني طريف (بطن من الخزرج) رجلان وهما:

١ – عبد الله بن عمرو بن وهب (١) .

٢ - ضمرة (حليف لهم) من بني جهينة (٢)

ن - ومن عوف بن الخزرج (بطن من الخزرج) خمسة نفر ،

وهم:

۱ -نوفل بن عبد الله ^(۲) .

٢ – عباس بن عبادة بن نضلة (٤)

٣ – نعمان بن مالك بن ثعلبة (٥).

 $^{(7)}$ المجذر بن زياد البلوى الأنصارى الخزرجى (بالحلف)

 $(^{(V)}$ عبادة بن الحسحاس

⁽١) هو عبد الله بن عمرو بن وهب بن تعلبة ، من رهط سعد بن عبادة .

⁽ ٢) هو ضمرة بن عمرو بن كعب الجهنى الخزرجى الأنصارى (بالطف) من البدريين ، وهو أخو بشير بن عمرو بن ثعلبة .

⁽ ٣) هكذا ذكره ابن إسحاق ، وابن الأثير ، وقال ابن عبد البر (في الاستيعاب) هو نوفل بن ثعلبة بن عبد الله بن نضلة ، شهد نوفل بدراً .

⁽³⁾ هو العباس بن عبادة بن نضلة بن مالك بن العجلان ، كان من أصحاب بيعة العقبة ، وهو الذي لفت نظر قومه الذين بايعوا الرسول بيعة العقبة إلى مايترتب على هذه المبايعة من مسؤولية يجب عليهم الالتزام بها حيث قال .. يامعشر الخزرج هل تدرون علام تأخذون محمداً، فإنكم تأخذونه على حرب الأحمر والأسود ، فإن كنتم ترون إنكم إذا نهكتكم أسلمتموه فمن الآن فاتركوه وإن صبرتم على ذلك فخذوه ، فقالوا بل أخذناه على ذلك ، وقد أقام العباس هذا مع رسول الله في مكة بعد العقبة حتى هاجر فهاجر معه (فكان) أنصارياً مهاجرياً.

⁽٥) تقدمت ترجمته فيما مضى من هذا الكتاب.

⁽ ٦) تقدمت ترجمته في كتابنا (غزوة بدر الكبرى) .

⁽ V) هو عبادة بن الحسحاس وقال في الإصابة (ابن الخشخاش) بن عمرو بن عمارة =

ص - ومن بئي الحبلي (بضم الحاء، بطن من الخزرج) رجل واحد:

۱ – رفاعة بن عمرو ^(۱).

ع - ومن بني سلمة (بطن من الخزرج) أربعة نفر وهم :

(Y) عبد الله بن عمرو بن حرام عبد الله بن

Y - 2 عمرو بن الجموح بن زيد بن حرام (Y) .

 $\gamma = \pm k$ بن عمرو بن الجموح γ

٤ - أبو أيمن (٥) .

ف - ومن بني سواد بن غنم (بطن من الخزرج) ثلاثة نفر

وهم:

- سليم بن عمرو بن حديدة (7) .

Y -عنترة (مولى سليم بن عمرو) (Y).

٣ – سنهل بن قيس بن كعب ^(١) .

⁼ البلوى الأنصارى الخزرجى (بالطف) دفن هو والمجذر بن زياد والنعمان بن مالك في قبر واحد ، شهد بدراً .

⁽١) هو رفاعة بن عمرو بن نوفل بن عبد الله ، شهد بدراً .

⁽ ٢) تقدمت ترجمته في أول هذا الكتاب.

⁽ ٢) تقدمت ترجمته في أول هذا الكتاب

⁽٤) هو خلاد بن عمرو بن الجموح ، استشهد مع ابيه في احد وكان من البدريين ، وهو الذي حملت أمه جنته مع أبيه لدفنهما في المدينة ثم ردتهما إلى مصارعهما كما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

⁽٥) أبو أيمن هذ هو مولى عمروبن الجموح .

⁽ ٦) هو سليم بن عمرو قيل بن عامر ، شهد بدراً وكان ممن شهدوا بيعة العقبة .

[.] الم أطلع على ترجمة له ، إلا أن ابن اسحاق قال إنه مولى سليم بن عمرو . (Y)

ص - ومن بني زريق بن عامر (بطن من الخزرج) رجلان وهما:

۱ - ذکوان بن قیس ^(۲) .

۲ – عبيد بن المعلى ^(۲) .

هؤلاء خمسة وستون شهيداً من المهاجرين والانصار ذكرهم ابن إسحاق ، واستدرك عليه ابن هشام خمسة من الأنصار استشهدوا لم يذكرهم ، وهم :

أ - من بني معاوية بن مالك (بطن من الأس) رجل واحد وهو:

. أ – مالك بن نميلة المزنى (حليف لهم) $^{(3)}$.

ب - ومن بني خطمة (بطن من الاوس) رجل واحد وهو:

⁽١) هو سهل بن قيس بن كعب بن القين ابن كعب ، شهد بدراً .

⁽Y) هو ذكران بن قيس بن خلدة بن مخلد من السابقين في الإسلام ، شهد بيعة العقبة ، وكان هو وأسعد بن زرارة أتيا مكة قبل الهجرة فسمعا من النبي صلى الله عليه وسلم فأسلما فكانا أول من أدخل الإسلام إلى المدينة ، وفي ذكران هذا قال النبي صلى الله عليه وسلم (قبل أحد بيوم واحد) : « من أحب أن ينظر إلى رجل يطأ بقدمه غداً خضراء الجنة ، فلينظر إلى هذا »، وذكران هذا هو الذي تولى حراسة الرسول صلى الله عليه وسلم ليلة بات الجيش النبوي في منطقة الشيخين وهو في طريقه إلى أحد .

⁽ ٢) لم أعثر له على ترجمة فيما لدى من مراجع .

⁽٤) هو مالك بن نميلة الأنصارى ، قال ابن حبان : له صحبة ، ذكره ابن إسحاق فيمن شهد بدراً ، وفى رواية إبراهيم بن سعد عن ابن إسحاق أيضاً ، أنه استشهد بأحد وكذلك ذكره ابن هشام .

۱ - الحارث بن عدى بن خرشة ^(۱) .

ج - ومن بني سواد بن مالك (بطن من الخزرج) رجل واحد،

۱ – مالك بن أيا*س* ^(۲) .

: 449

د - ومن بني عمرو بن مالك (بطن من الخزرج) رجل واحد وهو:

۱ – إياس بن عدى ^(٣) .

هـ - ومن بني سالم بن عوف (بطن من الخزرج) رجل واحد وهو:

۱ – عمرو بن إياس ^(۱) .

نسبة الشهداء بين الأوس والخزرج

فهؤلاء هم الشهداء من الأنصار من قبيلتى الأوس والخزرج ونسبتهم بين القبيلتين كما يلى:

١ - أربعة وعشرون من الأوس.

٢ - واحد وأربعون من الخزرج ، رضى الله عنهم وأرضاهم أجمعين

الجرحى المسلمون

أما جرحى المسلمين ، فلم يذكر أحد من المؤرخين إحصاء كاملاً

⁽١) هو الحارث بن عدى بن خرشة بن أمية بن عامر بن خطمه ، الأنصارى .

⁽ ٢) لم أطلع له في التراجم على أكثر من ذكر استشهاده بأحد ،

⁽ ٣) لم أطلم له في التراجم على أكثر من ذكر استشهاد بأحد .

⁽٤) كذلك لم أطلم له على أكثر من ذكر استشهاده بأحد .

لهم، كما أحصى عدد القتلى ، واكن المتتبع لأخبار المعركة بدقة يتضع له أن الجرحى بين المسلمين كانوا كثيرين وأنهم لايقلون عن ١٥٠ مائة وخمسين جريحاً.

فقد جاء في السيرة الحلبية أن الجرحي من قبيلة بني سلمة وحدها بلغوا أربعين جريحاً (١) .

أما الأسرى فلم يقع أسير مسلم واحد في أيدى المشركين .

خسائر المشركين في المعركة

أما خسائر المشركين في معركة أحد فقد بلغت اثنين وعشرين قتيلاً (على ماذكره ابن إسحاق) وهم كما يلى :

أ - من بني عبد الدار بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب أحد عشر رجلاً ، وجميعهم من حملة اللواء .

- $^{(Y)}$. قتله الزبير بن العوام .
- ٢ أبو سعيد بن أبى طلحة ، قتله سعد بن أبى وقاص .
 - ٣ عثمان بن أبي طلحة ، قتله حمزة بن عبد المطلب .

ابن النبل) عاصم بن ثابت ابن ابن النبل) عاصم بن ثابت ابن أبى الأفلح (Υ) .

⁽١) السيرة الطبية ج ٢ ص ٥٠ .

 ⁽٢) اسم أبى طلحة هذا (عبد الله بن عبد العزى بن عثمان عبد الدار) ، وإليه ينتسب آل
 الشيبى الذين لايزال مفتاح الكعبة في أيديهم حتى اليوم .

⁽٣) تقدمت ترجمته في كتابنا (غزوة بدر الكبرى).

- ه الجلاس (بضم الجيم) بن طلحة بن أبى طلحة ، قتله أيضاً (رمياً بالنبل) عاصم بن ثابت الأفلح .
 - ، الحارث بن طلحة بن أبى طلحة ، قتله قزمان $^{(1)}$.
- ٧ كلاب بن طلحة بن ابى طلحة ، قتله أيضاً ، قزمان ، وقال ابن
 هشام . قتله عبد الرحمن بن عوف.
- ۸ أرطأة بن شرحبيل بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار قتله
 حمزة بن عبد المطلب .
- ٩ أبو يزيد بن عمير (أخو مصعب بن عمير) بن هاشم بن عبد
 مناف بن عبد الدار ، قتله قزمان .
- ١٠ القاسط بن شريح بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ،
 قتله قزمان .
- ۱۱ صواب (غلام حبشى لهم) ، قتله قزمان ، ويقال قتله على ابن أبى طالب ، ويقال سعد بن أبى وقاص .
- ب ومن بني أسد بن عبد العزي بن قصي رجل واحد وهو:

⁽۱) هو قزمان (بضم أوله وسكون ثانية) بن الحرث ، لايدرى من أين أصله ، كان حليفاً لبنى ظفر (من الانصار) وكان شجاعاً فاتكاً ، وكان حافظاً لبنى ظفر ومحباً لهم ، وليس له ولد ولا زوجة ، العجيب أنه مات منافقاً وصرح النبى صلى الله عليه وسلم بأنه من أهل النار ، وتصديقاً لذلك ثبت أنه مات منافقاً وصرح النبى صلى الله عليه وسلم بأنه من مقال النبى صلى الله عليه وسلم (إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر) لما قام به من بطولة في مقاتلة المشركين ، وقد صرح قزمان عند موته بأنه لم يقاتل على دين وإنما قاتل قتالاً (قرمياً مجرداً) فقد جاء قوم يبشرونه بالجنة عند موته (ظناً منهم أنه قاتل على الاسلام) فقال (بماذا أبشر) ؟ والله ماقاتك إلا عن أحساب قومى ، ثم أخذ سلاحه وقتل نفسه .

۱ – عبد الله بن حميد بن زهير بن الحارث بن أسد ، قتله على ابن أبى طالب .

ج - ومن بني زهرة بن كلاب رجلان وهما:

- ابو الحكم بن الأخنس بن سريق (بفتح اوله) بن عمرو الثقفى
 والزهرى بالحلف) ، قتله على بن أبى طالب .
- ۲ سباع بن عبد العزى الغبشاني الخزاعي (الزهري بالحلف) ،
 قتله حمزة بن عبد المطلب .
 - د ومن بني مخزوم بن يقظة أربعة نفر ، وهم :
- العشام بن أبى أمية بن المغيرة (ابن عم خالد بن الوليد) قتله قزمان.
 - ٢ الوليد بن العاص بن هشام بن المغيرة ، قتله أيضاً قزمان .
 - ٣ أبو أمية بن أبى حذيفة بن المغيرة ، قتله على بن أبى طالب
 - ٤ خالد بن الأعلم (حليف لبني مخزوم) ، قتله قزمان .
 - هـ ومن بنى جمح (بضم أوله وفتح ثانيه) رجلان ، وهما :
- ۱ أبو عزة ، عمرو بن عبد الله بن عمير بن وهب (۱) أمر رسول الله عنقه بعد أن وقع في الأسر
- ٢ أبى بن خلف بن وهب ، قتله رسول الله به بيده الكريمة وهو القتيل الوحيد الذي قتله النبي بيده .

⁽۱) أبو عزة هذا هو الذي رق له الرسول صلى الله عليه وسلم وأطلق سراحة بعد أن وقع أسيراً في معركة بدر ، وعفى عنه لفقره وكثرة بناته على ان لايظاهر أحداً على رسول الله ، واكنه نكث وغدر وحرض الناس على الرسول بشعره وخرج لمقاتلته ، ولما جيء به إلى رسول الله قال : « يامحمد أقلني وامنن على ودعني لبناتي وأعطيك عهداً أن لا أعود لمثل مافعلت » فقال صلى الله عليه وسلم : والله لا تمسح عارضيك بمكة وتقول خدعت محمداً (لايلدغ المؤمن من جحر مرتين) ثم أمر به فضريت عنقه .

ز - ومن بنى عامر بن لؤي رجلان وهما:

١ -عبيدة بن جابر ، قتله قزمان .

٢ - شيبة بن مالك بن المضرب ، قتله (أيضاً) قرمان. قال ابن
 هشام، ويقال قتله عبد الله بن مسعود .

فهولاء هم قتلی المشرکین فی معرکة أحد (علی مذکره ابن اسحاق)(۱) .

أما جرحى المشركين كذلك فلم يعرف عددهم .

تنفيذ حكم الإعداد في جاسوس

وبعد عودة الرسول الله من حملة حمراء الأسد أمر بتنفيذ حكم الإعدام في معاوية بن المغيرة بن أبى العاص (وهو جد عبد الملك بن مراوان لأمه) وذلك أنه لما رجع المشركون من أحد (وكان معهم) ذهب على وجهه، ثم أتى ابن عمه عثمان بن عفان رضى الله عنه.

فلما نظر إليه قال له: اهلكتني وأهلكت نفسك ، فناشده الرحم أن

⁽۱) ويفيد سياق غير ابن إسحاق من المؤرخين أن قتلي المشركين أكثر من أثنين وعشرين، فقد ذكر ابن القيم في زاد المعاد (ج ٢ ص ٢٤٠) أن سعد بن أبي وقاص قتل ثلاثة من المشركين في الهجوم الأخير الذي اقتحم به أبو سفيان الجبل، كما أن ابن إسحاق نفسه ذكر في الحديث الذي رواه الزبير أن أبا دجانة قد قتل رجلاً من المشركين كما فصلنا ذلك في صلب الكتاب هذا تحت عنوان (الفارس نو العصابة) كما أن كعب بن مالك الصحابي الشهير روى (كما في البداية والنهاية ج٤ ص ١٧) أن أبا دجانة أيضاً قتل رجلا من المشركين: ضربه بالسيف حتى تقرق فرقتين كذلك الحارث بن الصمة قتل (أثناء الانسحاب) عثمان بن عبد الله بن المفيرة عندما حاول الهجوم على النبي صلى الله عليه وسلم (كما جاء في السيرة الطبية) ج٢ ص ٣٠ كما أن أبا دجانة أيضاً قتل (أثناء الانسحاب) عبيد الله في السيرة الطبية) ج٢ ص ٣٠ كما أن أبا دجانة أيضاً قتل (أثناء الانسحاب) عبيد الله الجارى، الذي حاول قتل الحارث بن الصمة (كما ذكر ذلك في السيرة الطبية) ج٢ ص ٣٠ كما أن أبا دجانة أيضاً قتل (أثناء الانسحاب) عبيد الله الجارى، الذي حاول قتل الحارث بن الصمة (كما ذكر ذلك في السيرة الطبية) ج٢ ص ٣٠ كما أن أبا دجانة أيضاً قتل (أثناء الانسحاب) عبيد الله الجارى، الذي حاول قتل الحارث بن الصمة (كما ذكر ذلك في السيرة الطبية) ج٢ ص ٣٠ كما أن أبا دجانة أيضاً قتل (أثناء الانسحاب) عبيد الله الجارى، الذي حاول قتل الحارث بن الصمة (كما ذكر ذلك في السيرة الحابية) ج٢ ص

يجيره ، فتركه في بيته ، ثم ذهب إلى الرسول وطلب له الأمان فوهبه له وأجله ثلاثاً ، وأقسم إن وجده بعدها قتله.

القرآن يتحدث عن المعركة

وقد تحدث القرآن الكريم عن معركة أحد بإسهاب ، فقد أنزل الله تعالى فيها ستين آية ، تناولت مجمل الأحداث والتطورات والتحولات المفاجئة والانتكاسات التي أصابت المسلمين في هذه المعركة الرهبية .

⁼ ٣٠ (كذلك عتبة بن أبى وقاص) أخو سعد بن أبى وقاص قتله حاطب بن أبى بلتعة عندما هاجم الرسول صلى الله عليه وسلم ساعة الانتكاسة وكسر رباعيته، كما ذكر ذلك فى السيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٥ أن الحارث بن الحلبية ج ٢ ص ٢٥ أن الحارث بن الصمة رأى سبعة من قتلى المشركين (أثناء الانسحاب إلى الجبل) بين يدى عبد الرحمن بن عوف فقال له (ظفرت يمينك) أكل هؤلاء قتلت؟ فقال ابن عوف ، أما هذا وهذا فأنا قاتلتهما وأما هؤلاء فقتلهم من لم أره ، ثم رجح ابن برهان الدين فى السيرة الحلبية أن يكون الخمسة الأخرون قد قتلتهم الملائكة (دفاعاً عن عبد الرحمن بن عوف) ، وقد فصلنا قصص مصارع هؤلاء القتلى فى موضعها من كتابنا هذا فليرجع إليه فهولاء خمسة عشر قتيلا من المشركين لم يذكرهم بن إسحاق فيما رواه عنه ابن هشام فى السيرة النبوية ، فعلى هذا يكون عدد قتلى المشركين (فى معركة أحد) سبعة وثلاثين لا اثنين وعشرين ، والله أعلم .

⁽ ۱) تجيز قوانين الحرب والحياد - حتى في القرن العشرين - قتل الجاسوس في أيام الحرب لخطورة عمله على مصير المقاتلين.

وأول ماتحدث عنه القرآن ، المرحلة الأولى من مراحل المعركة ، وهي الاستعاد والتجهيز والتهيؤ للقتال فقال تعالى

﴿ وإذ غنوت من أهلك تُبُوِّيءُ المؤمنين مقاعد للقتال والله سميع عليم ﴾ (١) . ثم أشار القرآن الكريم إلى فئة المنافقين الذين تمردوا على النبى ﷺ بقيادة رأس النفاق عبد الله ابن أبى الذي رجع بهم والمسلمون لايزالون في منتصف الطريق إلى أحد فقال تعالى :

﴿ وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا، قالوا لو نعلم قتالاً لاتبعناكم ، هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان ، يقولون بأفواههم ماليس في قلوبهم والله أعلم بما يكتمون (٢) ، الذين (أي المنافقين) قالوا لإخوانهم وقعلوا ، لو أطاعونا ماقتلوا ، قل فادرأوا عن انفسكم الموت إن كنتم صادقين ﴾ (٣) .

ثم يتحدث القرآن عن الانقسام الخطير الذى كاد يحدث (داخل الجيش الإسلامي قبل وصوله إلى أحد) ، بسبب تمرد المنافقين وانصراف زعيمهم بثلاثمائة منهم إلى المدينة بعد أن خرجوا مع الرسول لقتال المشركين فقال تعالى:

﴿ إِذَ هَمَتَ طَائِفَتَانَ مَنْكُ أَنْ تَفْشُلا وَاللَّهُ وَلِيهُمَا وَعَلَى اللَّهُ فَلَيْتُوكُلُ اللَّهُ مُنُونَ ﴾ (٤) .

⁽۱) أل عمران ۱۳۱

⁽۲) أل عمران أية ١٦٧

⁽٣) آل عمران ١٦٨ ،

⁽٤) أل عمران ١٢٢ ،

وقد ذكر المفسرون وأصحاب السير ، أن الطائفتين اللتين تأثرتا بوسوسة المنافقين ، فهمتا بالتمرد على النبى ، فوقاهما الله شر هذا التمرد ، هما قبيلة بنى سلمة من الخزرج وقبيلة بنى حارثة من الاوس ، وكلهم من الأنصار ، وقد تولى الله أمر هاتين القبيلتين فدفع عنهما وسوسة الشيطان ، فاستمرتا في الزحف ضمن جيش نبيهما وقاتلتا بشجاعة وإيمان وثبات حتى انتهت المعركة .

وقد أشار القرآن الكريم إلى النصر السريع الحاسم الذى حصل عليه المسلمون في الصفحة الأولى من المعركة ، ثم الفشل المريع الذي منوا به فحول نصرهم الى اندحار ، بسبب عصيان الرماة وتركهم مواقعهم في الجبل مخالفين بذلك الخطة التي رسمها الرسول القائد المعركة . فقال تعالى ﴿ ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم (أي تستأصلونهم بسلاحكم) بإذنه ﴾(١) (وهذا إشارة إلى الهزيمة التي أنزلها المسلمون بجيش مكة في أول المعركة) .

ثم أشار القرآن الى حادثة اختلاف الرماة وتجادلهم مع قائدهم حول ترك مواقعهم في الجبل بعد انتصار المسلمين في أول المعركة ، وتسبب هؤلاء الرماة في الفشل العسكرى الكبير الذي أصاب المسلمين بعد تركهم مواقعهم في الجبل فقال تعالى :

حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم من بعد ماأراكم ماتحبون ، منكم من يريد الدنيا (وهم الذين تركوا الجبل) ومنكم من يريد

⁽۱) آل عمران ۱۵۲ .

الآخرة (وهم الذين ثبتوا في الجبل حتى أبادهم فرسان خالد) ثم صرفكم عنهم (إشارة إلى الانتكاسة التي أصابت المسلمين) ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله نو فضل على المؤمنين (١).

وهذا يعنى أن الله تعالى قد عفا عن الرماة الذين تمربوا على قائدهم وتركوا مواقعهم في الجبل فسببوا النكبة . وقد تحدث القرآن كذلك عن ثبات النبى على بعد الانتكاسة ، وتحدث عن تفكك المسلمين وتبعثرهم على صعيد الهزيمة ، والفزع الذي أصابهم ، فقال تعالى :

﴿ إذا تصعدون ولاتلوون على أحد والرسول يدعوكم فى أخراكم فأثابكم غماً بغم لكيلا تحزنوا على مافاتكم ولا ماأصابكم والله خبير بما تعملون ﴾ (٢) .

وكان الرسول (بعد أن نزلت النكبة بالمسلمين وتفرقوا) قد ثبت مكانه في مقر القيادة يدعو المسلمين (وهو في مؤخرتهم) لينضموا إليه كما فصلنا ذلك في غير هذا المكان من الكتاب .

كذلك تحدث القرآن عن إشاعة مقتل النبى فى المعركة وماترتب على تلك الاشاعة من انهيار معنوى أصاب نفوس البعض من عسكر المسلمين الذين ألقى بعضهم السلاح عند سماع هذه الاشاعة ، فقال تعالى مشيراً إلى هذا ومذكراً الجميع بأن محمداً إنما هو بشر كغيره معرض للموت

⁽۱) آل عمران ۲ه۱ .

⁽٢) أل عمران ١٥٣ .

وليس خالداً في الدنيا ، فحتى لو قتل في المعركة فإنه لاينبغى لأتباعه أن يلقوا السلاح لقتله ، بل عليهم أن يحملوا السلاح ويناضلوا به في سبيل الدعوة التي جاء بها محمد فأمنوا هم بها ، والتي لايمكن أن تقتل أو تموت بقتل أو موت محمد ، فقال تعالى :

﴿ ومامحمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزى الله الشاكرين ﴾(١) .

كما أشار القرآن كذلك إلي تشوق المسلمين إلى القتال وهم بالمدينة ، وإصرارهم على الخروج منها للقاء العدو خارجها ، مخالفين بذلك رأى نبيهم الذى كان يرى التحصن بها ومقاتلة المشركين في شوارعها فقال تعالى:

ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه ، فقد رأيتموه وأنتم تنظرون (Y) .

كذلك أشار القرآن الكريم الى الذين انهزموا بعد الانتكاسة ، وانسحبوا إلى المدينة ولم ينحازوا إلى الرسول ﷺ في مقر قيادته في الشعب. فقال تعالى:

﴿إِن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استزلهم الشيطان

⁽١) آل عمران ١٤٤ ،

⁽٢) آل عمران ١٤٣ .

ببعض ماكسبوا ولقد عفا الله عنهم إن الله غفور حليم ﴾ (١) .

كذلك نبه القرآن الكريم المسلمين إلى أن ماأصابهم من نكسات فى أحد إنما هو من فعل أنفسهم وسبب التصرف الخاطىء الذى تصرفه البعض منهم وهم الرماة ، فقال تعالى :

﴿ أو لما أصابتكم مصيبة (يعى ماحدث لهم فى أحد) قد أصبتم مثليها قلتم أنَّى هذا ، قل هو من عند انفسكم ﴾(٢) .

ثم نبه القرآن المسلمين إلى أنه لاداعى للخوف والفزع من الموت ، وإن كل انسان لن يموت إلا بعد انقضاء أجله الذي قدره الله فقال تعالى:

﴿ وماكان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلاً ﴾ (٣) كذلك لفت القرآن نظر عسكر أحد من المسلمين إلي أنهم ليس أول عسكر مؤمن تعرضوا للبلايا والمحن مع أن نبيهم بينهم .

بل إن كثيراً من النبيين الذين خلوا قد تعرضوا مع جندهم لكثير من النكبات والمصائب في المعارك التي خاضوها ، ولكنهم لم يتضعضوا بل ثبتوا وقاتلوا مع أنبيائهم ولم يستكينوا ولم يهنوا لما أصاب مجموعهم من الجرح والقتل (حتى إن كان المقتول نبيهم) فقال تعالى يذكر عسكر أحد الذين أخذوا وأصابهم الدهش لإشاعة مقتل نبيهم:

﴿ وكأين من نبى قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في

⁽١) آل عمران ٥٥١

⁽۲) آل عمران ۱۹۵

⁽٣) آل عمران ه ١٤

سبيل الله وماضعفوا ومااستكانوا والله يحب الصابرين (Y), وما كان قولهم إلا أن قالواربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين(Y). (فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المصنين (Y).

كذلك أشار القرآن الكريم إلى ماتعرض له المسلمون في معركة أحد من قتل وجرح وحثهم على الثبات ، وأن لايكون لما أصابهم أى أثر على روحهم المعنوية ، وأن لا يكون ذلك مبعث حزن لهم .

ولفت نظرهم إلى أن الله تعالى قضى أن تكون الحرب سجالاً بين الناس وأن المسلمين لايمكن أن يكونوا دائما هم المنتصرين.

بل لابد من أن تدور الدائرة عليهم فى بعض حروبهم مع العدو ليتخذ الله منهم شهداء ، وليختبر إيمانهم ، لكى يعلم الصادقين الثابتين (وهو الأعلم بهم) فقال تعالى :

﴿ ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين ، إن يمسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله ، وتلك الأيام نداولها بين الناس ، وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منك شهداء والله لايحب الظالمين (٤) وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين ﴾(٥)

ثم عقب القرآن على ماأصاب المسلمين في معركة أحد من بلاء

⁽٤) آل عمران ١٣٩ . (٥) آل عمران ١٤١

ومصائب وأشار الى أن ذلك إنما هو بمثابة اختبار وامتحان تميز به الخبيث من الطيب والمؤمن من المنافق ، وتبين به المؤمن القوى من المؤمن الضعيف أيضاً فقال تعالى : ﴿ ماكان الله ليذر المؤمنين على ماأنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب ، وماكان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبى من رسله من يشاء ، فأمنوا بالله ورسله وإن تؤمنوا وتتقوا فلكم أجر عظيم ﴾(١).

﴿ أم حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين﴾ (٢) .

كذلك أشار القرآن الكريم إلى الطمأنينة والهدوء الذى أنزله الله عليهم وملاً به قلوبهم فثبتهم بعد عاصفة الغم والارتباك التي اجتاحت نفوسهم بعد النكبة ، فقال تعالى :

﴿ ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاساً يغشى طائفة منك ightharpoons .

وفعلا ثبت في جميع كتب السيرة أن النعاس جاء طائفة من المسملين بعد الانتكاسة (٤) ، فكان هذا النعاس دليل الطمأنينة وعدم الخوف ، لان النعاس لايأتي الإنسان إلا إذا كان آمناً مطمئناً .

⁽۱) آل عمران ۱۷۹ ، (۲) آل عمران ۱۶۲ ، (۲) آل عمران ۱۰۶ ،

⁽٤) قال الزبير بن العوام رضى الله عنه ، لقد رأيتنى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد ، حين اشتد علينا الخوف وأرسل علينا النوم فما منا أحد إلا وذقته فى صدره ، وعن كعب بن عمرو الانصارى ، قال ، لقد رأيتنى يومئد (فى أربعة عشر من قومي) إلى جنب رسول الله عليه وسلم وقد أصابنا النعاس أمنة منه (تعالى) مامنهم أحد إلا غط غطيطاً حتى إن الجحف (أى الدرق) تناطح ، ولقد رأيت سيف بشر بن البراء بن معرور سقط من يده ومايشعر (من النعاس)

وقد أشار القرآن أيضاً إلى طائفة من المؤمنين من عسكر أحد كانوا ضعفاء فلم يكونوا على مستوى الآخرين من حيث قوة الإيمان وثبات الجنان ، فقال تعالى فى حقهم : ﴿ وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ، ظن الجاهلية ، يقولون هل لنا من الأمر من شىء ، قل إن الأمر كله لله ، يخفون فى أنفسهم مالا يبدون لك ، يقولون لو كان لنا من الأمر شىء ماقتلنا ههنا قل لو كنتم فى بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم وليبتلى الله مافى صدوركم وليمحص مافى قلوبكم والله عليم بذات الصدور ﴾ (١)

وجمهرة المفسرين على أن هذه الاية تعنى جماعة من المنافقين كانوا قاتلوا مع عسكر الإسلام فى أحد و لكن الاستاذ الإمام محمد عبده ذهب فى تفسيره إلى خلاف هذا الرأى ، فقد ذكر عنه الاستاذ محمد رشيد رضا أنه قال :

لاحاجة إلى جعل هؤلاء فى عداد المنافقين (٢) ، لأن هؤلاء المنافقين لم يشهد منهم أحد معركة أحد ، لأنهم جميعاً قد انخذلوا ورجعوا إلى المدينة مع رئيسهم عبد الله بن أبى بن سلول ، والجيش لايزال فى منتصف الطريق إلى أحد ، ويؤيد الأستاذ الإمام رأيه هذا بكون الخطاب كله فى هذه الآيات موجهاً إلى المؤمنين ، وأن الكلام عن المنافقين إنما جاء فى ايات أخرى .

⁽۱) آل عمران ۱۵٤ .

⁽Y) مما يجعلنا نجنح إلى رأى الاستاذ الإمام أن الذي قال { لو كان لنا من الأمر شيء ماقتلنا ههنا} هو أحد السابقين في الإسلام ومن الذين شهدوا بيعة العقبة وناصروا رسول الله وأزروه، وهو (معتب بن قشير الأنصاري) وكان ممن شهد بدراً وقد غفر الله تعالى لأهل بدر ماتقدم من ننبهم وماتأخر (كما ثبت في الحديث الصحيح) .

وقد أشار الأستاذ الإمام الي أنه مامن امة إلا وفيها الأقوياء والضعفاء في الإيمان وغيره .

والحقيقة أن هؤلاء الذين أشارت اليهم الآية قد يكونون من الذين لم يكونوا (في إيمانهم) على المستوى الذي عليه الآخرون إما لكون بعضهم حديث عهد بالاسلام ، وأما لعلة أخرى ، ولله في خلقه شؤون .

وكذلك أشار القرآن الى الذين فكروا (بعد الانتكاسة وإشاعة مقتل النبى) فى الاتصال بعمدة المنافقين عبد الله بن أبى ليطلب لهم الأمان من قائد عام جيش المشركين (أبى سفيان) فحثهم وحث المسلمين جميعاً على أن يكونوا (دائماً) نوى ثبات وإيمان ، وأن لايستسلموا لإرجافات المرجفين فقال تعالى :

﴿ ياأيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على اعقابكم فتنقلبوا خاسرين ، بل الله مولاكم وهو خير الناصرين ﴾ (١)

كما أشار القرآن أيضاً (فى هذه الآيات) إلى المنافقين الذين اغتبطوا وفرحوا لما أصاب المسلمين من امتحان فى معركة أحد ، فأخذوا يتشدقون فى المدينة بأن المسلمين لو أطاعوهم ولم يخرجوا للقتال مع النبى لما قتلوا ، وحذر القرآن المجاهدين من أن يكونوا مثل هؤلاء المنافقين ، فقال تعالى :

⁽۱) آل عمرا*ن* ۱۶۹ – ۱۵۰ .

﴿ يا أيها الذين آمنوا لاتكونوا كالذين كفروا ، وقالوا لإخوانهم إذا ضربوا في الأرض ، أو كانوا غزى ، لو كانوا عندنا ماماتوا وماقتلوا ، ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم ، والله يحيى ويميت والله بما تعملون بصير ، ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون ، ولئن متم أو قتلتم لإلى الله تحشرون ﴾ (١) .

كما تحدث القرآن كذلك عن المنافقين الذين قاموا بالإرجاف في المدينة بعد المعركة قائلين إن محمداً لو كان نبياً ماانهزم وجرح فقال تعالى في حقهم:

﴿ ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر إنهم لن يضروا الله شيئاً يريد الله أن لا يجعل لهم حظاً في الآخرة ولهم عذاب عظيم ﴾(٢) .

كذلك أشار القرآن (في هذه الآيات) إلى الموقف النبيل الذي وقفه النبي عصوه وخالفوا أمره ، فتسببوا في هزيمة الجيش بعد أن رأى النصر بعينه ، وكذلك الذين تركوا ساحة المعركة (بعد الانتكاسة) ، وكيف أن الله تعالى وفق الرسول (وهو القائد الأعلى للجيش) وفقه في ذلك الظرف العصيب ، فلم يتشدد في عتب ولاتوبيخ فضلاً عن العقوبة ، فعامل هؤلاء المخالفين معاملة لين ورحمة ، كانت من أسباب تأليف الجند والتفافهم حول قائدهم النبي الحكيم فقال تعالى :

﴿ فَهِمَا رَحِمَةُ مِنَ اللهُ انْتُ لَهُم ، وأو كنت فَطْأً غَلَيْطُ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل

۱) آل عمران ۱۵۱ – ۱۵۸

على الله إن الله يحب المتوكلين (١).

كما تحدث القرآن الكريم أيضاً عن نجاح حملة المطاردة الجريئة التى قام بها النبى (بجيش احد) لمطاردة أبى سفيان فأثنى الله تعالى على رجال هذه الحملة وهم (فقط) عسكر أحد الذين أجابوا دعوة الاستنفار مطيعين الله ورسوله بالرغم مما بهم من جراح لاتزال دماؤها تسيل فقال تعالى: ﴿ الذين استجابوا لله والرسول من بعد ماأصابهم القرح ، للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم ، الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ، فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ؤه فضل عظيم ﴾ (٢) .

كذلك بين الله تعالى (في هذه الآيات) منزلة الشهداء الذين يسقطون صرعى في سبيل الله دفاعاً عن دين الله وعقيدة الإسلام، فقال تعالى: ولاتحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون، فرحين بما أتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولاهم يحزنون، إيستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لايضيع أجر المؤمنين ﴾ (٣).

⁽۱) آل عمران ۹ه۱ .

⁽Y) آل عمران ۱۷۲ – ۱۷٤ .

⁽٣) آل عمراڻ ١٦٩ – ١٧١ .



القصل التاسع

نظرة وتحليل ومقارنة

لقد كانت حوادث معركة أحد سلسلة من الامتحانات أخذ بعضها برقاب بعض، فقد كان يوماً تخالفت فيه المحن والبلايا على المسلمين وكأن هذه المحن والبلايا مختبر أراد الله أن يصهر فيه جوهر جيش محمد ليتميز فيه الطيب من الخبيث ، كما أشار القرآن الكريم إلى هذا بقوله ﴿ ماكان الله ليذر المؤمنين على ماأنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب ﴾ .

مقارنة بين بدر وأحد

وإذا كان الوبّام والاتفاق ومراعاة الانضباط العسكرى وعدم الشغب على القائد الأعلى النبى ، وعدم مخالفته قد واكب المسلمين (في غزوة بدر) منذ تحرك الجيش الإسلامي من المدينة حتى رجوعه إليها ، فإن المسلمين في (غزوة أحد) قد صاروا يواجهون المتاعب والاختلاف منذ بدأ جيشهم في التحرك من المدينة نحو العدو في أحد بل قبل أن يتحرك هذ الجيش .

وقد كانت أولى هذه المتاعب الاختلاف الذي حدث بين القائد الأعلى النبى (يوافقه عبد الله بن أبى زعيم الخزرج) وبين جمهرة قادة الجيش، يؤيدهم الشباب الذين فاتهم شرف الاشتراك في معركة بدر.

وذلك عندما طرح النبي ﷺ – على بساط البحث ، موضوع ملاقاة

العدو، في المؤتمر الاستشاري (١) العلني الذي عقد بالمدينة مع أعيان الجند وقادة الجيش، والذي استجاب فيه الرسول الشاري الأغلبية، وهو الخروج لملاقاة المشركين خارج المدينة، على الرغم من أن هذا الرأي مخالف لرغبة القائد الأعلى النبي الذي كان يحبذ التحصن بالمدينة ومقاتلة المشركين في شوارعها إن هم قاموا بالهجوم عليها (٢).

استمرار الخلافات داخل الجيش

ثم تلا هذا الخلاف (الذي لم يكن فيه أي خطر على سلامة الجيش الإسلامي) خلاف أكبر وهو الانشقاق الخطير الذي كاد يكون له أسوأ الأثر على وحدة الجيش قبل وصوله الى العدو، ذلك هو التمرد الذي حدث في الجيش النبوى، والذي قاده (في احرج الظروف) رأس النفاق عبد الله بن أبى، كما فصلنا ذلك فيما مضى من هذا الكتاب في موضعه.

كما نتج عن تمرد المنافقين ورجوعهم إلى المدينة متاعب وامتحانات تعرض لها القائد الأعلى النبى وصحبه ، وذلك عندما همت وحدات من الجيش الإسلامي بالتمرد متأثرة بوساوس المنافقين ودسائسهم لولا أن الله تعالى تولى هذه الوحدات وربط على قلوب أفرادها ، فعانوا إلى صوابهم وثبتوا على إيمانهم وولائهم لنبيهم وقائدهم على أعصلنا ذلك فيما مضى.

⁽١) عقد النبى صلى الله عليه وسلم هذا المؤتمر في الرابع عشر من شوال سنة ثلاث من الهجرة

 ⁽۲) هذا مثال رائع للشورى ، وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يأخذ بأراء أصحابه فى
 السلم والحرب على حد سواء .

كذلك (ونتيجة لتمرد المنافقين وانسحابهم إلى المدينة) ظهر رأى نادى به بعض قادة الجيش ، لو نفذ لعاد بأوخم النتائج على المسملين قبل أن يصلوا إلى أحد .

فقد نادى بعض القادة بضرورة تأديب المنافقين المتمردين الخونة ، والقضاء عليهم قبل أن يلقى المسلمون عدوهم بأحد ..

ولكن حكمة الرسول صلى الله وهدومه وبعد نظره وخبرته العسكرية وحنكته السياسة حالت دون تنفيذ هذ الرأى ، فترك المتمردون وشائهم وواصل المسلمون سيرهم حتى عسكروا بالشعب من أحد ،

وبالرغم من تلك الهزات الخطيرة الى تعرض لها هذا الجيش الفتى (قبل أن يشتبك بعنوه) فإنه ظل متماسك الأجزاء رابط الجأش على غاية من النظام والانضباط.

وعند احتدام المعركة قاتل هذا الجيش ببسالة وايمان منقطع النظير فقد أظهر من ضروب الشجاعة والبطولة ماقد يظنه البعض من ضروب الخيال .

فالبرغم من تفوق جيش مكة عليه في كل شيء مادى تفوقاً ساحقاً أنزل هذا الجيش المعنير الهزيمة المزلزلة بذلك الجيش المكي الضخم في الساعات الأولى من المعركة .

ولكن هل انتصر المشركون حقاً ؟

ولكن إذا كان الجيش الإسلامي قد خرج سليماً من كل ماتعرض له من بلايا الخلاف والتمرد قبل أن يصل الى معسكره في أحد ، فإنه لم

يستطع النجاة من نكبات مخالفة الأوامر التي حدثت في بعض وحداته وهو في أوج نصره وذروة ظفره.

فقد جلت الرماة بمخالفتهم الأوامر ، تلك النكسة المريعة التي تلتها سلسلة من الفجائع والنكبات ، التي كاد يودي فيها بحياة النبي الأعظم

تلك النكبات التى انتهت بفقدان سبعين شهيدا من جند الإسلام ، وأضاعت النصر الذى سجله المسلمون في أول المعركة ، ثم سجلت للمشركين نصراً ماكنوا يتوقعونه أبداً .

ولكن هل انتصر المشركون حقا ؟.

مما لاجدال أن الانتكاسة التي أصابت جيش الإسلام بعد حادثة الجبل ، كان مريعة .

وقد ترتب عليها ماترتب من خسائر فادحة فى الأرواح ، وضياع مكاسب عظيمة ، هى الانتصارات السريعة الحاسمة التى سجلها جند الاسلام فى الصفحة الأولى من المعركة ، وتخليص جيش مكة من كارثة محققة ، كان من المؤكد أن تكون أعظم من الكارثة التى نزلت به فى معركة بدر ، لولا غلطة الرماة .

ولكن هل الذى حدث يمكن اعتباره (من الوجهه العسكرية) نصراً للمشركين (بمعنى كلمة النصر) وهزيمة المسلمين (بمعنى كلمة هزيمة) ؟؟.

يرى كثير من المؤرخين (وإن شئت قل أكثرهم) أن مانتهت إليه

معركة أحد هو نصر المشركين واندحار المسلمين بكل معانى كلمة نصر واندحار.

المشركون لم ينتصروا حقاً

والذي نراه (ولكل رأيه) أن المشركين لم يكونوا منتصرين في معركة أحد بالمعنى المتعارف عليه في الحروب ، وكذلك المسلمون لم يكونوا · منهزمين في هذه المعركة ، بالمعنى المتعارف عليه ، وخاصة في ذلك العصر.

وكل ما في الأمر أن المسلمين كانوا هم المنتصرين في ابتداء المعركة حيث ركبوا المشركين وطريوهم عن معسكرهم وأحاطو بنسائهم واستولوا على كل مافى المعسكر بعد أن عفروا لواعهم في التراب إثر القضاء على الفصيلة التي كانت مسئولة عن حمله.

ثم حدثت الانتكاسة بعد تمرد الرماة ، فاضطربت صفوف المسلمين وأضاعوا النصر الذي أحرزوه ودخلت المعركة في طور جديد ، تغيرت بعده موازين القوي وعادت الريح للمشركين .

إلا أنه بالرغم من هذا التحول المربع فإن المسلمين لم ينهزموا كما انهزم المشركون الذين ولوا الأدبار وتركوا معسكرهم ونساهم تحت رحمة جند الإسلام ولواهم مطروحا على التراب في الصفحة الأولى من المعركة.

بل إنهم (أى المسلمين) إلا قليلاً منهم ، ظلوا يقاتلون بضراوة ليشقوا طريقهم وسط طوابير العدو المحيطة بهم ، للاتصال بقائدهم والالتفاف حوله من جديد ، مما جعلهم يدفعون الثمن غالياً وهو سبعون قتيلاً وعشرات من الجرحى ، حتى نجحوا في الوصول إلى نبيهم وتحلقوا

حوله ، وأقاموا خطاً جديداً للقتال صمدوا به فى وجه القرشيين وظلوا بقيادة نبيهم يقاتلون قتالاً مريراً ، مما أحبط كل المحاولات اليائسة التى قام بها المشركون للقضاء على المسلمين أو تشتيتهم من جديد .

وخاصة بعد أن تجمع المسملون حول قائدهم وأخنوا في إنشاء سور من رجالهم تكسرت عليه كل هجمات المشركين الضارية كما تتكسر الأمواج على الصخور ، مما حمل المشركين على الياس والانسحاب من الميدان دون أن يتمكنوه من أسر رجل واحد من المسلمين .

فهل الجيش الذى انسحب يائساً من الميدان (وعلى جناح السرعة) تاركاً مكان المعركة لتسعين في المائة من الجيش الذى اشتبك معه وهو مدجج في سلاحه دون أن يقوى على نزع سلاح واحد منهم ، ووضعه في الأسر .. هل هذا الجيش الذي شائه هكذا يعد منتصراً ؟؟.

أدلة الانتصار الحقيقي

إن من الأدلة التى تثبت بها الجيوش انتصارها (وخاصة فى ذلك العصر) الأسرى والغنائم .. كذلك تحطيم قوة العدو تحطيماً لايمكنه من القيام بأية مقاومة ، ثم السيطرة علي مكان المعركة والبقاء فيها يومين أو ثلاثاً على الأقل ، ليثبت الجيش المنتصر أنه منتصراً حقاً وأنه سيد الموقف تماماً ، وإن خصمه قد تحطم وام تبق له أية قوة فى مكان المعركة يمكنها التحرك .

كيف انتصر المسلمون في بدر ؟

وذلك كما فعل المسملون فى معركة بدر ، فإنه قد وقع فى أيديهم سبعون أسيراً وغنائم كثيرة جداً ، عادوا بالجميع إلى المدينة ، واشتهر أمر كل هذا بين العرب جميعاً .

كما أن المسلمين بعد تحطيم الجيش المكى فى بدر ، مكثوا فى مكان المعركة ببدر ثلاثة أيام مسيطرين على الميدان سيطرة تامة ، فأثبتوا بذلك أنهم منتصرون فعلاً .

يضاف إلي هذا أن جيش مكة في بدر قد تمزق شر تمزق ، فقد تبعثر رجاله (منهزمين) في الوهاد والوديان وفروا إلى مكة فرادى وعلى غير نظام .

انسحاب أشبه بالفرار

أما جيش مكة الذى خاض معركة أحد (والذى يقال إنه قد انتصر) فإنه قد عاد إلى مكة وليس معه أسير واحد ، ولا أى شيء يمكن تسميته غنيمة ، كما أنه ترك مكان المعركة على عجل .

بينما ظل جيش الإسلام (الذي يقال إنه قد انهزم) مرابطاً في مكان المعركة بأحد حول قائده الأعلى مسيطراً على الميدان سيطرة تامة ، مما مكنه من دفن شهدائه وإسعاف جرحاه والانسحاب إلى المدينة في حالة هدوء وانتظام .

وقد كان انسحاب أبى سفيان من مكان المعركة بأحد أشبه بالفرار.

ولاشك أنه قد اغتنم فرصة الانتكاسة التى سببتها للمسلمين غلطة الرماة ، فسارع بالانسحاب (فى غمرة هذه الانتكاسة وبعد أن يئس من القضاء على المسلمين)خوفاً من أن ينظموا صفوفهم من جديد ويقوموا بهجوم مضاد قد ينزل بجيش مكة هزيمة ساحقة .

ومما يدل على قلق أبى سفيان أثناء انسحابه ، وأن هذا الانسحاب أشبه بالفرار ، هو أنه لم يجرؤ على الاقتراب من المدينة التى كانت على بعد خطوات من جيش مكة ، والتى كانت مفتوحة تماماً وخالية من كل حراسة إسلامية ، حيث لم يكن بها من الرجال سوى اليهود والمنافقين ، وقلة قليلة من رجال المسلمين الذين كان أكثرهم عاجزاً عن القتال تركهم النبى على مع النساء والأطفال .

فكانت الظروف مواتية لأبى سفيان تماماً ، للإغارة على المدينة ، وأو لأخذ بعض الغنائم واعتقال بعض الأسرى وأخذ بعض السبايا ، ليعود بالجميع إلى مكة ، لكى يظهر بمظهر الغالب المنتصر ، نعم كانت الظروف مواتية لأبى سفيان لأن يفعل هذا على الأقل ، لاسيما أن المدينة وقت ذاك كانت مليئة باليهود والمنافقين الذين (بالرغم من الحلف الذي بينهم وبين المسلمين) كانت قلوبهم مع المشركين .

واكن أبا سفيان كان في شاغل عن كل هذا (كما هو في الواقع) كان مشغولاً بالنجاة بجيشه لئلا يدخل مرة أخرى في معركة من هؤلاء الذين خبر ضراوتهم وشدة مراسهم في اول المعركة ، يؤيد قوانا هذا فرار أبي سفيان وعدم ثباته أمام هذا الجيش الذي ظنه الناس منهزماً ، وقد خرج لمطارته بقيادة النبي في حملة حمراء الأسد صبيحة اليوم الثاني لمعركة أحد .

فما انتهت إليه (إذن) معركة أحد لايمكن (من الناحية العسكرية أو السياسية) اعتباره نصراً مؤزراً لجيش مكة أو هزيمة (بمعنى كلمة هزيمة) لجيش المدينة .

نعم كانت خسارة المسلمين في معركة أحد خسارة باهظة في الأرواح (بالنسبة لخسارة المشركين) حيث بلغ عدد قتلى المسلمين ضعفى عدد قتلى المشركين (تقريباً).

نتائج المعارك لاتقاس بالخسائر

فالمسألة (إذن) ليست أكثر من أن خسارة المسلمين في الأرواح هي أكثر من خسارة المشركين فحسب، ولكن هذا (من الناحية العسكرية) لايمكن لأي خبير عسكري أن يعتبره نصراً للمشركين وهزيمة للمسلمين.

قال اللواء الركن محمود شيت خطاب في كتابه (الرسول القائد) ص ١١٩ ، الطبعة الثانية:

أنا لا أتفق مع المؤرخين في اعتبار نتيجة غزوة أحد نصراً للمشركين واندحاراً للمسلمين ، لأن مناقشة المعركة عسكرياً تظهر انتصار المسلمين على الرغم من خسائرهم الفادحة في الأرواح في هذه المعركة ، ثم يقول اللواء خطاب .. ونبدأ المناقشة من الوجهة العسكرية البحتة لإظهار نتائج غزوة أحد .

لقد انتصر المسلمون فى ابتداء المعركة حتى استطاعوا طرد المشركين من معسكرهم والإحاطة بنسائهم وأموالهم وتعفير لوائهم ، ولكن التفاف خالد بن الوليد وراء المسلمين وقطع خط رجعتهم وهجوم المشركين من الامام جعل قوات المشركين تطبق – من كافة الجوانب – على قوات المسلمين .

هذا الموقف في المعركة جعل خسائر المسلمين تتكاثر . ولكن بقى النصر بجانبهم إلى الآخر ، لأن نتيجة كل معركة عسكرية لاتقاس بالخسائر في الأرواح فقط ، بل تقاس بالحصول على هدف القتال الحيوى ، وهو القضاء على العبو ، مادياً ومعنوياً .

فهل استطاع المشركون القضاء على المسلمين مادياً ومعنوياً ؟ يجيب اللواء خطاب على هذا التساؤل بقوله:

إنَّ حركة خالد كانت مباغتة للمسلمين بلاشك ، وقيام المشركين بالهجوم المقابل وإطباقهم على قوات المسلمين من كافة الجوانب ، وهم متفوقون بالعدد إلى خمسة أمثال المسلمين .

كل ذلك كان يجب أن تكون نتائجة القضاء الأكيد على كافة قوات المسلمين ، ولايمكن أن يعد التفاف قوة متفوقة تفوقاً ساحقاً على قوة صغيرة أخرى من جميع جوانبها ، ثم نجاة تلك القوة الصغيرة بعد إعطاء خسائر عشرة بالمائة من موجودها إلا انتصاراً لتلك القوة الصغيرة .

ولايمكن اعتبار فشل تلك القوة الكبيرة في القضاء على القوة الصغيرة (مادياً ومعنوياً) في مثل هذا الموقف الحرج للغاية إلا فشلاً لها.. هذا من الناحية العسكرية .

أما من الناحية المعنوية فيقول اللواء الركن (خطاب): إن قريشاً لم تستطع أن تؤثر على معنويات المسملين أيضاً ، وإلا لما استطاعوا الخروج لمطاردتهم بعد يوم فقط من يوم أحد ، دون أن تتجرأ قريش على لقائهم بعيداً عن المدينة ، خاصة إن الرسول قد خرج للقاء قريش بقوته التي اشتركت (فعلاً) بمعركة أحد ، دون أن يستعين بغيرهم من الناس » .

وقال مولانا محمد على (1) في كتابه (حياة محمد ورسالته) (1) ص (1) م(1)

أنه لما ينم عن جهل بالوقائع التاريخية أن يستنتج المرء أن المسلمين هزموا في معركة أحد .. صحيح أن المسلمين منوا بخسائر باهظة ، ولكن من الثابت – بالقدر نفسه – أن قريشاً أكرهت على العودة خائبة أيضاً ، وهل نقع في صفحات التاريخ على حادثة انتصار واحدة أثبت فيها العدو المغلوب إقدامه في الميدان وانقلب الجيش المنتصر عائداً إلى وطنه من غير أن يأسر أسيراً واحداً ؟؟ ووجد فيها العدو المنهزم الجرأة على مطاردة المنتصرين في غد بعد بضع ساعات من المعركة ليس غير ؟.

على حين ولى المنتصرون الأدبار لدى سماعهم نبأ المطاردة ؟؟ ثم يقول (مولانا محمد على):

ليس من شك أن المسلمين اجتازوا هذه المعركة بمحن قاسية ، لقد جرح الرسول نفسه جراحات بليغة ، بل لقد سرت شائعة تقول إنه قتل، وبذلك خُيل الى القوم أن أمر الإسلام قد انتهى قولاً واحداً .

ثم يختتم مولانا محمد على نقاشه هذا بقوله:

⁽١) لم اطلع له على ترجمته ،

⁽٢) كتب المؤلف هذا الكتاب بالإنكليزية ونقله إلى العربية الأستاذ منير البعلبكي .

« إن العدوقد يهلل ابتهاجاً لما يتراى فى ناظريه قضاء على الإسلام واكن القلب المسلم يجب أن يظل ناعماً بالطمأنينة ، فالاسلام خالد لايموت ، وكل مصيبة تلم به مهما تكن عظيمة لابد أن تحمل إليه انتصاره الحقيقى متنكراً بقناع »

الصفحات الثلاث

لاشك أن الصفحات البارزة في معركة أحد ، هي ثلاث صفحات :

انتصار المسلمين الخاطف السريع في الصفحة الأولى من العركة .

٢ – انتكاسة المسلمين وتطويق جيشهم وضياع النصر الذي سجلوه
 في أول المعركة .

٣ - تماسك المسلمين من جديد وانتصارهم (أخيراً) على المشركين بالحيلولة بينهم وبين الحصول على هدفهم الرئيسى من الغزو، وهو القضاء على المسلمين مادياً ومعنوياً وإجبار هؤلاء المشركين على الانسحاب من ميدان القتال دون أن يسجلوا مايمكن تسميته نصراً بالرغم من المركز المتاز للغاية الذي حصلوا عليه بعد معركة خالد بن الوليد وتطويق الجيش الاسلام.

أ - أسباب انتصار المسلمين أول المعركة

لاشك أن الفوارق المادية بين الملتحمين في معركة أحد كبيرة جداً.

فالمشركون إذا كان جيشهم قد بلغ (في غزوة بدر) ثلاثة أضعاف جيش المسلمين ، فإن جيش مكة قد بلغ (في معركة أحد) أكثر من أربعة أضعاف جيش المسلمين مع التفوق الساحق في جودة السلاح ووفرته ووسائل الوقاية الحربية من دروع ومغافر ، يضاف إلى ذلك (وهو الأهم) وجود مائتي فرس في جيش مكة يقودها أمهر الفرسان بينما لايوجد لدى المسلمين من سلاح الفرسان سوى فرس واحد أو فرسين على الاكثر .

ولكن مع هذا التنظيم والقوة الهائلة التي استغرق إعدادها وتنظيمها سنة كاملة ، انتصر الجيش الاسلامي في المرحلة الأولى من المعركة ، وشتت هذا الجيش الصغير ذلك الجيش الضخم وأنزل به هزيمة كادت تكون ساحقة ، لولا نجاح حركة التفاف فرسان خالد .

فما هى (إذن) الأسباب الرئيسية التى مكنت هذا الجيش الصغير من تسجيل ذلك النصر السريع المذهل على ذلك الجيش الضخم الهائل المسلح أقوى تسليح ؟؟.

لاشك أن السبب الرئيسي في ذلك هو: العقيدة .

فالعقيدة هي (دائماً) السبب الرئيسي في كل نصر يحرزه المسلمون على أعدئهم في ذلك العصر .

فقد كان محمد ﷺ وأصحابه يخوضون المعارك وهم (كما قلنا في تحليل أسباب نصرهم في بدر) على صلة وثيقة بربهم ، حيث أن السبب الرئيسي الذي يجعلهم يبذلون الأرواح رخيصة ، ويسيرون إلى المعارك

فرحين مستبشرين ، هو يقينهم بأن أسعد الناس الذي يكون محل رضا الله تعالى ورحمته وإنعامه في عالم الخلود (العالم الآخر) هو الذي يفقد حياته مقاتلاً في سبيل إعلاء كلمة الله (١).

فالعقيدة الصافية التي جاء بها الإسلام ، هي (دائماً) السلاح الأول الذي كان يعتمد عليه أصحاب محمد في كل المعارك .

والعقيدة هي (بونما جدال) المصدر الأول للروح المعنوية التي كان – ولايزال – القادة العسكريون يعتبرونها (حتى اليوم) لازمة للجند قبل العتاد والذخيرة .

فالقوة المادية مهما كانت ضخمة وعظيمة ومنظمة ، فإنه لاتفيد أصحابها شيئاً مالم يكونوا متسلحين بعقيدة يؤمنون بها ويرون الموت في سبيلها سعادة واعتزازاً .

وقد رأينا ولانزال نرى (حتى اليوم) رجالاً جمعت بينهم العقيدة حققوا مايشبه المعجزة ، حيث تغلبوا بسلاح القرن العاشر (في معارك ضاربة) على خصومهم الذين يحملون أفتك أسلحة القرن والعلوم العسكرية تفوقاً ساحقاً .

وهكذا فإن المسلمين في معركة أحد كانوا يمتازون على خصومهم (في الدرجة الأولى) بالعقيدة الصادقة والمبدأ الراسخ الثابت السليم،

⁽۱) ولا أدل على ذلك من أن أحد كبار الصحابة (وهو عبد الله بن جحش الأسدى) تضرع إلى الله أن يقتله المشركون بل وأن يمثلوا به (كما ثبت في كتب السيرة) كذلك طلب عمرو بن الجموح من رسول الله أن يسمح له بالأشتراك في معركة أحد (بعد أن منعه أبناؤه لكبر سنه ولعرج شديد برجله) فأصر على الاشتراك في المعركة قائلا: إني لأرجو أن أطأ بعرجتي هذه الجنة)، وقد استشهد الإثنان في معركة أحد ، والأمثلة على ذلك كثير

فالعقيدة هي التي دفعت بهم إلى خوض المعركة في استبسال وثبات وتضحية .

جيش بلا عقيدة

بينما خصومهم من المشركين لا يحملون أية عقيدة تحفزهم على الاستبسال واسترخاص الأرواح ، فهم مشركون لايربطهم أى سبب بالله تعالى .

فليس بينهم من يحمل الاعتقاد بأنه يقاتل في سبيل الله ، وأن مصيره الجنة إن هو قتل . والاعتقاد باتساع رقعة مجال عقيدته وحملها إلى العالم إن هو انتصر .

وإنما كان جيش مكة خليطاً ، بعضه لايدرى لماذا يقاتل ، وبعضه من المرتزقة الذين من طبيعة حياتهم العيش على السلب والنهب ،

والبعض الآخر (وهم الأقلية من قادة الجيش ومفكريه) خرجوا للدفاع فقط عن مراكزهم القيادية المهددة بالانهيار داخل قبيلة قريش العظيمة ، التى هى الأخرى صارت منزلتها الممتازة مهددة بالانهيار أيضاً بين جميع قبائل العرب .

فحشر هؤلاء القادة هذه الجموع ، بغية استخدامها للإطاحة بالنبى ودينه الجديد الذي هو المصدر الحقيقي لذلك التهديد .

وهكذا فإن جيش مكة (بالرغم من صرف سنة كاملة فى إعداده وتنظميه) كان غير صالح (من الأساس) لتسجيل أى نصر على جيش النبى محمد ﷺ .

والسبب في ذلك أن جيش مكة كان يفقد كل العناصر الاساسية التي من توفرها لأى جيش يطمع قادته في تحقيق النصر الحقيقي على أعدائهم ، وهي (أي العناصر الأساسية التي كان الجيش المكى خلواً منها:

- ١ وحدة الهدف.
- ٢ وحدة الجيش.
- ٣- وحدة العقيدة ..

٤ - وبالتالى الإيمان بصدق هذه العقيدة الذى يجعل حاملها يوقن
 فى قرارة نفسه بأن خذلان هذه العقيدة والنكول عن الحرب فى سبيلها
 جريمة عقوبتها العذاب الشديد الطويل فى جنهم (١).

بينما كل هذه العناصر الاربعة (التي كانت مفقودة في الجيش المكي) متوفرة كاملة في جيش المدينة ، فلا غرابة (إذن) في أن يسجل ذلك الجيش الصغير هذا النصر السريع على ذلك الجيش الضخم في الصفحة الأولى من المعركة .

بل أن يَحُولَ هذا الجيش الصغير (حتى بعد الانتكاسة) بين جيش مكة القوى الضخم وبين تحقيق أى هدف من أهدافه الرئيسية ، حيث ظل يقاتل بشراسة وعناد حتى أجبر جيش المشركين – الذى أعطته غلطة الرماة مركزاً ممتازاً – على الانسحاب راضياً من الغنيمة بالإياب .

⁽١) كما هو الحال عند المسلمين الذين يعتبر عند المسلمين الذين يعتبر عندهم الفرار عند =

ب- أسباب الانتكاسة

وإذا رجعنا إلى أسباب الانتكاسة التي أصابت المسلمين (أو الهزيمة كما يسميها البعض) لوجدنا أن أهم هذه الأسباب أربعة:

١ - عصيان الرماة

فمما لاجدال فيه وكاد يجمع عليه المؤرخون ، هو أن أهم أسباب الانتكاسة هذه عصيان الرماة (۱) الذين خالفوا الخطة المرسومة لإدارة المعركة ، فتمربوا على قائدهم عبد الله بن جبير ، وتركوا مواقعه فى الجبل للاشتراك مع أخوانهم فى جمع الغنائم قبل أن يسيطر جيش المدينة على ميدان المعركة سيطرة تامة ، مما مكن خالد بن الوليد – قائد سلاح الفرسان فى جيش مكة – من اقتحام معقل الرماة فى الجبل والقضاء على العشرة الباقين منهم ، ثم الانقضاض على مؤخرة المسلمين الذين كان الكثير منهم مشغولاً بجمع الغنائم – وضربهم من الخلف بسرعة فائقة ، وإعطاء المنهزمين من عسكر مكة الإشارة بأن يعطفوا على المسلمين – وسط حزام من فرسان العدو ومشاته ، فوقع الارتباك فى صفوفهم وانفرط عقد خظامهم ، حتى صار بعضهم يضرب بعضاً من الدهش ، فكانت مخالفة

⁼ الزحف من أكبر الكبائر التي يتعرض فاعلها للعذاب الشديد في جهنم ، كما نص على ذلك القرآن الكريم في الآية ١٦ ، ١٧ من سورة الانفال : { يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تواوهم الأدبار ، ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومؤاه جهنم وبئس المصرير } .

⁽١) ذكرنا (في أول هذا الكتاب عند التعرض لذكر تعبئة الجيش الإسلامي) أن الرسول صلى الله عليه وسلم وضع في الجبل خمسين رامياً وأوكل إليهم مهمة حماية مؤخرة المسلمين ، فانظر تفاصيل هذا الموضوع في اول الكتاب تحت عنون (كتيبة في الجبل

الرماة للأوامر النبوية والخروج عن الخطة المرسومة ، خطأ كبيراً كان من أهم أسباب النكبة .

رأي آخر لضابط عسكري عراقي

قال اللواء الركن محمود شيت خطاب في كتابه (الرسول القائد) :

أخطأ رماة المسلمين في مخالفتهم لأوامر الرسول وانسحابهم من مواضعهم الأصلية لجمع الغنائم ، ولولا انسحابهم لما استطاع خالد ابن الوليد تطويق مؤمؤخرتهم ولما استطاعت قريش تطويق المسلمين ، ثم قال :

إن مخالفة الأوامر في أحد ، درس في نتائج كل مخالفة عسكرية للأوامر في الحرب وإن نتائجها المعروفة كافية لغرس هذا الدرس لكيلا يعود أحد لمثلها .

وقال اللواء خطاب في موضع آخر من كتابه المذكور:

تنفيذ الأوامر ، هو الضبط العسكرى الذى يعتبر روح الجندية والسبب المباشر لكل انتصار في كل معركة ، ومخالفة الرماة في ترك مواقعهم والإسراع لحمل الغنائم خطأ كبير وقع فيه المسلمون (حينذاك) إذ كشف العبو ظهورهم ، فاستفاد خالد من هذه الفرصة السانحة لتطويقهم من الخلف مما أدى إلى الإطباق عليهم من كافة الجهات .

٢ - الانشغال بالغنائم

كذلك من أسباب الانتكاسة انشغال كثير من المسلمين بجمع الغنائم ، والكف عن مطاردة المشركين بعد إنزال الهزيمة بهم في الصفحة الأولى من المعركة .

وقد توقف الكثير من المسلمين عن مطاردة المشركين ، وانشغلوا بجمع الغنائم التى ازدحمت بها أرض معسكرهم مما خفف على جيش مكة المنهزم من وطأة الهزيمة ، وجعل المنهزمين لايوغلون فى الفرار كثيراً ، وهذا هو الذى جعلهم يدركون حركة الالتفاف التى قام بها سلاح الفرسان القرشى بقيادة ابن الوليد ، ويستجيبون (بسرعة) لندائه ، بعد الصيحة التى أرسلها رجاله عند القيام بهذه الحركة الخطيرة ، فقاموا بهجوم مضاد ، أوقع المسلمين بين نارين ، مما أضاع عليهم ثمرة نصرهم ، وأنزل بهم النكبة الموجعة .

وأعتقد أن حركة خالد ستكون فاشلة ، لو أن المسلمين لم ينشغلوا بجمع الغنائم، وشدوا على المشركين واغتنموا فرصة الذعر والهلع الذي أصابهم (ساعة انهزمهم) فتابعوا مطاردتهم بنفس القوة التي ركبوهم بها عند أول الهزيمة ، حتى يبعدوهم عن ساحة المعركة ولو لعدة أميال .

فلو أن المسلمين فعلوا ذلك لتمكنوا (على ماأعتقده) من القضاء على الجيش المنهزم، أو تشتيت شمله تشتيتاً كاملاً (على الأقل) والتمكنوا (أيضا) من الحيلولة بين جيش مكة وبين معرفة حقيقة حركة خالد.

لأن جيش مكة إذا كان على بعد عدة أميال لايمكنه سماع صوت خالد ، بل واو سمعه (وهو على هذه المسافة من البعد) لما أمكنه أن يقوم بما قام به من الاستجابة السريعة لمشاركة خالد بن الوليد في عملية التطويق الناجحة .

وبهذا يسهل على المسلمين القضاء على حركة خالد (فيما لو قام بها) ، لأن مائتى فارس منعزلين لايمكنهم الصمود في وجه المسلمين (وخاصة عندما يكونون في أوج نصرهم) .

بل قد لايجرؤ خالد بن الوليد على القيام بحركة الالتفاف التي قام بها ، لو أن جمهرة الجيش الاسلامي تابعت مطاردتها لجيش مكة المنهزم ولم تشتغل بجمع الغنائم .

بل قد لايغادر الرماة مواقعهم في الجبل لو أن إخوانهم المنتصرين لم ينشغلوا بجمع الغنائم ، فقد شجع الرماة على مغادرة مواقعهم مارأوه من كثرة الغنائم التي رأوا إخوانهم يتسابقون لجمعها .

قال صاحب كتاب (الرسول القائد) عند تعرضه لذكر أسباب انتكاسة المسلمين في أحد:

لم يقم المستلمون بالمطاردة في الصفحة الأولى من المعركة بعد انهزام المشركين بعيداً عن معسكرهم ، بل انشغلوا بالغنائم ، ولو أنهم قاموا بالمطاردة (فوراً) بعد انهزام المشركين لقضوا على قوتهم بسهولة ، من بعد ذلك يعوبون لجمع الغنائم .

وقال اللواء الركن (خطاب) في موضع آخر من كتابه المذكور:

وقد أخطأ المسلمون في عدم مطاردتهم للمشركين بعد فرار المشركين من مواضعهم وابتعادهم عن معسكرهم والتفاف المسلمين حول نساء المشركين ومواشيهم وإبلهم في الصفحة الأولى من المعركة ، ولو قام المسلمون بالمطاردة إلى مسافة عشرة أميال على الأقل ، لأوقعوا بالمشركين خسائر فادحة ولانتهت معركة أحد إلى نتائج في مصلحة المسلمين .

٣ - المباغتة

مما لانزاع فيه (بين خبراء الحرب) أن المباغته لها رد فعل خطير في نفوس من تحدث ضدهم ، فالمباغتة من أخطر أساليب الحرب التي تتبع (حتى هذا اليوم) لقلب موازين القوى وإحداث التحولات السريعة المفاجئة في سير المعارك .

وكم كسب كثير من القادة الجولة الأخيرة ، بسبب قيامهم بمباغتات . (ضد خصومهم) أثناء المعارك من كمين أو هجوم غير متوقع (١) .

⁽١) يروى التاريخ أن الإمبراطور نابليون (بونابرت) لم يهزمه ويشتت شمل جيشه (بعد أن كان قاب قوسين أو أدنى من النصر) في معركة (واتراق) الشهيرة التي خاضها ضد الإنكليز وحلفائهم بقيادة الضابط الإنكليزي (وانجتون) -لم يهزمه سوى المباغثة وذلك أنه بينما كان فرسان نابليون يقتحمون أسوار قلعة (كاتربرا) التي تحصن فيها الإنكليز، وبينما أعصاب المدافعين عن القلعة أخذت في الانهيار ، بعد أن نجح نابليون في تحطيم الأسوار والدروع ، ونجحت طلائع جيشه في الوصول إلى داخل صفوف الإنكليز في التل وشطر الجيش الإنكليزي إلى شطرين بعد تدمير مدفعيته والفتك بجنودها ، وبينما نابليون يتوقع (بين لحظة وأخرى) رفع الإنكليز العلم الأبيض على تل (كاتريرا) للاستسلام ، إذا بهزيم المدافع ينطلق (فجأة) يصم الأذان من وراء ظهر جيش نابليون ، فأدار وجهه وأرسل بصره من وراء منظاره المكبر ليرى ما الخبر ، وإذا به يرى فرقة من الجيش البروسي قد أتت بقيادة الضابط بلوغر) لنجدة الإنكليز ، فالتفت نحو التل آمراً جيشه بمضاعفة الهجوم قبل أن يعرف الناس حقيقة النجدة ولمن قد أتت ، وليجهز على جيش (ولنجتون) قبل وصول بلوخر ، ولكن (وانجتون) كان أمر وادهى ، إذ سارع إلى قمة ربوته المنيعة ورفع قبعته ملوحاً بها في الهواء ناحية الجيش البروسي مرحباً به ، ثم مال بها ملوحاً نحو الفرنسيين (في سخرية وتحد) فأدرك الجيش الإنكليزي إشارة قائده ، كما أدرك قادة الجيش الفرنسي أن جيشهم قد وقع بين نارين فخارت عزائمهم وجمع الجيش الإنكليزي المشتت شمله وشد (ولنجتون) بجيشه على الفرنسيين في هجوم مضاد كاسع فأخذ الجيش الفرنسي في التراجع ، وألقى كل فرد منه سالحه وهام على وجهه ،

ولهذا كان العرب (في العصور الأولى) كثيراً مايتبعون خطط الكمائن وهي قوة تقوم بمفاجأة العدو ساعة المعركة ، فتحدث هذه القوة الارتباك والفوضى في صفوف العدو (حتى وإن كانت هذه القوة صغيرة) ولما للمفاجأة من أثر سيىء في نفوس من تحدث ضدهم .

ولهذا كان لمباغتة خالد بن الوليد - التى مكنه من القيام بها (ضد جيش المدينة) انسحاب أكثر الرماة من الجبل - أثر مريع فى نفوس الجيش الإسلامى الذى أذهلته المباغتة حينما شعر وهو فى أوج نصره (وعلى حين غفلة) بالأرض ترجف من وراء ظهره من شدة وقوع حوافر

⁼ فكانت الهزيمة الساحقة الجيش الفرنسى الذى لم يعرف (طيلة عشرين عاماً) سوى النصر والظفر ، وكانت نهاية نابليون (بونابرت) ، وكل ذلك حدث بسبب مباغتة حدثت لجيش نابيلون وهو فى أوج نصره الذى لم يبق على تسجيله نهائياً سوى رفع القائد الانكليزى العلم الأبيض للاستسلام

كذلك كان من أسباب هزيمة المسلمين في معركة بلاط الشهداء بفرنسا (في أول القرن الثاني المجرى) أن كوكبة من فرسان القائد الفرنسي (شارل مارتل) قامت بهجوم مباغت (بقيادة بوق أو كتانيا) على معسكر المسلمين من الخلف قحدث الاضطراب في صفوف المسلمين ، وترك البعض منهم أماكنهم في الصفوف للدفاع عن المعسكر فأسرع القائد العام (عبد الرحمن الفافقي اليماني) لإعادة هؤلاء إلى أماكنهم ولكنه لم ينجع ، ثم عاجله سهم من جانب العدو فخر صريعاً ، وعند ذلك وقع الفشل الكامل داخل صفوف المسلمين ، ثم نزلت بهم الهزيمة فانسحبوا في اتجاه إسبانيا بعد أن خسروا حوالي مائة ألف قتيل ، لأن جيشهم كان عدده نصف مليون جندى ، ويزعم المؤرخون الفرنسيون أن المسلمين خسروا في معركة (بلاط الشهداء) ثلاثمائة وستين ألف قتيل ، وهذا (يونما جدال) مبالغة كبيرة ، وقد كانت المباغتة التي قام بها فرسان شارل مارتل مقصوده قصد بها الفرنسيون إحداث الفوضي في منفرف المسلمين الذين كانوا يعصفون بصفوف جيش شارل مارتل وحلفائه من الإيطاليين والألمان والمجر وغيرهم من الأوروبيين واقد كانت هزيمة المسلمين في معركة (بلاط الشهداء) بفرنسا أشنع هزيمة نزلت بالجيوش الإسلامية في أوريا .

مائتى فرس انقض عليه فرسانها وضربوا حوله نطاقاً فى سرعة مذهلة ، فارتبك الجيش الإسلامى لهذه المفاجأة واضبطربت صفوفه ، ولاسيما بعد أن تراجع المنهزمون من الجيش المكى وجمعوا شملهم .

قال اللواء الركن محمود شيت خطاب في كتابه (الرسول القائد) عن مبادىء المباغثة في المعارك .

« المباغتة من أهم مبادىء الحرب ومعناها ضرب العدو من مكان أو في زمان أو بأسلوب لايتوقعه (١) ، حيث يمكن تحطيم قوى العدو المادية والمعنوية ، ثم قال الضابط العراقى (خطاب):

كان قيام خالد بن الوليد بالالتفاف وراء قوات المسلمين في الوقت الذي انهزم فيه المشركون مباغتة تامة للمسلمين فارتبكت صفوفهم بدرجة

⁽۱) يروى التاريخ من أسباب الانتصارات الساحقة السريعة المذهلة التي سجلها القائد الفينيقى الشهير (هنيبال) على الرومان في المعارك الشهيرة التي خاضها ضدهم اختراع الركاب .. فقد كان الفرسان (إلى ماقبل عصر هنيبال) يقاتلون على الخيل دون أن يكون السروجها ركاب ، فكان (هنيبال) أول من اخترع فكرة الركاب ، وأمر بصنعه لخيالته ، وعندما التحموا مع الرومان تقوق فرسان هنيبال في ضرب السيف فكانت ضرياته أشد فتكاً من ضريات فرسان الرومان مما كان له أكبر الأثر في إنزال الخسائر الفادحة بالجيش الروماني وذلك أن فرسان هنيبال (بعد وضع الركاب في سروج خيلهما) إذا أرداوا أن يضريوا بالسيف وهم ثابتون بالسيف اتكثرا بأرجلهم على الركاب فيساعدهم ذلك على تسديد الضرب بالسيف وهم ثابتون مما جعل ضرياتهم أكثر إصابة وأشد فتكاً ، من ضريات فرسان الرومان الذين يقاتلون وأرجلهم معلقة في الهواء ، فكان هذا السلاح البسيط (الركاب) مفاجأة لخيالة الرومان ذهلوا لنتائجها ، وقد فطن الرومان (بعد مدة من الزمن) لهذا الاختراع سلاح بسيط يكون لها مثل فرسان هنيبال ، والمهم أن المفاجأة حتى ولو كانت باختراع سلاح بسيط يكون لها أثرها الفعال في المعارك .

لم يفرقوا معها بين قوات عنوهم وبين قواتهم ، فقتل بعضهم بعضاً ، كما تحطمت معنويات الكثير منهم وأصبحوا لايعرفون مايصنعون .

إن هذه المباغتة أتاحت الفرصة لقريش للقضاء على المسلمين وإبادة قواتهم ، ولكنهم لم يستطيعوا الاستفادة من موقفهم الممتاز هذا ، فضيعوا هذه الفرصة السانحة لجعل معركة أحد حاسمة في نتائجها » أه. .

٤ - إشاعة مقتل النبي

كذلك ساهمت إشاعة مقتل النبى تلك في مضاعفة النكبة .. فمما لاجدال فيه أن قتل القائد العام (وخاصة في ذلك العصر) معناه الهزيمة للجيش .

ولهذا كان للإشاعة الكاذبة التى انتشرت بين المسلمين بأن نبيهم قد قتل ، أثر مزلزل فى نفوس كثير من أفراد الجيش الإسلامى ، حتى إن بعضهم ألقى السلاح وكف عن القتال وفكر فى الاتصال بقادة مكة للاستلام وطلب الأمان عند انتشار هذه الإشاعة .

وانهارت معنويات كثير من جند الإسلام ووقفوا حائرين لايدرون ماذا يصنعون ، حتى أن بعض المؤرخين يرون أن السبب الأكبر في انكسار المسلمين بعد الانتصار ، هو انتشار إشاعة مقتل النبي ،

فقد جاء في وفاء الوفا (السمهودي) قوله):

« وقيل كان سبب الهزيمة أن ابن قمئة الليثى قتل مصعب بن عمير وكان مصعب إذا لبس لأمته (أي عدة حربه) يشبه النبي ﷺ فلما قتل ظن

أنه رسول الله ﷺ ، فرجع إلى قريش وقال : قد قتلت محمداً ، فازدادوا جرأة وصاح إبليس من العقبة (قتل محمد) فلما سمع المسلمون ذلك (وهم متفرقون) كانت الهزيمة ولم يلو أحد على أحد » أه. .

وعلى كل حال كان لإشاعة مقتل النبى الله أثر كبير في اضطراب المسلمين وسريان الفوضى والارتباك داخل وحداتهم ، مما ساهم في ارتفاع رصيد خسارتهم في الرجال ..

ج - تماسك المسلمين بعد الانتكاسة

لاشك أن الحركة المباغتة التى قام بها سلاح فرسان المشركين (أثناء القتال) قد أوقعت جمهرة جيش المدينة بين فكى (كماشة) نجح المشركون في إطباقها عليه من كل الجهات .

وكل جيش يقع فيما وقع الجيش الاسلامى (يوم أُحُد) يكون مصنيره (غالباً) إما السحق كاملاً ، وإما استسلامه للأسر .

وإذا أضفنا إلى واقعة التطويق المباغت ، تفوق الجيش المطوِّق على الجيش المطوَّق في العدد تفوقاً ساحقاً (حيث أن الجيش المدنى المطوِّق لايزيد عدده على خمسمائة مقاتل تقريباً ، بينما الجيش المكى المطوِّق لايقل عدده عن ألفين وسبعمائة مقاتل ، (على أقل تقدير) لوجدنا أنه يكاد يكون من المستحيل نجاة الجيش الصغير من قتل جميع رجاله أو استسلامهم عن آخرهم .

ولكن الذي حدث ، هو خلاف ذلك ، فقد تمكن المسلمون المطوّقون من التغلب على جيش مكة المطوّق ، حيث كسروا الطوق الذي ضريه حولهم ، ثم

أفلتوا من قبضته وشقوا طريقهم عبر صفوفهم نحو الشعب من أحد حيث يوجد قائدهم الأعلى النبى ، بعد أن دفعوا لهذا التخلص ثمناً قوامه عشرة في المائة من مجموع قواتهم ، ففوتوا (بذلك) على قريش أثمن فرصة سنحت لهم للقضاء على الجيش الاسلامي بالإبادة أو الأسر .

وقد اعتبر كثير من العسكريين تمكن المسلمين من كسر الطوق الذى ضربه المشركون حوالهم وإفلاتهم ، نصراً جديداً سجله المسلمون واندحاراً ثانيا مننى به المشركون .

أسباب التماسك بعد الهزيمة

فما هى الأسباب التى جعلت هذا الجيش الصغير المنكوب ينجو من فناء محقق ويجمع شتاته ويعيد تنظيمه من جديد ، ويصمد فى وجه جيش مكة (الذى ظن نفسه ، بعد الانتكاسة سيد الموقف) ثم يجبره على الانسحاب من ميدان المعركة دون أن يحقق أهدافه ، حيث حال بينه وبين تسجيل مايمكن تسميته انتصاراً ؟/ يمكننا (من الناحية العسكرية) الاشارة الى مجمل أسباب ذلك ، كما يلى :

١ - القيادة الحكيمة وشجاعة القائد العام

فمما لاجدال فيه أن كل قائد عام مسئول ، يعلم تمام العلم ، أن مسألة تحطيم جيشه أو تماسكه في مثل تلك اللحظة الحرجة الحاسمة التي مر بها الجيش النبوى في أحد بعد حادثة الجبل ، إنما تتوقف على شجاعة هذا القائد أو تخاذله ، فإن تخاذل القائد العام تخاذل جيشه وانهزم ، وإن ثبت وصعد ، كان جيشه تبعا له في هذا الثبات والصعود .

ولقد أظهر الرسول القائد (ساعة انتكاسة الجيش الإسلامي في أحد) شجاعة منقطعة النظير بلغت إلي حد الكمال ، وأظهر من الحكمة في القيادة والحنكة في التصرف في تلك الساعات الدقيقة الحرجة مامكنه من حماية جيشه الصغير من ضياع وتدمير محققين .

فقد وجد الرسول الله نفسه - بعد حركة التفاف خالد على جنده - منعزلاً تماماً في مقر قيادته حيث تمزقت صفوف المسلمين تمزقاً شديداً ، وتفرق من حوله عامة جندة فأصبح وحده (تقريباً) عرضه لهجمات المشركين الضارية ، فكانت صدمة عنيفة جديرة بأن تنهار لها أعصاب أعاظم القواد (وخاصة في ذلك العصر الذي يعتمد فيه القائد على رماح جنده وسيوفهم فحسب) .

واكن الرسول القائد على صمد أمام هذه النازلة ، وسيطر على أعصابه فثبت (ثبوت الرواسي) أمام تيارات تلك العاصفة المخيفة التى تبعثر لها جنده على ساحة الهزيمة ، لايدرون ماذا يصنعون وإلى أين يتجهون ، لاسيما بعد أن سرت بينهم إشاعة مقتل نبيهم على ، فوقف على مرتفع (رابط الجأش ثابت الجنان) ونادى بأعلى صوته (هلموا إلى أنا رسول الله) . فكان لصيحته تلك أكبر الأثر في إعادة الروح المعنوية إلى نفوس أصحابه الذين سمعوا صوته الحبيب ، فما ان علموا بمكانه حتى توافيوا إليه وأخنوا في تنظيم صغوفهم من جديد ، وانتشر بين عامة الجيش الاسلامي نبأ سلامة نبيهم القائد فتراجعت فلولهم وأخنوا يتحلقون حول قائدهم ويناضلون المشركين في شجاعة واستبسال ، حتى تغلبوا على جند مكة ، إذ حالوا بينه وبين تحقيق الهدف الذي جاءوا من أجله والذي

سنحت لهم فرصة تحقيقه (بعد الانتكاسة) وهو إنزال الهزيمة الساحقة بالجيش الاسلامي .

وهكذا كان لثبات الرسول الله وحكمته وشجاعته الفائقة في تلك اللحظات الشديدة الحرجة ، المقام الأول في تماسك الجند الاسلامي بعودة المنهزمين وإقدام المترددين إلى ساحة الوغي وصمودهم في وجه الجيش المكى الذي أعادوه خائباً من حيث اتى ، بعد أن كان سيد الموقف بعد حادثة الجبل .

قال مولانا محمد على فى كتابه (حياة محمد ورسالته) عند تعليقه على شجاعة الرسول ﷺ وتضحيته وتعريض نفسه للخطر فى سبيل إنقاذ أصحابه بعد الانتكاسة ، قال :

فلم يكد ينظر النبى على إلى خالد ينقض على المسملين ويحتل الموقع الذى هجره الرماة حتى أدرك عظم الخطر المحدق بالجيش الاسلامى ، ولم يكن أمامه فى تلك اللحظات غير سبيلين اثنين ، يستطيع انتهاجهما . إما أن يكفل سلامته الشخصية ، بالشخوص إلى مفزع ما ، تاركا أصحابه لمصيرهم المقدور ، وإما أن يناديهم مخاطراً بنفسه لكى ينقذهم من الخطر، ولقد اختار السبيل الثانية (على مافيها من مغامرة تعرض حياته للخطر) فصاح بأعلى صوته (هلموا إلي أنا رسول الله) ، ولم يكد الصوت يبلغ آذانهم حتى التفوا كلهم نحوه وشقوا طريقهم إليه عبر صفوف العدو .

تعليق اللواء الركن خطاب

قال الضابط العراقي الكبير اللواء الركن محمود شيت خطاب في كتابه (الرسول القائد) عند تحليله العسكري لأسباب تماسك المسلمين بعد النكسة ، قال (بعد أن علق على مهارة الرسول في اختيار الموقع المناسب لصف جنوده قبل المعركة) .

إن كل ذلك على أهميته ، لا يعتبر شيئاً بالنسبة لظهور عبقرية قيادته في أثناء القتال خلال الصفحة الثانية من معركة أحد ، حين طوق المشركون المتفوقون بالعدد (إلى خمسة أمثال المسلمين) قوة المسلمين القليلة ، بعد أن انهارت معنويات الكثيرين منهم ، لما تطاير خبر مقتل الرسول في المعركة ، فلجأوا إلى الهضاب بعيداً عن ساحة المعركة وبقى مع الرسول شرذمة قليلة من المسلمين ، ثم قال اللواء خطاب :

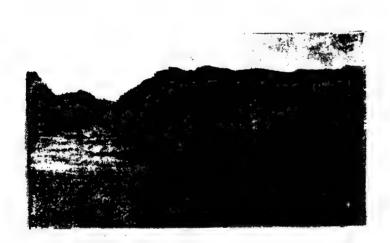
لقد استطاع الرسول في هذا الموقف الحرج للغاية (بالنسبة للمسلمين) الموفق للغاية (بالنسبة للمشركين) أن يسيطر على أعصابه في معركة يائسة جداً ، ويقود الباقين من المسلمين لشق طريقهم من بين القوات المتفوقة المحيطة بهم ، ثم يحتل موضعاً مشرفاً ويقوم بإعادة تنظيم قواته الباقية ويعيد إليها معنوياتها ويصد بها هجمات مقابلة شديدة للمشركين ، فيحيل الهزيمة الاكيدة الماحقة إلى نصر .

لأنه اضطر قريشاً إلى الياس من القضاء على المسلمين ، بعد أن كان فناء المسلمين أمراً محتماً ، ثم اضطرهم إلى الانسحاب من المعركة بعد الياس من إبادة المسلمين » ا هـ .

٢ - مهارة الرسول في وضع الخطط

كذلك كان لمهارة الرسول ﷺ وحنكته في وضع الخطط الدقيقة السليمة ، واختيار الموقع لإدارة المعركة ، أثر كبير في تخليص المسلمين من فناء كاد يحيق بهم .

فقد خرج الرسول الله من المدينة بجيشه لملاقاة جيش مكة ، وقد يتبادر إلى الذهن أنه كان من الأفضل (من الناحية العسكرية) لو أن النبى الشركين وظهره إلى المدينة ليسهل عليه التراجع إليها والاعتصام بها إذا ماتعرض جيشه لهزيمة



منظر للجبال الثلاثة التي تكتنف فم الشعب الذي اختاره الرسول معسكراً لجيشه ، وقد ظهر فم الشعب الواقع بين الجبال على المرتفع -١- المشرف على وادى قناة -٢- ونحو المكان المشار إليه بالسهم بين الجبال انسحب المسلمون واعتصموا (من الداخل بالجبل الذي على اليمين وهو الذي علاه أبو سفيان بعد الانتكاسة ، كما هو مفصل في هذا الكتاب .

ولكن الواقع الذي أيدته الأحداث ، هو أن المكان الذي عسكر فيه الرسول بجيشه ، كان أصلح مكان لأن يلاقي فيه المسلمون أعدامهم .

فتخطى النبى المشركين بجيشه واختياره المرابطة به فى فم الشعب من أحد ، وتفضيله مقاتلة العدو فى تلك المنطقة البعيدة عن المدينة ، على مقاتلته فى السهول الواسعة التى تقع بالقرب من المدينة (والتى تقع بين المدينة وأحد) يرجع إلى أسباب وجيهة عدة .. أهمها :



المؤلف على قمة جبل أحد ، وقد ظهر أمامه جانب من الشعب الذي ظهرت فيه بعض المساكن الصغيرة ، وعن شمال المؤلف ظهر (على بعد) الوادى الذي دارت فيه المحركة .

أن قوة المسلمين كانت صغيرة (بالنسبة لقوات المشركين) التى تبلغ أكثر من أربعة أضغافها ، وهذا القوة الصغيرة لو عسكر بها النبى فى تلك السهول الواسعة – حيث لا تلال ولا جبال – لسهل على قوات أبى سفيان الضخمة تطويقها من جميع الجهات ، لاسيما أن جيش مكة (علاوة على تفوقه الساحق فى العدد والعدد) يمتاز على جيش المدينة بقوة سلاح الفرسان الكبيرة المنظمة التى يقودها رجال من أمهر القادة وأعرفهم بأساليب الحرب ، والتى من أهم أعمالها التطويق والمطاردة .

ونجاح القوات الكبيرة جداً في تطويق القوة الصغيرة جداً ، وفي بلقع من الأرض – قبل المعركة أو بعدها – يكون(غالباً) من أهم أسباب إبادة القوة المطوقة أو إجبارها على الاستسلام .



المر الخطير الذى كلف الرسول صلى الله عليه وسلم الرماة بمهمة منع خيالة المشركين من اقتحامه لئلا يضربوا مؤخرة المسلمين ، ويقع هذا المر بين جبل الرماة (١) وجبل أحد (٢) انظر خارطة المعركة .

وهذا والله أعلم ، من أهم العوامل التي جعلت الرسول علاقة - كقائد عسكرى مسئول - يختار المرابطة بجيشه في ذلك المرتفع من شعب (١) أحد .. الذي بالمرابطة فيه جنّب جيشه خطر التطويق في أول المعركة ، وساهم في تيسير إنقاذه بعد أن وقع أكثره في دائرة التطويق بعد الانتكاسة .

لأن النبى - بالمرابطة فى الشعب من أحد - قد احتل مركزاً حصيناً حيث أصبح جيش المسلمين فى مكان تكتنفه هضاب جبل أحد ونتوءاته ، ولم يبق مفتوحاً (أمام المشركين) إلا فم الشعب المواجه لهم ، وجزء من مدخل هذا الشعب ، يقع يمين معسكر المسلمين في الناحية

⁽١) الشعب (بكسر الشين) الطريق في الجبل .

الفربية ، وهو المدخل الذي وضع الرسول الرماة في الجبل لمنع خيل المشركين من اقتحامه ، ومنعهم (أيضاً من المرور في قصبة الوادي الواقعة بين جبل الرماة والشعب من أحد ، والتي تركها المسلمون وراء ظهورهم عندما هزموا المشركين في الصفحة الأولى من المعركة ، فاقتحمها خالد بعد انسحاب الرماة من الجبل ثم ضرب المسلمين من الخلف بعد أن ابتعنوا عن معسكرهم واحتلوا معسكر المشركين (۱) .

معسكر أشبة بقلعة

وهكذا جات خطة الرسول القائد العظيم (في اختيار ذلك الموقع من الشعب) خطة عسكرية حكيمة رائعة ، وضع من الشعب) خطة عسكرية حكيمة ليس لها باب واحد وقف عليه جيش المدينة بأكمله.

كما أن مرابطة المسلمين في ذلك المرتفع من الشعب جعلت المسلمين يكشفون جيش المشركين (تماماً) ويعرفون كل حركة من حركاته لأنه واقع تحتهم في سهل منبسط مكشوف، وذلك على عكس موقع الجيش الاسلامي في الشعب الذي لايستطيع قادة الجيش المكي معرفة كل مايجري داخل معسكره.

كما أن النبى (باختياره العسكرة بجيشه فى الشعب) قد أجبر المشركين على قبول المعركة فى مكان كانوا يوبون خوضها فى غيره ، مما ساهم فى إنزال الهزيمة السريعة بهم ، لأن قبول قريش خوض المعركة

⁽١) انظر خارطة المعركة في أول الكتاب .

بالقرب من سفوح جبل أحد جمد نشاط خيالتهم تقريباً ، وخاصة في أول المعركة ، لأن الفرسان لايستطيعون القيام بحركاتهم العسكرية على مايرام إلا إذا كان هناك مكان فسيح تركض فيه خيلهم بحرية تامة ، وهذا هو الذي لم يتوفر لهم عندما خاضوا المعركة مع المسلمين عند سفوح الجبل ، ولم ينجح خيالة قريش في القيام بمهمتهم على مايرام إلا بعد أن ابتعد المسلمون عن سفوح جبل أحد عندما أنزلوا الهزيمة بالجيش المكي وبعد أن ارتكب الرماة غلطتهم الشنيعة ، فانسحبوا من مواقعهم في الجبل فكشفوا بذلك مؤخرة الجيش الإسلامي .

وأعتقد أن المسلمين لو لم يعسكروا في المكان الذي اختاره الرسول من الشعب ، وعسكروا في الفضاء الذي يقع بين المدينة وجبل أحد (حيث لاتلال ولاجبال) وحدث لهم ماحدث من انتكاسات لكانت نكبتهم أعظم ، ولربما عجزوا كلياً عن تنظيم صفوفهم من جديد ، مما قد يعرضهم لهزيمة ساحقة .



فى هذا المكان من الوادى دارت المعركة ، وقد ظهر جانب من المرتفع الذى جعله النبى صلى الله عليه وسلم معسكراً لجيشه فى الشعب ، وقد اختنا هذه الصورة من قمة جبل الرماة الذى ظهر منه جزء من اليمين .

وهكذا فقد كان اتخاذ الرسول القائد المحنك ، الشعب من أُحُد معسكراً لجيشه من العوامل المهمة في تخليص الجيش الإسلامي (ساعة الانتكاسة) من خطر الإبادة أو التشتيت ، لأن ذلك مكنة من الاعتصام به أعطى المسلمين فرصة طيبة مكنتهم من جمع شتاتهم وإحباط كل محاولات القرشيين اليائسة للنيل منهم .

فائدة بقاء الرسول في مقر الرئاسة

كذلك كان لبقاء الرسول في مقر قيادة الجيش من أحد ، وعدم اشتراكه في مطاردة المشركين في الصفحة الأولى من المعركة واحتلاله مرتفعاً يشرف منه على مكان المعركة .

كل ذلك كان له أكبر الأثر في تخفيف وطأة الهزيمة على المسلمين وسرعة تجمعهم حول نبيهم وإعادة تنظيمهم من جديد

ذلك أن اهتداء الجنود إلى مكان قائدهم الأعلى (إذا ماحاقت بهم كارثة) يكون له أكبر الأثر في تقوية معنويتهم وإشاعة روح الأمل في نفوسهم.

وهذا هو الذي حدث تماماً عندما انهزم المسلمون بأحد ، فقد كان النصر حليف المسلمين في أول المعركة ، ولكن المسلمين عندما ركبوا المشركين وأخذوا في مطاردتهم ، ظل الرسول (مع بعض هيئة أركان حربه) مرابطاً حول مقر قيادته في الشعب ، يرقب سير المعركة الظافرة .

وعندما حدثت النكسة واضطربت صفوف المسلمين (بعد تطويق الكثير منهم) صاح الرسول الأعظم المعلم المعلم على مكانه (هلموا إلى أنا رسول الله) .

فسارع إليه القريبون منه (كطلحة بن عبيد الله وأبى دجانة وأبى طلحة وسعد بن أبى وقاص وغيرهم) وكونوا جبهة دفاعية صارت فئة المنهزمين والمطوقين الذين أخذوا (بعد أن عرفوا مكان قائدهم الأعلى فى شق طريقهم فى صبر وجلّد واستماتة) عبر صفوف المشركين ، ناحية الرسول مُعلَّمة ، مما مكنهم من إحباط كل المحاولات اليائسة التى قام بها فرسان المشركين ونو الشجاعة منهم للقضاء على شخص الرسول معلقة وتشتيت هذه القوة التى تجمعت حوله ، ثم الانسحاب بانتظام نحو هضاب الجبل .

فلو أن الرسول اشترك في مطاردة المشركين (ضمن سواد الجيش الاسلامي) وحدثت الانتكاسة وهو أسفل من الشعب بعيداً عن مقر قيادته في المؤخرة في المرتفع من الشعب ، لكان من جملة المسلمين الذين نجح الجيش المكي في تطويقهم ، ولما عرف المسلمون مكانه حياً بالسرعة التي عرفوه بها يوم أن وقف على المرتفع وناداهم بأعلى صوته وهو مرابط في أخراهم بالقرب من سفح الجبل .

٣ - عدم كفاءة القيادة في جيش مكة

كذلك مما ساهم في تيسير الخلاص لجمهرة الجيش الإسلامي من الورطة القاتلة التي وقع بها حادثة التمرد في فصيلة الرماة ، (وإعطاء الفرصة له من جديد ليجمع شتاته) ، فُقْدان الكفاءة العسكرية في قيادة الجيش المكي وضعف شخصية القائد العام أبي سفيان الذي اتضح فيما بعد أنه لم يكن مسيطراً سيطرة تامة على كافة قطاعات الجيش .

أما عدم كفاءة قادة الجيش المكى وعدم خبرتهم العسكرية فقد تجلت بوضوح عندما فشلت وحدات هذا الجيش الضخم (الذى قام بتطويق جمهرة الجيش الإسلامى) في إحكام طوق الحصار وفرضه على قوات المسلمين القليلة المطوقة واستمراره حتى الإبادة أو التسليم أو حتى التشتيت على الأقل ، والحيلولة بين هذا الجيش وبين الاتصال بقائده النبى من جديد .

فقد كانت حادثة التطويق المفاجئة فرصة ذهبية للجيش المكى لم يحسن قادته استغلالها (مع أن كل الظروف والإمكانيات المادية فى جانبهم) فقد تمكن المسلمون المطوقون من كسر الطوق المضروب عليهم، والنجاة بأنفسهم من هلاك محقق مقابل عشرة فى المائة من مجموعهم سقطوا قتلى ثمناً لذلك الخلاص وإن العسكريين الخبيرين ليتساطون (حتى هذه اللحظة) كيف تمكن خمسمائة مقاتل (سادهم الدهش والفوضى والارتباك) من الإفلات من قبضة جيش لايقل عدده عن ألفين وسبعمائة مقاتل كان زمام الموقف فى أيديهم ؟؟ إن هذا الذى حدث ، هو (دونما جدال) من الأدلة القاطعة على ضعف القيادة فى الجيش المكى وجهلها وتفككها ...

فلو كانت هذه القيادة علي مستوى الأحداث العسكرية (خبرة ومهارة وحنكة) مااستطاع ذلك الجيش الإسلامي الصغير الإفلات من قبضة ذلك الجيش الضخم الذي أطبق عليه (بعد الانتكاسة) من جميع الجهات.

قال صاحب كتاب (الرسول القائد) حول هذا الموضوع : « ولى كانت قيادة أبي سفيان على شيء من الكفاءة لاستطاع إبادة المسلمين بعد تطويقهم التام » كما استدل اللواء الركن خطاب على ضعف شخصية القائد العام أبى سفيان بقوله:

« ولم تظهر شخصية هذا القائد في المعركة ، كما كانت سيطرته ضعيفة (على مايظهر) بدرجة أن نساء المشركين مثلن بشهداء المسلمين (بون رغبته) فلم يستطع أن يفعل شيئاً » ا ه. .

٤ - عقدة الخوف عند جند مكة

كذلك كان للهزيمة السريعة المذهلة التي أنزلها الجيش الإسلامى بجيش مكة في الصفحة الأولى من المعركة أثر كبير في تخليص المسلمين من ورطة التطويق التي وقعوا فيها.

فقد لازم شبح هذه الهزيمة المخجلة جند أبى سفيًان حتى ساعة انتكاسة المسلمين مما أسهم فى ترخية الطوق الذى وقع المسلمون داخله بعد الانتكاسة ، مما يسر لهم الإفلات .

ذلك أن قوات المشركين قد لاقت الأهوال من جند الاسلام عندما أنزلوا بهم الهزيمة في أول المعركة ، وشدو عليهم بقوة وعنف مما شحن نفوسهم فزعاً ورعباً من المسلمين .

ولم ينقذهم من تدمير شامل وضبياع أكيد إلا الغلطة الشنيعة التي ارتكبها رماة المسلمين بتركهم مواقعهم في الجبل قبل نهاية المعركة .

فبينما قلوب الآلاف المؤلفة من جند مكة تركض (فزعا) بين جنوبهم، وهم ينهبون الأرض منهزمين ، أمام بضع مئات من جند المدينة إذا بالمفاجأة المذهلة تسحب رؤوس المشركين من تحت مطارق الهزيمة التى كانت ستسحقهم لولا هذه المفاجأة .

فقد أنقذت حركة خالد المفاجئة المعروفة جند مكة المنهزم فعاد إلي ساحة القتال ، ولكنه عاد وصور الأهوال التي لاقاها من جند الإسلام لاتزال ماثلة أمامه .

فكان الرعب والفزع من المسلمين (بالرغم من وقوعهم في مأزق التطويق) يشد جند مكة إلى الوراء مما جعل هؤلاء الجند لايشدون في التعرض للمسلمين المطوقين خوفاً من ضراوتهم التي لمسوها فيهم عندما اصطدموا بهم في الصفحة الأولى من المعركة.

فكانت التجربة الشاقة التي مر بها جيش مكة في أول الملحمة مصدراً لعقدة خوف وفزع من جند الإسلام ، ظلت هذه العقدة مسيطرة على نفوس جند مكة (حتى بعد الانتكاسة) مما جعل كثيراً من جند الشرك يتحاشون الاصطدام (جدياً) بجند الإسلام المحصورين ، مما يسر لهؤلاء المحصورين التخلص والإفلات الذي لم يدفعوا ثمناً له سوى عشرة في المائة من مجموعهم ، وهو ثمن زهيد بالنسبة لما كان ينتظرهم من فناء أكيد لو لم يفلتوا .

لأن المتوقع (بداهة) أن تبيد هذه القوة الضخمة المحاصرة (التي لايقل عددها عن ألفين وسبعمائة مقاتل) القوة المحصورة التي لايزيد عددها عن خمسمائة مقاتل ، أو تجبرها على الاستسلام .

ولكن شيئاً من هذا لم يحدث ، والسبب في هذا (من ناحية جيش مكة) هو التراخي الذي مصدره عقدة الخوف من جند الإسلام ، وإلا فبماذا يفسر العسكري المنصف إفلات هذه القوة الصغيرة من قبضة تلك القوة الضخمة الهائلة التي كانت (أن ذاك سيدة الموقف ؟؟)

٥ - التأكد من سلامة الرسول

كذلك إذا كان نبأ إشاعة مقتل الرسول والمحمد في عضد جند الإسلام وحطم معنوياتهم ، فإن سماع الجند المطوق صوته ، وهو يناديهم، ومعرفة مكانه ، قد أعاد إليهم روحهم المعنوية وشحن نفوسهم بالعزيمة والإقدام ، مما جعلهم يضربون صفوف المشركين المحيطة بهم (بضراوة وعنف) ثم يهتكونها ويشقون طريقهم نحو نبيهم المحبوب ، غير مبالين بالضحايا الذين سقطوا أثناء عملية التخلص هذه .

واو لم يعرفوا مكان نبيهم القائد ويتأكدوا من سلامته لزاد ارتباكهم واشتد اضطرابهم واساعد ذلك المشركين في التنكيل بالقوة المسلمة المحصورة ، ولصعب على المسلمين أن يجمعوا شتاتهم ويعيدوا تنظيمهم بالطريقة السريعة المعروفة التي ساروا عليها في ذلك التجمع والتنظيم ، لأن اختفاء القائد العام (في مثل تلك الظروف الحرجة للغاية) يكون له أسوأ الأثر في نفوس عامة الجيش الذين طالما كان اختفاء قائدهم العام سبباً في سحقهم والقضاء عليهم .

ولهذا تجلت عبقرية الرسول العسكرية وبراعته القيادية . يوم أن وقف في تلك اللحظات الحاسمة (مخاطرا بحياته) ونادى جمهرة جنده المحصور بأعلى صوته ليدلهم على مكانه « هلموا إلى أنا رسول الله » فكان لسماع ذلك الصوت الصبيب أعظم الأثر في تخليص المسلمين المطوقين أنفسهم من قبضة العدو .

٦ - العقيدة

أما العقيدة ، فلعله من تحصيل الحاصل (بالنسبة للمسلمين)

القول بأنها السبب الأكبر فى تماسك المسلمين وثباتهم بعد النكبة المزازلة ، فلولا تغلغل عقيدة الإسلام الصادقة فى نفوس جند المدينة لما ثبتوا (بعد الانتكاسة المربّعة) ذلك الثبات الذى اعتبره كثير من خبراء الحرب نصراً مؤزراً سجله جيش بثرب على جيش مكة ..

فالعقيدة بونما جدال ، هي المصدر الأول لكل الانتصارات التي حققها الجيش الإسلامي (لا في معركة المصير بعد الانتكاسة في أحد) وإنما في جميع المعارك التي خاضها العرب وغير العرب في سبيل الاسلام وتحت رايته .

المشاكل بعد المعركة

لاشك أن مركز المسلمين العسكرى والسياسى قد تأثر بعد معركة أحد ، نتيجة للانتكاسة التي أصيب بها المسلمون في المعركة .

فبعد أن كانت يثرب وما حولها تخضع لسيطرة المسلمين وترهب سلطانهم ، وبعد أن كان خصوم الإسلام (وخاصة السياسيين منهم كاليهود والمنافقين في المدينة) منطوين على أنفسهم منذ انتصار المسلمين في ملحمة بدر ، لايجرأون على معالنة النبي بالعداوة ، إذا بهم (بعد معركة أحد) يرفعون رؤوسهم ويجاهرون بالعداوة ظناً منهم أن المسلمين قد ضعف شائنهم وتلاشي سلطانهم ، وظنوا ، أنه يمكنهم اغتنام الفرصة لإثارة الشغب عليهم وضربهم سواء كان ذلك داخل المدينة أو خارجها .

وهذا يعنى أن ماأصاب المسلمين في معركة أُحد قد نتج عنه المسلمين مشاكل داخلية وخارجية لابد النبي من مواجهتها والقضاء عليها

المشاكل الرئيسية الأربعة

ويمكن تلخيص هذه المشاكل كما يلى:

أ - المنافقون

فقد بدأ هؤلاء المنافقون بإثارة المساكل وإحداث القلاقل ضد المسلمين بمجرد شروعهم في التهيؤ لملاقاة المشركين في أحد .

إذ ، انخذل رأس النفاق عبد الله بن أبّى بثلاثمائة مقاتل خرجوا لمقاتلة المشركين ، فرجع بهم الى المدينة في أحرج ظرف يمر به الجيش الإسلامي ، مغتنما هذا المنافق فرصة الأخطار المحيطة بالمسلمين ، لعله يساهم بهذا الخيانة في مضاعفة هذه الأخطار التي كان يود أن تؤدى مضاعفتها إلى الإطاحة بحكم الرسول ومحو سلطانه في يثرب التي كان ذلك المنافق (قبل وصول النبي منافة إلى المدينة مهاجراً بقليل) مرشحاً لأن يكون ملكاً عليها (۱) ذلك أن عبد الله بن أبي هذا كان سيداً من سادات الخزرج الذين يمتلون الأغلبية (دائماً) في المدينة .

واكن نجمه أفل وانهارت آماله في التربع على عرش يترب ، عندما

⁽١) جاء في سيرة ابن هشام ج١ ص ٢٩٢ (عند تعرضه لذكر الفتنة القومية التي حاول عبد الله بن أبي إشعال نارها بين المهاجرين والانصار في غزوة بني المصطلق) أن النبي صلى الله بن أبي أبي إشعال نارها بين المهاجرين والانصار في غزوة بني المصلطة) أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأسيد بن حضير (أحد زعماء الخزرج)، أو مابلغك ماقال صاحبك ؟؟ فقال وأي صاحب يارسول الله ؟؟ قال ، عبد الله بن أبي ، قال .. وما قال ؟ قال زعم أنه رجع المينة ليخرجن الأعز منها الأذل ، قال .. فأنت يارسول الله ، والله تخرجه منها إن شئت، هو والله الذليل وأنت العزيز ، ثم قال .. أرفق به . فو الله لقد جاحا الله بك وإن قومه لينظمون له الخرز ليترجوه فإنه ليري إنك استلبته ملكاً ..

جاء الله بنبيه إليها مهاجراً ، إذ تسابقت قبيلتا الأوس والخزرج إلى الدخول في الإسلام والالتفاف حول النبي عليه ، - أمام شخصيته العظيمة المحبوبة - تلاشت شخصية ذلك المنافق الذي كان قاب قوسين أو أدنى من ارتقاء عرش المدينة .

وهذا هو سر مايحمله ذلك المنافق الكبير من بغض عظيم للنبى ودعوته وحقد جارف عليه ، فكان (مع تظاهره بالإسلام) يتريص بالنبى ودعوته الدوائر ويتحين الفرص للإطاحة بسلطان الإسلام ورسالته .

وقد بدأت معركة النفاق (سافرة ضد النبى) بانسحاب عبد الله بن أبى بمن أطاعه من حزب النفاق أثناء تحرك القوات الإسلامية من المدينة نحو أحد ، قال الشيخ محمد الغزالى :

« وهذا من عبد الله بن أبى وحزبه عمل ينطوى على الاستهانة بمستقبل الإسلام وغدر به فى أحرج الظروف ، وتلك أبرز خصائص النفاق » (١) .

فوران النفاق بالمدينة

إنه من الملاحظ أن هؤلاء المنافقين (مع حرصهم على القضاء على المسلمين وسنوح الفرصة لهم بوجود الجيش المكى) لم يقوموا بأي عمل عسكرى ضد المسلمين وهم يصارعون المشركين في أحد .

ولاشك أن قادة النفاق (بالمدينة) قد فكروا في الانضمام إلى عسكر مكة ضد النبي (في معركة أحد) ولكن يظهر أن الذي أثناهم عن ذلك هو

⁽١) فقه السيرة ص ٢٠٠ .

خوفهم أن تدور الدائرة على المشركين ، أو يفشل الجيش المكى فى القضاء على المسلمين (كما حدث فعلاً فى معركة أحد) ، فينزل بهم (أى المنافقين) عقاب الإبادة ، لذلك ظلت قلوبهم مع المشركين وسيوفهم على الحياد ، فى انتظار النتيجة النهائية للمعركة .

غير أن هؤلاء المنافقين اغتنموا فرصة النكبة التى نزلت بالمسلمين في معركة أحد ، فأخنوا يكاشفون النبى بعدواتهم ويعلنون سخريتهم من الإسلام والمسلمين ، الأمر الذى ما كانوا يجرأون على الجهر بشىء منه قبل معركة أحد .

ففى مساء اليوم الذى انتهت فيه المعركة بدأ المنافقون ينظمون حملات دعائية مسمومة ضد النبى ودعوته ويشككون الناس فى الإسلام ونبوة محمد علم ، ويذيعون بأنه ليس نبياً (حقاً) وإنما هو طالب ملك ، كما أنهم أيضاً صاروا يبثون سموم التفرقة بين المسلمين ، ويوهمون الناس بأن المسلمين (بعد معركة أحد) قد ضعفوا وأن سلطانهم آخذ فى الانهيار .

قال ابن كثير في البداية والنهاية : وأخذ المنافقون (عند بكاء المسلمين) في المكر والتفريق عن رسول الله علم وتحزين المسلمين ، وظهر غش اليهود ، وفارت المدينة بالنفاق فوران المرجل ، وقالت اليهود لو كان نبياً ماظهروا عليه ، ولا أصيب منه ماأصيب ، ولكنه طالب ملك تكون له الدولة وعليه ، وقال المنافقون مثل قولهم ، وقالوا للمسلمين لو كنتم أطعتمونا ما أصابكم الذين أصابوا منكم » أ ه.

ولاشك أن هذه الحملة الدعائية الخبيثة من اليهود والمنافقين

هى مقدمة لعمل عسكرى اعتزموا القيام به ضد المسلمين مغتنمين فرصة ما أصابهم في أُحدُ من جرح وقتيل ،

ولكن نجاح حملة حمراء الأسد (١) السريعة التى قام بها النبى (كما تقدم) لمطاردة جيش مكة أثبت لهؤلاء الخصوم بأن المسلمين أثبت وأقوى من أن تنحنى هاماتهم أو تتضعضع عزائمهم للمصاب الذى نزل بهم فى أحد ، وإذلك خفف هؤلاء الأعداء من غلوائهم فى معالنة المسلمين العداء وعادوا (وخاصة المنافقين) إلى التظاهر بالإخلاص للإسلام والرسول مع انطوائهم على بغضهما والكيد لهما .

إهانة رأس النفاق في المسجد

فبعد عودة النبى من حملة حمراء الأسد (ظافراً) وقف رأس النفاق ، عبد الله بن أبى فى المسجد متظاهراً بتأييد رسول الله عليه والدعوة إلى الالتفاف حوله ، فقام إليه المسلمون وجروه من مكانه ، بعد أن اسكتوه وأبلغوه أنه أكذب من أن يصدقه أحد فيما يقول ، بعد الذى حدث منه من أعمال وأقوال سيئة ضد المسلمين .

وكان عبد الله بن أبى بن سلول له مقام يقومه كل جمعة لاينكر (شرفاً له فى نفسه وفى قومه) وكان فيهم شريفاً ، إذا جلس رسول الله متاتم يوم الجمعة وهو يخطب الناس، قام (ابن أبن) فقال:

أيها الناس هذا رسول الله بين أظهركم أكرمكم الله وأعزكم به ، فانصروه وعزروه واسمعوا له وأطيعوا ثم يجلس ، حتى إذا صنع يوم أحد ماصنع ورجع بالناس قام يفعل ذلك كما كان يفعله ، فأخذه المسلمون بثيابه من نواحيه ، وقالوا ، أجلس أي عدو الله لست لذلك

⁽١) انظر تفصيل هذه الحملة في هذا الكتاب تحت عنوان (حملة حمراء الأسد).

بأهل ، وقدصنعت ماصنعت ، فخرج عدو الله يتخطى رقاب الناس وهو يقول ، والله لكأنما قلت بجراً (١) أن قمت أشدد من أمره ، فلقيه رجل من الانصار بباب المسجد فقال .. مالك ؟ ويلك ، قال .. قمت أشدد من أمره فوثب على رجال من أصحابه يجذبونني ويعنفونني لكأنما قلت بجراً أن قمت أشدد أمره ، قال .. ويلك أرجع يستغفر لك رسول الله مقلة ، قال والله ماأبتغي أن يستغفر لي (٢) .

وبعد حادثة تظاهر المنافقين وإعلان فرحتهم بما أصاب المسلمين في أحد اشتد حدر المسلمين منهم وازدادت يقظتهم .

ب - اليهود

أما اليهود فقد كانوا أكثر إظهاراً للفرح واستبشاراً بما أصاب السلمين في معركة أحد ، بل إن حادثة أحد قد أعطت هؤلاء اليهود مزيداً من الجرأة على المسلمين ، فأخنوا (على الرغم من المعاهدة القائمة بينهم ويين النبي) يكيدون المسلمين سراً وجهراً ويتكتلون ضدهم ، ويتربصون بهم الدوائر ، وصاروا يعدون العدة للانقضاض على المسلمين ظناً منهم أنهم قد أصبحوا (بعد نكبة أحد) ضعفاء ، من السهل ضربهم ، وأخذ ثارات كعب بن الأشرف وبني قينقاع (٢) منهم.

وكانت أولى أعمال اليهود العدوانية محاولة اغتيال النبي طُفَّة ،

⁽١) البجر (بفتح أوله وسكون ثانية) الأمر العظيم .

⁽٢) سيرة ابن هشام ج٢ ص ١٠٥ .

⁽٢) انظر في أول هذا الكتاب قصة مقتل كعب بن الاشرف اليهودي وإجلاء بني قينقاع .

هذه المحاولة التى دبرها يهود بنى النفسير ، عندما ذهب إليهم النبى المسلمين ، كما للاستعانة بهم فى دفع دية رجلين من بنى عامر لزمت المسلمين ، كما سنفصل ذلك عند أول الحديث عن (غزوة الخندق وبنى قريظة التى ستكون الكتاب التالي لهذا الكتاب إن شاء الله). وقد اتضح أن اليهود كانوا يعدون العدة لتسديد ضربة شديدة مفاجئة إلى المسلمين داخل المدينة مما أدى إلى إجلاء يهود بنى النضير .

ج - الاعراب

أما البدو الذين لايبعدون كثيراً عن المدينة ، فقد كانوا - بعد نكبة المسلمين - في أحد أكثر جرأة على المسلمين واستخفافاً بقوتهم وسلطانهم.

فقد ظن هؤلاء الأعراب (الذين لايحترمون شيئاً غير القوة) أن ماأصاب المسلمين في معركة أحد كفيل بأن ييسر لهم القتل والنهب والسلب، فأخنوا يفكرون (جدياً) في الإغارة على المدينة وضرب المسلمين في معركة أحد) غنمة باردة لهم .

فقد سارعت عدة قبائل في التجمع للاغارة على المدينة ، وهدم سلطان المسلمين فيها ، وكانت بنو أسد (١) (وهم من قبائل نجد القوية) أول من تحرك من القبائل للإغارة على المدينة (بعد معركة أحد مباشرة) .

كما تحركت أيضاً قبائل هذيل (٢) بقيادة خالد بن سفيان

⁽١) هم بنو أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان ، ومنهم قبيلة عنزة بن أسد وجديلة ابن أسد .

⁽٢) تقدمت ترجمة هذه القبيلة في كتابنا (غزوة بدر الكبرى) .

وتجمع كذلك بنو ثعلبة وبنو محارب من قبائل غطفان لغزو المدينة في ذلك الظرف الدقيق .

د - قریش

أما قريش فقد طارت فرحاً بنتائج أحد على الرغم من أن نتائجها لم تكن في صالحهم ، إذ لم يكن انتصارهم فيها إلا انتصاراً تعبوياً ، بينما كانت نتائجها فشلاً سوقياً (١) عليهم (أي أن انتصارهم كان ظاهرياً فقط بينما كانت حقيقته فشلاً لهم (٢) .

ومع هذا فقد ذهبت قريش (بما لديها من وسائل الدعاية والنشر) تضخم من معانى هذا النصر الإسمى بين العرب ، وتشن حرباً دعائية ضد هيبة المسلمين وسلطانهم ، فتهون من شائهم فى نفوس سكان الجزيرة العربية ، الذين كانت نفوسهم قد امتلأت بهيبة المسلمين كنتيجة لمعركة بدر الحاسمة التى سحق الجيش الاسلامى فيها جيش مكة المشرك سحقاً كاملا ذهلت له الجزيرة بأكملها .

واقد توسعت قريش في دعاياتها الحربية (ضد المسلمين) بعد معركة أُحد ، وطارت قصائد شعرائها (والشعر في ذلك العصر كان أهم وسائل الإعلام) تشيد بالنصر الذي تم لها في معركة أحد ، وتتوعد المسلمين وتهددهم ، وتحط من قيمتهم العسكرية مما كان له أثر في المسلمين والتهيؤ لضربهم في المدينة .

⁽۱) الانتصار التعبوى انتصار محدود في موضع محدود لوقت محدود لا أثر له مصيرى أما الانتصار السوقي (بفتح السين وسكون الواو) فله أثر حاسم على نتائج المعركة هكذا عرفه اللواء الركن محمود شيت خطاب .. انظر كتابه (الرسول القائد).

⁽٢) الرسول القائد ص ١٣٠ ط ٢ .

استعداد قريش لغزو المدينة من جديد

غير أن قادة قريش كانوا (في قرارة أنفسهم) موقنين بأن نصرهم في أحد لم يكن نصراً حقيقياً ، لأنه لم يخضد شوكة المسلمين ولم يهدم سلطانهم ، كما كانت تهدف قريش من حملتها التي قامت بها إلى أحد .

ولذلك فقد أخذ القرشيون (منذ رجوعهم من أحد) يعدون العدة لضربة أوسع وأعمق يوجهونها الى المسلمين للقضاء عليهم (داخل المدينة نفسها).

وقد بذل قادة قريش جهوداً جبارة لإنشاء اتحاد عسكرى بينهم وبين أقوي القبائل في الجزيرة العربية لغزو المدينة والإطاحة بالمسلمين نهائياً، وقد نجح زعماء قريش في مساعيهم فتم إنشاء هذا الاتحاد العسكرى بين قريش وبين أقوى القبائل العربية (وخاصة قبائل نجد)

وفى ظل هذا الاتحاد العسكرى الخطير زحفت (بقيادة أبى سفيان ابن حرب) بعشرة آلاف مقاتل صوب المدينة لسحق المسلمين فيها ، وذلك في الغزوة المعروفة (بغزوة الخندق أو غزوة الأحزاب) ..

كيف جابه الرسول الموقف ؟

وهكذا وجد المسلمون أنفسهم (بعد نكبتهم في أحد) وسط سلسلة من المشاكل الداخلية والخارجية ،

فقد جعل المسلمون (منذ هجرة الرسول) من المدينة قاعدة أمينة قوية لنظام حكمهم الجديد ومنطلقاً لدعوتهم الفتية ، ولكن انتكاستهم في أحد (عسكرياً) جعلت هذه القاعدة تحاط بالأخطار من كل جانب في الداخل والخارج ،

فقد تجرأ عليهم الأعراب ، إذ هموا بالإغارة على المدينة ، وصار المنافقون واليهود (داخل المدينة نفسها) مصدر قلق وإزعاج للمسلمين وذهبت قريش تعد العدة لضرب المسلمين ضربة قاتلة في عقر دارهم .

وهكذا تحالفت المحن والبلايا ضد المسلمين من جديد - بعد معركة أحد - كنتيجة للنكبة التى أصابت المسلمين في هذه الغزوة .

غير أن الرسول والمام هذه المشاكل الضطيرة) لم يستسلم لليئس ولم يفت في عضده فداحة المصاب الذي نزل بجيشه في وقعة أحد ، بل سارع (في هداية النبي وحنكة القائد ويقظة الشجاع) إلى القيام بأعمال عسكرية حاسمة سريعة ، كانت غاية في النجاح ، أعاد بها النظام، واستعاد بها هيبة المسلمين وأمن قاعدتهم الكبري (المدينة) . فمن ناحية البدو المتحفزين الهجوم على المدينة ، فقد سارع الرسول والي تأديبهم وضربهم في ديارهم حيث جرد عليهم حملات عسكرية خاطفة ، أوقعت بهم في منازلهم قبل أن يتحركوا منها نحو المدينة فشتت شملهم وخضد شوكتهم وملأ نفوسهم فزعاً ورعباً .

أما اليهود الذين سارعوا (بعد معركة أحد) إلى إثارة القلاقل وحبك المؤامرات ضد المسلمين فقد تنبه الرسول عليه لهم وطهر المدينة من رجسهم حيث سارع إلى نفيهم من المدينة ، وهؤلاء اليهود ، هم بنو النضير (۱) الذين أجلاهم الرسول من يثرب بعد حصار دام عشرين

⁽۱) بنو النضير وبنو قريظة وبنو قينقاع وكل يهود يثرب ، هم من سبط لاوى بن يعقوب ، ثم من ندية هارون بن عمران أخو موسى عليهما السلام ولهذا قال الرسول صلى الله عليه وسلم لصنفية بنت حيي بن أخطب أم المؤمنين (وهي من أصل يهودي) تزوجها الرسول صلى الله عليه وسلم بعد أن قتل زوجها (وهو من زعماء اليهود في معركة خيبر) قال لها صلى الله عليه وسلم لما ذكرت له كلاماً قالته فيها عائشة وحفصة رضى الله عنهما .. ألا قلت وكيف تكونان خيرا منى وزوجي محمد وأبي هارون وعمى موسى ؟

ليلة كما سنفصل ذلك في الكتاب القادم إن شاء الله .

أما المنافقون فقد عادوا كعادتهم - بعد هذه العمليات الحاسمة التى قام بها النبى ضد الأعراب و اليهود والقرشيين فى حملة حمراء الأسد إلى السكون والاستخذاء وانطووا على أنفسهم متظاهرين بالإسلام والولاء للرسول على أنفسهم متظاهرين بالإسلام والولاء للرسول على أنفسهم متظاهرين بالإسلام والولاء كانوا (في ظاهرهم) مسلمين ، غير أن المسلمين ظلوا يرقبونهم في يقظة وحذر.

وبهذه الأعمال السريعة الحاسمة التى قام بها النبى الله ضد اليهود والأعراب والمنافقين ، استعاد المسلمون هيبتهم وعادت لهم السيطرة التامة على المدينة ونواحيها ، وتمكن الرسول القائد الحكيم من القضاء على كل المشاكل الرئيسية التى واجهها المسلمون بعد انتكاستهم في معركة أحد .

وظل المسلمون سادة الموقف في منطقة يثرب (بلا منازع) إلى أن قام الاحزاب بهجومهم الكبير على والمدينة الذي اشتركت فيه أقوى القبائل العدنانية ، والذي باء بالفشل الذريع في النهاية كما سنفصل ذلك في (غزوة الخندق وبني قريظة) إن شاء الله ، وصلى الله وسلم وبارك على نبيه محمد وآله الطيبين وأصحابه الأوفياء الميامين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ...

ملحق ... واستدراك

بعد أن أصدرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب تلقيت خطاباً من الصديق الحميم المجاهد الدكتور محمد حميد الله أستاذ الدراسات الاسلامية في جامعة السربون بفرنسا ، لفت نظرى فيه إلي أننى أخطأت إذ رسمت خارطة المعركة على أساس أنها دارت شرقى جبل الرماة وأن جيش مكة قد عسكر هناك .

ولفت نظرى إلى أن كل المصادر التاريخية تؤكد بوضوح أن جيش مكة قد سلك فى زحفه وادى العقيق الواقع غرب المدينة ، ثم عسكر فى السبخة الواقعة بقرب جبل الرماة مما يلى الغرب ، وأن المعركة لذلك لابد أن تكون قد دارت غربى جبل الرماة لاشرقيه كما فى الخريطة التى رسمتها فى أول الكتاب .

وقد تفضل الأستاذ الكبير عبد القدوس الأنصارى كذلك ولفت النظر أيضاً إلى أن النبى مَنْ قد ترك جيش المشركين عن يساره إلى الغرب عندما خرج به نحو الشعب وذلك في مجلة المنهل الجزء الثاني في صفر ١٩٨٤ هـ وهذا يعنى أن الأستاذ الأنصارى يتفق مع الدكتور حميد الله في تعقيبه.

كما تفضل الأستاذ الكريم الشريف إبراهيم بن على العياشى ونشر فى مجلة المنهل المجلد ٢٥ جمادى الأول ١٣٨٤ هـ تعقيباً تحت عنوان (نقد وتحليل) اتفق فيه مع الدكتور حميد الله والأنصارى بهذ الصدد

والحقيقة أنى كنت أميل إلى هذا الرأى وقد رسمت خارطة المعركة (أول الأمر) على أساس أن معسكر قريش كان غربى جبل الرماة وأن المعركة قد دارت هناك وذلك على أساس القراءة المجردة لتفاصيل المعركة ومقدماتها في أمهات التاريخ .

ولكننى عندما ذهبت إلى المدينة (خصيصاً) لأتفقد مواقع المعركة وقمت بدراسة المنطقة فتسلقت جبل أحد ، وجلت فى أنحاء الوادى ، وتسلقت جبل الرماة ، رجعت عن الرأى الأول ، فبدلت خارطة المعركة ورسمتها على أساس أنها دارت شرقى جبل الرماة ، وقد كنت (ساعة تفقد مواقع المعركة) أصحب أحد الإخوة الكرام من أهل المدينة ومن نوى المعرفة بتاريخ تلك المنطقة ، فأكد لى أن المعركة إنما دارت شرقى جبل الرماة وعضد رأيه بحجج اعتبرتها (يوم ذاك) من الناحية الاستراتيجية وجيهة فكان هذا أول تحول عن الرأى الأول .

ومما جعلنى أرجح – من الناحية الاستراتيجية فحسب – أن المعركة دارت شرقى جبل الرماة :

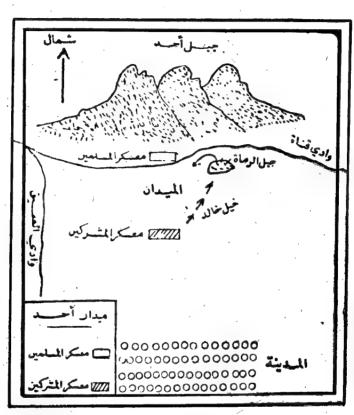
١ – أن المكان الواقع اليوم شرقى جبل الرماة أصلح للقتال (بالنسبة لجيش مكة الضخم) من المكان الوقع غربيه وذلك لسعة المكان الواقع شرقى الجبل وصلابة أرضه وعدم وجود أى عائق طبيعى ذى بال .. ورخاوة المكان الواقع غربى الجبل وكثرة العوائق الطبيعية ، مما يجعل قريشاً تفضل نقل معسكرها إلى ذلك المكان الواقع شرقى الجبل .

٢ – المسافة التى تقع بين جبل الرماة الذى تمركزت فيه الحامية
 الاسلامية من رماة النبل وبين سفوح جبل أحد الشمالية الشرقية بعيدة

بحيث لاتسطتيع نبال الحامية السيطرة عليها تماماً مما يسهل لخيل المشركين التسرب بحرية إلى داخل الشعب لضرب مؤخرة المسلمين دون أن تنالهم نبال الحامية ، فاضطرت القيادة الإسلامية إلى أن تحمى ظهرها من الناحية الشمالية الغربية بجبل أحد وتجعل مضيق وادى قناة الواقع بين جبل أحد وجبل الرماة تحت سيطرة الحامية المتركزة في جبل الرماة لصد أي هجوم يقوم به الخيالة (عندما يلتحم الفريقان) لضرب مؤخرة الجيش الإسلامي من ناحية الغرب عن طريق المضيق المشار إليه .

هذه هى الأسباب التى جعلتنى أرجح أن تكون المعركة قد دارت (أول الامر) شرقى جبل الرماة ، وهى مجرد ترجيحات لاسند لها إلا النظرة العامة لمواقع المعركة .. أما مصادر التاريخ فلم يأت تحديد دقيق فيها بأن المعركة دارت شرقى جبل الرماة إلا أن المؤرخين مجمعون على أنها دارت حوالى جبل الرماة وبالقرب من جبل أحد ، ولايستبعد أن يكون نطاق المعركة قد اتسم فشمل شرقى جبل الرماة .

وعلى العموم فإننى (كباحث يهمنى أكثر من أى شيء نقل الحقائق التاريخية إلى القارىء كما هي) لما تلقيت خطاب الدكتور الفاضل محمد حميد الله واطلعت على ما عقب به الاستاذان الكريمان (الانصارى والعياشي) أعدت النظر وراجعت موقع المعركة من جديد ودققت في المصادر التاريخية فاتضح لى صحة ماأشار إليه هؤلاء الإخوة الباحثون الأفاضل، لاسيما بعد أن رأيت في طبقات ابن سعد الكبرى ج٢ ص ٣٩ أن النبي منه قد جعل أحداً خلف ظهره واستقبل المدينة وجعل جبل الرماة (الجاثم في بطن وادي قناة) عن يساره، وهذا يعنى

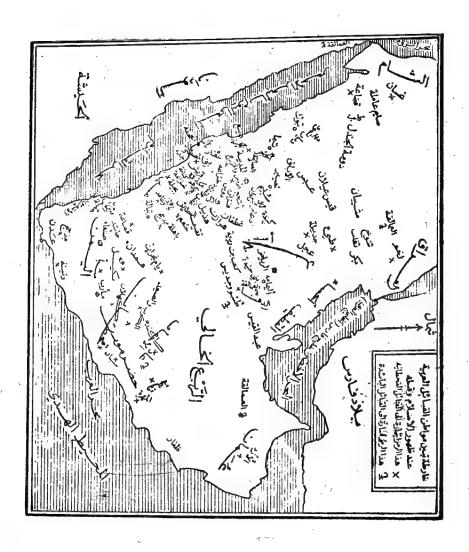


خريطة مبدان أحد

بالتأكيد، أن النبى عند من جنوده في الطرف الفربي من الشعب جاعلاً ظهر جيشه إلى جبل أحد وصدره في اتجاه معسكر مكة الواقع غربي جبل الرماة (كما هو موضح في الخريطة المرسومة في هذا الملحق (١) والتي تغاير الخريطة الأولى من بعض الوجوه). فصارت مؤخرة جيشه محمية بهضاب جبل أحد وميمنته بسفوحه ، أما ميسرته فقد كانت محروسة بحامية جبل الرماة الذين بتمركزهم سيطروا على المضيق المهم الواقع بين جبل الرماة وجبل أحد ، هذا المضيق الذي صار (تماماً) خلف ظهر الجيش الإسلامي عندما أنزل الهزيمة بجيش الشرك واندفع يتعقب فلوله ، وانقض علي المسلمين خالد بن الوليد بخيالته من الخلف عن طريقه بعد أن انسحب أكثر الرماة من الجبل وتركوا هذا المضيق المهم دونما حراسة.

وإنى إذ أقرر هذه الحقيقة وأرجع إلى الرأى الصائب الذى أبداه الإخوة الباحثون الأفاضل (الدكتور حميد الله والاستاذان الأنصارى والعياشى) فإنى أزجى لهؤلاء الإخوة الكرام خالص شكرى وتقديرى وأسأل الله تعالى أن يوفقنا جميعاً لما فيه خير الإسلام والمسلمين وأن يهدينا جميعاً سواء السبيل.

⁽١) انظر الخارطة الأولى للمعركة في أول الكتاب.



فهـــرس

٥	مقدمة الكتاب بفلم اللواء الركن محمود شبيت خطاب
17	كلمة المؤلف
Yo	امد .
44	الغصل الأول :

مجمل الأحداث السياسية والعسكرية بين معركتي بدر وأحد ٢٩ – المعاهدة بين الرسول واليهود ٣٠ – أ: الدفاع المشترك ٣٠ – ب: عدم الاعتداء وحسن الجوار ٣١ – ج: حرية المقيدة للفريقين ٣٧ – سلسلة المتاعب الداخلية ٣٧ – اليهود ينقضون المعاهدة ٣٣ – فتئة يهود بني قينقاع ٣٤ – يتحدون النبي ٣٥ – الشرارة الأولى ٣٥ – الحصار ثم التسلم ٣٧ – رأس النفاق يتوسط ٣٧ – الجلاء عن المدينة ٨٣ – طاغية اليهود يتمرد ٣٩ – مصرع الطاغية عمار بني قينقاع ٣٤ – النشاط العسكري قبل موقعة أحد ٤٢ – يوريات المسلمين ٤٢ – عصار بني قينقاع ٤٢ – قتل كعب بن الأشرف ٤٢ – غزوة بني سليم ٤٢ – غزوة السويق ٤٤ – غزوة ذى أمر ٤٦ – محاولة اغتيال النبي ٤٧ – غزوة بحران ٤٨ – سرية زيد بن حارثة ٤٨ – استخيارات الرسول تكشف القافلة ٥١ – مصاردة العبر ٥٢ .

الفصل الثاني :

أسباب المعركة ٥٣ – الاستعداد للمعركة ٥٣ – ميزانية الحملة ٥٤ – المتطوعون في الغزو ٥٥ – مبلغ قوة قريش الغازية ٥٥ – توزيع القيادة ٥٦ – نساء القادة في الجيش ٥٧ – التحريض على اغتيال حمزة ٢٠ – جيش مكة يتحرك نحو المدينة ٢١ – نشاط الاستخبارات النبوية ٢١ – كيف تلقى الرسول نبأ الغزو ٢٢ – استعداد المدينة للمعركة ٦٣ – حالة الطوارىء في المدينة ٣٣ – محاولة نبش قبر والدة الرسول ٦٤ – بوريات استطلاع المدينة ٥٥ – المجلس العسكري الأعلى ٢١ – الاختلاف في الرأى ٢٦ – النبي يترك رأية للأغلبية ٦٧ – النبي يرفض الرجوع أبى رأية الأول ٢٨ – البيش يتحرك من المدينة ٢٩ – مبلغ قوة جيش المدينة ٢٩ – لانتصر بأهل الكفر ٧٠ – استعراض الجيش ٧٠ – المبيت بين أحد والمدينة ٢٧ – التمرد في جيش المدينة ٣٧ – التمرد في جيش المدينة ٣٧ – هدف المنافقيين من التمرد ٧٤ – محاولة نصح المتمردين ٥٧ – فشل مؤامرة التمرد ٢٧ – اختلاف جديد داخل الجيش ٧٧ – خلاصة الجيش بعد التمرد ٨٠ – إلى أحد ٨٠ – الدليل إلى أحد ٧٩ – أعمى القلب أعمى البصر ٧٩ – المسكر النبوي في أحد ٨٠ –

التعيئة للقتال ٨١ - كتيبة الرماة في الجبل ٨٢ - انضح الخليل عنا بالنبل ٨٤ - لاتبرحوا حتى أرسل إليكم ٨٥ - التهيؤ للمعركة ٨٦ - من يأخذ هذا السيف بحقه ٩٨ - مشية يبغضها الله إلا في الحرب ٨٨ - العدو يتهيأ للقتال ٨٩ - القائد العام لجيش مكة ٩٠ - أبو سيفان يحرض حملة اللواء ٩٠ - كيف عبأت قريش جيشها ٩١ - المناورات السياسية قبيل المعركة ٩١ - أبو عامر الراهب الخائن ٩٢ - مجهود نساء قريش في المعركة ٩٤ - ويها نبي عبد الدار ٩٤ .

الفصل الثالث:

هجوم المشركين ٩٨ - أولى ثمرات الخطة الحكيمة ٩٩ - ثقل المعركة حول لواء قريش ١٠٠ - مصرع قائد حملة لواء المشركين ١٠٠ - إبادة حملة لواء المشركين ١٠٠ - احتدام المعركة ١٠٠ - الهزيمة تنزل بجيش مكة ١٠٥ - انتصار المسلمين ١٠٥ - مصرع الاسد ١٠٦ - قاتل حمزة يروى القصنة ١٠١ - رجل يعد بالآلاف ١٠٨ - السيطرة على الموقف ١٠١ - الفارس نو العصابة ١١٠ - كاد يقتل هند بنت عتبة ١١٢ .

القصل الرابع:

الخوف من اقتحام الخيالة بالجبل ١١٦ - قيام الرماة بواجبهم أول المعركة ١١٧ - غلطة الرماة الشنيعة ١١٨ - الرماة يتمربون على قائدهم ١١٨ - نزول الكارثة بالمسلمين ١١٩ - المسلمون بين نارين ١٢٠ - المسلمون يقتلون بعضهم ١٢١ - كيف انقسم الجيش الإسلامي ٢ ١٢٢ - إشاعة مقتل الرسول ١٢٥ - تفكير بعض المسلمين ، بالاستسلام ٢٢١ - الرسول ينقذ الموقف ١٢٧ - تحسن الحالة بعد النكسة ٢٢٩ - الهجوم على النبي ١٣٠ - المعركة تحتدم حول الرسول ١٣٠ - النبي الجريح ١٣١ - ليس لك من لأمر شيء ١٣٣ - المشركون يبيمون زحم الهجوم على النبي ١٣٠ .

القصل الخامس : القصل الخامس ال

بطولة الأنصار ١٣٦ – دور الرماة في الدفاع عن النبي ١٣٦ – يرمي المشركين بآلف سهم ١٣٧ – بطولة نادرة ١٤٠ – يستشهد يوم زفافه ١٤٤ – يستثنن النبي في قتل أبيه ١٤٤ – كاد يقتل القائد العام ١٤٥ – غسيل الملائكة ١٤٥ – الأجازة الأبدية ١٤٧ – الأب يركل جثة ابنه ١٤٨ – منقذ أبي سفيان ١٤٨ – دور المرأة في المعركة ١٤٩ – المرأة التي قاتلت يوم أحد ١٥١ – متى يجب القتال على المرأة ؟ ٢٥١ – ثناء الرسول على أم عمارة ١٥٢ – لم تشترك امرأة غير نسيبة في القتال ١٥٢ – نساء المدينة يقمن بالإسعاف ١٥٥ – الانسحاب وأشاعة مقتل النبي ١٥٨ – فسراوة القتال أثناء

الانسحاب ١٦٠ – الشقى الذى قتله الرسول بيده ١٦١ – اعتصام المسلمين بالجبل ١٦٣ – كاد المسلمون يقتلون النبي ١٦٤ – كاد يكون أشام سبهم في الدنيا ١٦٥ – تثير الجراح على قوة الرسول ١٦٥ – تجمع المسلمين في الجبل ١٦٦ – طلب الرسول الماء ١٦٧ – آخر هجوم يقوم به المشركون ١٦٨ – خسارة قريش في هجومها الفاشل الأخير ١٦٩ – النبي يصلى قاعداً من تثير الجراح ١٦٩ – إنهاء القتال ١٧٠ – تشوية جثة سيد الشهداء ١٧١ – كبد حمزة تقضمها هند ١٧١ – هند تقتخر شعراً ١٧٢ – ويحك اكتمها عنى ١٧٤ .

القصل السادس: : ٢٠١

أبو سفيان لايعلم حقيقة مصير الرسول ۱۷۸ – أبو سفيان يقابل ابن الخطاب ۱۷۹ – أبو سفيان يعتدز للمسلمين عن المثلة ۱۸۲ – مراقبة تحركات العبو ۱۸۲ – لماذا لم يهاجم أبو سفيان المدينة ۱۸۶ – السبب الحقيقي ۱۸۳ – النبي يتفقد القتلى والجرحي ۱۸۱ – سعد بن الربيع ۱۸۱ – هكذا تصنع العقائد الأبطال ۱۸۷ – أغيظ موقف يقفه الرسول في حياته ۱۹۰ – إنى أخاف على عقلها ۱۹۱ – كيف دفن المسلمون قتلاهم ۱۹۲۶ – دفن الشهداء دونما صلاة أو غسل ۱۹۲ – دفن أكثر من شهيد في قبر واحد ۱۹۳ – النبي يأمر باعادة القتلى من المدينة ۱۹۰ – الأرض لا تأكل جسد الشهيد في الله ۱۹۲ – دعاء الرسول بعد المعركة ۱۹۷ – الرسول يتحدث عن مقام الشهداء ۱۹۸ – مصير قتلى الوطنية المجردة ۱۹۹ – يهودى في صفوف المسلمين ۱۹۹ – شجاعة قزمان المنافق ۲۰۱ – أشهد أنك رسول الله ۲۰۱ – مخيريق خير يهود ۲۰۱ المفارقات العجيبة ۲۰۱ .

القصل السابع:

عودة الجيش الإسلامي إلى المدينة ٢٠٠ – إن زوج المرأة لبمكان ٢٠٨ – أم سعد ابن معاذ ٢١٠ – جيش النبي يدخل المدينة ٢١٠ – غسل السيوف من الدم ٢١١ – كيف تلقت المدينة نبأ الكارثة ٢١٤ – منع النياحة على القتلى ٢١٣ – حالة الصوارىء في المدينة ٢١٤ – حملة حمراء الأسد ٢١٤ – نصر مزيف ٢١٥ – جيش المدينة يطارد جيش مكة ٢١٦ – جابر بن عبد الله ٢١٧ – الحملة تتحرك ٢١٩ – كبت المنافقين واليهود ٢١٩ – مؤتمر الروحاء ٢٢١ – المفاجأة المذهلة ٣٢٣ – حليف مشرك يخلص المسلمين ٢٢٤ – ويحك ماتقول ٢٤٢ – حراجة موقف جيش مكة ٢٢٥ – أبو سفيان ينحني للعاصفة ٢٢٦ – مناورة أبي سفيان لتغطية انسحابه ٢٢٧ – رسالة التهديد ٢٢٨ – عودة الجيش الإسلامي إلى المدينة ٢٢٩ .

القصل الثامن: ٢٣١

قتلى الفريقين في المعركة ٧٣١ – عدد الشهداء المهاجرين وأسماؤهم ٧٣١ – عدد شهداء

الأنصار وأسماؤهم ٢٣٧ - نسبة الشهداء بين الأوس والغزرج ٢٤١ - الجرحي المسلمون ٢٤١ - الأنصار وأسماؤهم ٢٤٠ - المسلمون ٢٤١ - خسائر المشركين في المعركة ٢٤١ - تنفيذ حكم الأعدام في جاسوس ٢٤٥ - القرآن يتحدث عن المعركة ٢٤٦ :

القصل التاسع:

YOY

نظرة وتحليل ومقارنة 407 – مقارنة بين بدر وأحد 407 – استمرار الخلافات فمدخل الجيش 407 – ولكن هل انتصر المسركون حقاً 407 – المشركون لم ينتصروا حقاً 407 – أدلة الانتصار الحقيقي 407 – كيف انتصر المسلمون في بدر 407 – انسحاب أشبه بالفرار 407 – نتئج المعارك لاتقاس بالخسائر 407 – الصفحات الثلاث 407 أ : سبب انتصار المسلمين أول المعركة 407 ب : أسباب الانتكاسة : () عصيان الرماة 407 () الانشغال بالغنائم 407 – (1) المباغنة 407 () المباغن بعد الانتكاسة 407 – (1) المباغنة 407 – أسباب التماسك بعد الهزيمة : () القيادة الحكمية وشجاعة القائد العام 407 – (407) عدم مهارة الرسول في وضع الخطط 407 فائدة بقاء الرسول في مقر القيادة 407 – (407) التأكد من سلامة الرسول و 407 – (407) العقيدة 407 – (407) العقيدة الخوف عند جند مكة 407 – (407) التأكد من سلامة الرسول و 407 – (407) العقيدة الخوف عند جند مكة 407 – (407) العقيدة الخوف عند جند مكة 407 – (407) العقيدة 407 – (407) العقيدة الخوف عند جند مكة 407 – (407) العقيدة 407 – (407) العقيدة 407 – (407) العقيدة الخوف عند جند مكة 407 – (407) العقيدة 407 – (407) العقيدة الخوف عند جند مكة 407 – (407) العقيدة 407 – (407) العقيدة الخوف عند جند مكة 407 – (407) العقيدة 407 – (407

المشاكل بعد المعركة:

44V

المشاكل الرئيسية الأربع أ : المنافقون ٢٩٧ – فوران النفاق بالمبينة ٢٩٨ – إهانة رأس النفاق في المسجد ٣٠٠ ب : اليهود ٣٠١ – ج : الأعراب ٣٠٢ – د : قريش ٣٠٢ – استعداد قريش لغزد المدينة من جديد ٣٠٤ – كيف جابه الرسول الموقف ؟ ٣٠٤ .

ملحق واستدراك

717

القهرس

414

مراجع الكتاب

مراجع الكتاب

	اسم المؤلف	اسم الكتاب
		القرآن الكريم
		مىحيح البخاري
البخاري		الأدب المقرد
ابن القيم		زاد المعاد
محمد بن إسحاق		سيرة ابن هشام
اللواء الركن محمود شيت خطاب		الرسول القائد
سيد قطب		في ظلال القرآن
السيد محمد رشيد رضا		تفسير الإمام محمد عبده
مولانا محمد علي		حياة محمد ورسالته
ابن برهان الدين		السيرةالطبية
محمد الغزالي		فقة السيرة
محمد حسين هيكل		حياة محمد
عبد الملك بن حسين العصامي		سمط النجوم العوالي
إسماعيل بن كثير		البداية والنهاية
محمد بن الأثير		الكامل في التاريخ
علي بن حزم		جوامع السيرة
عبد القنوس الأنصاري		آثار المبينة
علي بن أحمد السمهودي		وقاء الوقاء
محمد فريد وجدي		دائرة المعارف
عمر رضا كحالة		معجم قبائل العرب
عمر رضا كحالة		معجم النساء
خير الدين الزركلي		الأعلام
أحمد بن حجر العسقلاني		الإصابة